

نظرات فى الثقافة الشعبية

د . عطارد شكرى



نظرات فى الثقافة الشعبية والهُوية

تأليف
د. عطارد شكرى

تقديم
د. حسن عطية



سلسلة
إصدارات خاصة
تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

125

تعنى بنشر الأعمال الفكرية والثقافية
والأعمال الخاصة لأبرز الكتاب فى مصر والعالم

• نظرات فى الثقافة الشعبية والهوية
• د. عطارد شكرى
• تقديم: د. حسن عطية
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة -2013م
16,5 × 23,5 سم
• تصميم الغلاف:
أحمد الجناينى
• المراجعة اللغوية:
حسن معروف
• رقم الإيداع: ٢١٦٩٧/ ٢٠١٣
• الترقيم الدولى: 978-977-718-557-8
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 7947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

نظرات فى الثقافة الشعبية والهُوية

المحتوى

إهــــداء

إلى أسرتى الصغيرة والكبيرة

مقدمـة

استفتاحك يا كريم

يلفت نظرك فى مفتتح هذا الكتاب استخدام الكاتب لكلمة (استفتاح) بدلا من الكلمات التقليدية التى يستخدمها الكتاب تمهيدا للولوج إلى متون أعمالهم، من قبيل (المقدمة) و(المدخل) و(الإطلالة)، وبالرغم من التشابه الظاهرى بين هذه المترادفات، غير أن تعبير استفتاح له مذاق شعبى خاص، كنت تجده قبل عقود قليلة متداولا فى أحيائنا الشعبية، تبدأ بها الحياة فى الصباح، وتتداوله الألسن مقترنا بكل ما يحبب الإنسان المصرى فى الحياة، ويعزز بداخله الأمل فى اليوم الجديد، مثل (استفتاحك لبن) والتى تقال لمن ينقد البائع أول نقود تقع فى يده هذا الصباح، أو (استفتاحك يا كريم) يقولها المنادى على عربته أو محله، منتظرا من المولى عز وجل أن يستفتح يومه بمن يقبل على ما يقدمه، وهذا اليوم لدى كاتبنا د. "عطارد شكرى" ليس منفصلا عن أيامه السوابق واللواحق معا، كما أن إنسانه المتطلع ليوم مشرق، هو عقل مستنير، وقلب نابض، ووجود ممتد عبر آلاف السنين، مما يجعل مفهوم (الهوية) عنده ليس مفهوما أحادى الجذر، أو فردى التكوين، بل هو نتاج ثقافات تأسست حول مجرى النهر العظيم، وامتصت من كل الثقافات التى مرت بواديه ودلتاه وصعيده، فامتزج الأصيل بالمكتسب، وجرى النهر بمتغيرات كثيرة، وذاب الجزئى فى الكلى، حتى اكتسب صفة أساسية رآها كاتبنا هى الصفة أو الطبيعة الحاكمة لهذه الهوية المصرية – والعربية أيضا– والمؤسسة على منهج الحكم باسم "الحق الدينى الإلهى الإسلامى".

ولم يكتف صاحبنا بعنوان مقدمة كتابه هذا بال (استفتاح)، بل آثر أيضا أن يعنون كتابه ذاته مستخدما كلمة (نظرات)، وهى تحمل لغويا معنى التمهل والتأنى فى النظر إلى الموضوعات المثارة، كما أنها تستدعى من ذاكرتنا الثقافية كتاب (النظرات) الشهير للأديب المصرى عذب اللغة "مصطفى لطفى المنفلوطى"، والذى يعد مجموعة من دروس الحياة، والدروس للحياة، بما تحتويه أجزاؤه الثلاثة من مقالات فى الأدب الاجتماعى، والسياسة والإسلاميات، فضلا عن مجموعة من الأقاصيص المؤلفة والممصرة، وتعد (نظرات) المنفلوطى مع (عبراته) القصصية أبرز ما تركه لنا، وعشنا صبانا منبهرين بصياغاته اللغوية البليغة، جنبا إلى جنب روايته المترجمة بخصوصية التصقت به وحده مثل (تحت ظلال الزيزفون) وفى (سبيل التاج) و(بول وفرجينى) المعنونة باسم الفضيلة.

يوجه صاحبنا نظراته المتأملة فى عالم (الثقافة الشعبية) و(الهوية) بكل التداخل والتمازج بين هذين العالمين، وينطلق نحوهما من أرضية مسرحية ووعى بالصياغة الدرامية للممارسات الشعبية، وهو الدارس للفنون المسرحية فى مرحلته الجامعية، والمتخصص فى فنون الأداء الشعبى ذات الطبيعة المسرحية، ولذا تخرج به المسرحة من عالم الإبداع الفردى إلى عالم الإبداع الجماعى، الذى ينتمى لـ (الناس) حقل الدراسات الشعبية الرئيس، كما يساعده إمساكه بقوانين الدراما على إدراك قوانين الصراع داخل الثقافة الشعبية بين الأصالة والمعاصرة، وفى عمق الهوية المصرية بين الموروث والعولمة، وتميل به نحو رفض اعتبار (الزار) مثلا فنا من (الفنون الشعبية)، وبالتالى لا ينتمى لـ (فن المسرح) كما رأته دراسات علمية وغير علمية أخرى، وذلك ببساطة لأنه يرى (الزار) "هو طريقة من طرق (العلاج) الذى تمارسه شرائح اجتماعية معدودة"، ومن ثم لا ينتمى لهذه الفنون التى تتعلق بالكل أى بـ(ثقافة الناس) أو (ثقافة الأمة)، التى يهتم بدراستها علم الفولكلور، بل ويرى هذا الزار "ممارسة حياتية مكروهة" و"غير مستحبة"، ومن ثم فإن اعتباره أحد مفردات الثقافة الشعبية هو "ازدراء حقيقى للثقافة الشعبية ذات الصبغة أو الطبيعة الإسلامية".

من هذه القاعدة التى يرى كاتبنا أن الثقافة الشعبية المصرية "ذات طبيعة إسلامية"، مهيمنة ومحددة لما يدخل فى نطاق هذه الثقافة الشعبية المصرية، وبمنهج الحكم الإلهى"، يفسر عدم قدرة المسرح المصرى العربى المعاصر على أن "يصبح بعد جزءا لا يتجزأ من نسيج الثقافة الشعبية" بسبب "إصرار الغالبية العظمى من الفنانين على التعبير عن تجاربهم الإبداعية وفق توجهاتهم الإيديولوجيا التى لا تتفق تماما مع الهوية الثقافية

للشخصية المصرية والعربية"، مما يطرح على قارئ هذا الكتاب مجموعة من القضايا الجدلية حول الثقافة والإيديولوجية والفنون الشعبية والجماهيرية والحداثة والطليعة، وعلاقة المسرح بالثقافة المصرية، سواء اجتهد البعض تأصيل المسرح فى الذهنية العربية، ورأى أن ثمة ظواهر فرجة شعبية كانت موجودة لدينا قبل احتكاكنا بالنهضة الأوربية، التى لعبت دورا فى النهضة العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر، أو اجتهد البعض الآخر فى الاهتمام بالفن الوافد دونما اهتمام بتأصيله أو أو إثبات وجوده السابق فى الأرض العربية؛ فكرة وممارسة، فالمسرح فى النهاية هو وجود تخلقه الجماعة عندما تحتاجه، وتمارسه الجماعة حينما تراه معبرا عن أشجانها وهمومها، وتحوله لبرلمان ديمقراطى تناقش فيه قضاياها، باحثة معا عن رؤية مستقبلية لمجتمعها.

برز المسرح بداية كاحتفال شعبى فى صيغة فعل زاقص، خارجا من معطف الشعائر الاحتفالية، منتميا لعالم العرض المرئى والمسموع، وجاء أيضا كمادة قولية لهذا الاحتفال الشعبى فى صيغة نص درامى، خارجا من معطف الشعر، منتميا لعالم الأدب، فتم تقنين الفعل الراقص الحر فى نص درامى محدد البنية، ومنح الشعر شكل الطقس الاحتفالى بنائه الفنى، وأصبح العرض المسرحى تجسيدا للنص الأدبى، وتباينت الرؤى تجاه موقعه بين الناس، حيث أدرك مبدع المسرح الفرعونى، الكاهن المثقف، أن رسائله لمتلقيه عبر هذا الطقس الاحتفالى الممسرح يجب أن تتحلى بالغموض تأكيدا لرهبة الإله وأسراره المقدسة، فالاحتفال تمارسه الجماعة، فى حدود ما تسمح به يد الكهنة الممسكة بأسرار طقوسه، والقائمة ببعض منها داخل جدران المعبد، فتعثرت مسيرة المسرح الفرعونى ولفظ أنفاسه الأخيرة على أبواب قدس الأقداس، المخبوء داخل سراديب ديانة لاهوتية، وذلك لغموض بعض من رسالته المجتمعية من جهة، وغياب متلقيه عن جزء من العرض المسرحى/ الدينى الواقع داخل المعبد المغلق على كهنته من جهة أخرى، على حين نجح المسرح الإغريقى بقدرة مبدعه على فصل عرضه المسرحى عن تقاليد المعبد، وخلق فضاء شعبى مغاير يكون وسيطا دنيويا يلتقى فيه المبدع بالمتلقى، وتتحاور فى فضائه المسرحى قوى الخير والشر فى حضرة الآلهة، ومعها، بفضل الطابع الناسوتى الذى أضفته العقلية الإغريقية على دياناتها، وبفضل وعى مثقفى هذا المسرح، بتباين آرائهم، بأن للمسرح وظيفة اجتماعية تستهدف تطهير مواطن المدينة من نوازع التمرد على النواميس السائدة فى المجتمع، ومحافظا بالتالى على تماسك المدينة/ الدولة وتناغم علاقاتها الداخلية، ومن ثم فقد تم بناء الدراما الإغريقية بالشكل الذى يحقق هذه الوظيفة التطهيرية، ويجعل من الدراما ليست

(صورة) مفترضة من الواقع عندما تهتز جدرانه بـ (فعل) يوشك أن يدمره، ناتجا عن خطأ يرتكبه البطل النبيل فى حق مجتمعه، كأن يقترف جرم قتل الأب والزواج من الأم، أو يغتال الأم لدورها فى قتل الأب، أو يقف فى وجه القانون الوضعى الحامى للمجتمع متسلحا بقانون إلهى أسسته الأسطورة، ولذا تصبح غاية الدراما هى إدانة هذا الفعل المجرم مجتمعيا والتنبيه إلى خطورة حدوثه، وإرعاب المتلقى من الوقوع فيه، كنوع من القتل أو النفى المعنوى لمرتكب الجرم، عبر الأبنية التراجيدية لهذه الدراما، أو كنوع من (الجلد) الجماعى الاستعارى عبر الأبنية الكوميدية والساتيرية الساخرة بحدة من مرتكب الجرم، وذلك بهدف تحقيق الاستقرار فى المجتمع القائم.

موقفان من الحياة يستتبعهما موقفان من المسرح، زاد الأمر تعقيدا بالنسبة لرؤيتنا نحن إلى المسرح والحياة معا، ذلك التراجع عن التمسك بالعقل والمعرفة العلمية، وذلك الانسحاب من الحياة الدنيا رعبا منها، وذلك الاستخدام الهش للمنجزات التكنولوجية دون إيمان بقدرتها على تغيير أنفسنا وواقعنا ومجتمعاتنا، لذا انفصل مسرحنا عن مجتمعه، وابتعد عن لعب دوره الحقيقى فى بث الوعى بين متلقيه، وهيمنت عليه روح التشاؤم المتجلية فى نغمة السخرية من القديم والجديد معا، وصارت الأجهزة والأدوات التكنولوجية مجرد ألاعيب تبهر متلقيها دون أن تؤسس استخدامها فى عقله وتتحول بين يديه لأداة قادرة على التغيير.

ومن ثم فالتكنولوجيا لا تصنع مسرحا، وإنما تصنعه الإيديولوجية التى تعبر عن طموحات الشعب وشرائحه المجتمعية، وعدم قدرة المسرح على غرس بذوره فى التربة الشعبية، ليس بسبب امتلاك كتابيه وفنانيه فكرا، بل لأنه انعزل زمنا عن (ناسه) وهجر ذائقتهم الشعبية، وتقوقع داخل قوارير التجريب، فانقطع الهواء عن جذوره التى تم استنباتها منذ أربعينيات القرن التاسع عشر حتى ستينيات العشرين، وتمزقت أوصاله، إلى أن عاد شابا قويا قافزا وسط ميادين التحرير، يداعب الساسة، ويسخر من الفاسدين، ويهجو العاطلين عن رؤية المستقبل المخصب بدماء الشهداء.

عاد المسرح إلى قاعدته الشعبية، وها هو كتاب فى غاية الأهمية، يقدمه لنا د."عطارد عبد المجيد شكرى" وكيل المعهد العالى للفنون الشعبية، وأحد أبرز بحاث المسرح الشعبى، قد تتفق معه، وقد تختلف، لكن حتما سنحترمه لأنه حريص على المعرفة، وواثق من قدراته، ومدرك لطبيعة الثقافة الشعبية، التى هى جُماع الثقافات

المتعاقبة، وحصيلة التجاور مع الواقع الساخن، فلنقرأ معا هذا الكتاب المثير للجدل، ولنرفع معا راية فضيلة الاختلاف، فلا أحد فينا يملك اليقين الكامل، وحق الحياة هو ديننا وسبيلنا لصياغة هوية خاصة بنا، هذه الهوية التى لا نرثها كمتاع عن آبائنا، بل نصنعها بجهدنا وعرقنا ودمائنا وثقافتنا.

د.حسن عطية
مارس ٢٠١٢م

استفتاح

"الثقافة الشعبية والمسرح" عنوان البحث الذى شاركنا به فى المؤتمر العلمى الأول للمسرح المصرى فى الأقاليم -الدورة الأولى- (الواقع و المستقبل)، والذى نظمته الإدارة العامة للمسرح وأشرفت عليه الهيئة العامة لقصور الثقافة فى الفترة الزمنية من (٣٠/ ٨ إلى ٢/ ٩/ ٢٠٠٦م.)... وأجيز البحث وناقشناه فى اليوم الثالث من انعقاد المؤتمر والموافق (١/ ٩/ ٢٠٠٦م.)، ونظراً لما حظى به البحث من اهتمام وتقدير وجدنا من المهم مع بداية العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين.. إعادة عرضه وتقديمه موسعاً فى كتابٍ بعنوان: "نظراتُ فى الثقافة الشعبية والهُوية"...

وقد راودتنا فكرة هذا الكتاب منذ بداية عملنا عام (١٩٨٣م.) معيداً بالمعهد العالى للفنون الشعبية، أحد معاهد أكاديمية الفنون فى مصر.. وبداية التحاقى بمرحلة دبلوم الدراسات العليا بذات المعهد.. بل ربما تعود مرحلة انشغالنا بفكرة "المنهج الثقافى" الذى تقوم عليه أسس بناء المجتمع المصرى العربى إلى زمن التحاقنا للدراسة بالمعهد العالى للفنون المسرحية عام (١٩٧٧/ ١٩٧٨م.).. واحتكاكنا المعرفى الواعى بالثقافة الأوروبية "المسيحية الرومانية اليونانية"...

كما أكد إدراكنا الواعى لأهمية الدراسات الفولكلورية فى بناء المجتمعات الإنسانية، على حقيقة أن علم الفولكلور من العلوم الثقافية الإنسانية التى يمكن أن توضح لنا كيف كنا نحيا.. وكيف نحيا الآن.. وكيف يجب أن نحيا... وبغض النظر عن متغيرات العصر.. أو

المدنية والمعاصرة نقول مثلما قال الآباء والأجداد: إن هذا الخلف من ذاك السلف.. ويجب أن تخضع دراستنا للممارسات الحياتية المادية واللامادية -الروحية- فى المجتمع المصرى الإسلامى إلى حقيقة علمية هامة ألا وهى: إن علم الفولكلور معنى بثقافة الكل لا ثقافة الجزء.. وإن رزق الإنسان.. أو المستوى الطبقى للأفراد والأمية.. أو المستوى التعليمى للأفراد ليس مقياساً للانتساب إلى الثقافة الشعبية.. لأن كلاً منا فى مجتمعه حاملٌ لعنصرٍ من عناصر الثقافة المادية واللامادية... والذى يحفظ للإنسان حقه فى البقاء حياً هو: توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم.. وأن تكامل الناس وانسجامهم ثقافياً يبدأ من معرفتهم أولاً لـ:"اللغة المكتوبة والمقروءة".. والتى تساعد الناس ليس فقط على التفاهم والاتصال والتواصل بين هذا وذاك.. بل والقدرة على فهم الآنا للآخر... وثانياً لـ: "العقيدة الإلهية ومجموع الفكر ونسق القيم".. والتى تضع القواعد والقوانين المنظمة لنشأة المجتمعات الإنسانية الحضارية...

كما أكدت دراستنا العلمية داخل مصر وخارجها على حقيقة علمية أخرى جديرة بالأهمية ألا وهى: إننا لسنا من عبدة الطاغوت.. ولا نعيش عصر الوثنية والإلحاد.. وأن الديانات السماوية غير حافلة بالأسرار.. وإننا ضد وجود تجمعات إنسانية سرية مخالفة لنسق العقيدة السماوية... وحتى تخدم العلوم الإنسانية الثقافية مجتمعاتها، يجب أن يفرق المُهتم بدراسة ثقافات الشعوب ما بين زمن أساطير الأولين.. وزمن حكم الله الأحد الصمد... وهذا المبدأ العلمى من أحد أهم المناهج العلمية التى يمكن من خلالها تحديد ماهية الدراسات الفولكلورية، وطبيعة الدراسات الشعبية... إذ تخضع الدراسات الفولكلورية إلى معرفة ما كان فى الماضى، وهذا هو ما نعنيه بزمن أساطير الأولين.. وهو من التراث القومى لشعوب وقبائل الأمم الحضارية... بينما تخضع الدراسات الشعبية إلى دراسة المأثورات الشعبية.. أى الإرث الثقافى.. وما هو كائن الآن بالفعل، وأثره أو دوره فى حياة الناس الخاضعة لجماعية الثقافة...

ومن ثم، يجىء الفصل الأول من هذا الكتاب تحت عنوان "الثقافة الشعبية Folk Culture"، سعياً منا وراء تحديد ماهية مصطلح "فولكلور Folklore"، وموضوعات التخصص الفولكلورى... وأن "الفنون الشعبية Folk arts" ليست الترجمة العلمية الدالة على مصطلح "فولكلور".. لأن "الفنون" أحد عناصر الثقافة الدالة على شخصية أو هُوية مجتمع من المجتمعات.. أو شعب من الشعوب.. أو أمة من الأمم الحضارية ...

أما الفصل الثانى وعنوانه: "الميلودراما الشعبية المصرية المعاصرة"، فهو محاولة جادة منا للتاكيد على أن جماهيرية الفنون المسرحية الشعبية المصرية ترجع إلى طابعها الثقافى

الإسلامى... وأن صمود الفنان الشعبى أمام غزارة الإنتاج الفنى الميلودرامى فى مصر الحديثة، أحد أهم أسباب توقفنا أمام الطبيعة الأدائية التمثيلية لقصصنا الميلودرامى الشعبى، والذى يؤكد على وحدة المجتمع المصرى وانسجامه ثقافياً ...

بينما يؤكد الفصل الثالث وعنوانه: "الفولكلور فى حياة الناس" على خصوصية الهُوية الثقافية المصرية من خلال عرضنا لبعض الممارسات الحياتية اليومية التى تعيش مع المصرى منذ أن ارتضى الانتساب إلى الثقافة الإسلامية.. أى التى ظلت حية معه منذ خمسة عشر قرناً من الزمان الأرضى... بالإضافة إلى بعض من الممارسات الحياتية اليومية التى ترجع جذورها إلى الأصول المصرية القديمة.. ولم يجد المصرى بينها وبين مبدأ الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى الإسلامى" ما يمنع من الاحتفاظ بها...

وإيماناً منا أن التحديث يبدأ بالاعتراف بعالمية المنهج الثقافى الإسلامى.. وأن مصر جزء لا يتجزأ من العالم، يجىء الفصل الرابع من هذا الكتاب تحت عنوان: "الفولكلور والعولمة".. فقد أصبحنا فى بداية العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين.. ومازلنا غير مدركين الفرق بين الخضوع إلى القانون الإلهى.. والخضوع للقانون المدنى... وبمعنى آخر، غير مدركين لأهمية التمييز بين فلسفة الحكم باسم: "الدين الإلهى السماوى" وعالميته من جهة.. ومبدأ الحكم باسم "الدين الطبيعى" أو المدنى أو الوضعى الإنسانى من جهة أخرى... وأن "العولمة" منذ عهد الحداثة.. وإلى ما بعد الحداثة.. مثلها مثل أى تيار فلسفى إنسانى آخر.. هى مبدأ فلسفى غير سماوى.. وضعه إنسان فرد.. وحكمَ العالم شعوباً وقبائل.. أفراداً وجماعات.. وفرضته قوى موحدة.. ذات بأس وقوة.. أعطتها الحق فى فرض إرادتها على الضعيف...

وتجىء دراستنا لطبيعة ممارساتنا الحياتية المصرية المادية واللامادية.. كمحاولة جادة منا للتأكيد على الخصوصية الثقافية للشعب المصرى، وتبعيتها لثقافة الأمة الإسلامية... إذ ربما ننجح كمصريين فى إعادة تحديث مصر-الأرض ومن عليها- وفق منهج ثقافى واضح الملامح...

وأتمنى أن يلقى هذا الكتاب "نظرات فى الثقافة الشعبية والهُوية" استحساناً عند الإنسان الجديد الذى يعيش دنياه مع أجهزة الكمبيوتر بالتوازى... فقد أثبتت الأحداث الجارية العالمية والمحلية، أن القلم والورقة لم يفقدا تماماً أهميتهما بعد.. ولا مكانتهما فى القرن الحادى والعشرين.. وفى عصر أصبحت فيه الحرب الإلكترونية على أجهزة الكمبيوتر Computer التى تعتمد على "النت Net" فى العالم.. وشل البنية التحتية بين

البلاد المتحاربة هى من سمات هذا القرن الحادى والعشرين.. فالهجوم الإلكترونى أقل تكلفة من الهجوم التقليدى.. وأسرع من تحريك الجيوش.. وتشهد على ذلك الحرب التى وقعت بين "روسيا Russia" وجارتها "جورجيا - Georgiaجروزيا Gruuzia" فى (١٦) اغسطس(٨) من عام(٢٠٠٨م)... وكذلك محاولة إفشال محاولات "جمهورية إيران الإسلامية" فى صنع سلاح نووى عن طريق مهاجمتها باستخدام ما يعرف باسم: "فايروس ستوكسنيت Stuxnet Virus" الذى أُكتشف فى شهر (يونيو(٦) من عام ٢٠١٠م)...

ولنا أن نؤكد على أن لا أحد يمكن أن ينكر أهمية الأجهزة الإلكترونية فى حياة الناس.. وكيف ساهمت تكنولوجيا المعلومات المعرفية The information technologyأو تقنية المعلومات والاتصال فى تقريب المسافات بين الناس داخل أوطانها وخارجها.. فنحن من جيل التلفزيون المصرى الذى تأسس عام (١٩٦٠م).. وعصر الفضاء الذى شهد إطلاق الاتحاد السوفيتى السابق (Soviet Union 1922-1991) لأول قمر صناعى سبوتنيك١ Sputnik1 بتاريخ (٤/ ١٠/ ١٩٥٧م)... وانطلاقة مركبة الفضاء السوفيتية سبوتنيك٢ Sputnik2 وعلى متنها الكلبة (لايكا).. لتصبح بذلك أول كائن حى يصعد إلى الفضاء يوم (٣/ ١١/ ١٩٥٧م)، ويدور بنجاح حول الأرض... وهى التى مهدت لصعود أول رجل للفضاء الخارجى يوم (٤/١٢/ ١٩٦١م) والهبوط حياً... إنه الطيار الروسى ورائد الفضاء الأول فى تاريخ البشرية "يورى جاجارينYuri Gagarin" (9/3/1934-27/3/1968).. الذى أصبح منذ هذا التاريخ أول رائد فضاء يدور حول الأرض لمدة (ساعة+٤٨).. وهو على متن المركبة الفضائية السوفيتية (فستوك١-Vostok 1)... وأصبح "جاجارين" بطلاً قومياً تعشقه الجماهير.. وتعرفه شعوب البلدان الأخرى... بل وشجعت عودته حياً إلى الأرض على تكرار هذه الرحلة.. والسماح بطيران أول امرأة فى التاريخ وترى الأرض لمدة أربعة أيام من الفضاء الخارجى.. وهى على متن مركبة الفضاء السوفيتية (فستوك٦- Vostok6) يوم (١٦/ ٦/ ١٩٦٣م)، إنها رائدة الفضاء، وبطلة الاتحاد السوفيتى السابق المهندسة الروسية "فالنتينا تريشكوفا Valentina Tereshkova" المولودة فى (٦/ ٣/ ١٩٣٩م)...

ومر بنا العمر وأصبحت الحياة أسهل مما كانت.. وحملنا الهاتف النقال أو الخلوى Mobileالذى يعود تاريخ تداوله على مستوى ضيق بين الناس إلى عام (١٩٧٣م)... ولم يعد هذا الجهاز الجوال مجرد أداة من أدوات الاتصال اللاسلكى.. بل شيئاً فشيئاً أصبح يستخدم منذ عام (١٩٩٥م) كجهاز كمبيوتر Computer وانترنت Internetمتنقل.. وفى متناول جميع فئات المجتمع...

لقد أدرك الإنسان الجديد أهمية الانتقال من مكان إلى آخر.. واكتشاف عوالم أخرى غير عالمه باستخدام وسائل النقل والاتصال الحديث... إذ اكتملت سعادته حينما استطاع الحصول على حريته في وطنه أولاً وأخيراً.. ولم يمنعه أحد في الانتقال الحر المباشر بالجسد والصوت والصورة عبر الزمن.. وبواسطة جهاز صغر حجمه أم كبر.. ومن خلال اشتراك رخيص الآجر تيسره دولته الديمقراطية الحرة.. عبر المواقع الإلكترونية المجانية مثل: "ياهوYahoo ١٩٩٤م"، و"جوجول Google ١٩٩٩م"... ونحن هنا نخص بالذكر أحد المواقع التي يسرت الاتصال المباشر بين الناس وهي: "فيسبوك" (Facebook) التي أطلقها عام (٢٠٠٤م) "مارك جوكربيرج Mark Zuckerberg" والمولود عام (١٩٨٤م)... فساهمت مثل هذه الخدمة الجديدة في سرعة تبادل الأخبار، والآراء، والمعلومات.. وغيره.. عبر الصوت والصورة... وكذلك من بعد ظهور موقع آخر وهو: "يوتيوب" (YouTube com.)عام (٢٠٠٥م)... الذي صممه ثلاثة من الأصدقاء: جاويد كريم Jawed Karim المولود عام (١٩٧٩م)، وستيف تشين Steve Chen المولود في (١٩٧٨م) وتشاد هورلي Chad Hurleyالمولود في (١٩٧٧م) وهو الموقع الإلكتروني الذي أضاف خدمة جديدة للناس.. حينما منحهم فرصة مشاهدة وتبادل الفيديوهات على الإنترنت مجاناً...

وهكذا، لم تعد أجهزة الكمبيوتر Computer والإنترنت Internet مجرد ألعاب يلعبها الصغار والكبار معاً.. ولا وسيلة بحث... وفضول... وتعارف بين الناس!!! ولم تساهم شبكة الاتصال Network عن طريق الشبكات الحاسوبية أو أجهزة الكمبيوتر Com-puter في تيسير الاتصال الاجتماعي المباشر عبر الصوت والصورة.. ونقل المعلومات Downloadوالتسوق والإعلان وحسب... بل وجدت عبرها الأجيال الشابة في مصر القدرة على مباشرة حقوقها الكاملة في الحياة الكريمة الحرة.. وخاصة من بعد أن ساهم التواصل الجمعي بين شباب مصر -بنين وبنات- الذين تتراوح أعمارهم ما بين (١٨-٣٥ عاماً) على الاتفاق على تحويل الحلم إلى واقع.. والانتقال بأنفسهم من مرحلة الكلام إلى مرحلة العزم على الفعل.. والقيام بثورة من أجل التغير يوم (٢٥ يناير ٢٠١١م)...

إن "الثورة" تغير أساسي مفاجئ.. يقوم به الشعب أو فريق منه.. ومستخدمي الإنترنت في مصر على مستوى عالٍ من التعليم.. وأغلبهم من الشباب-بنين وبنات-.. ويستخدمون اللغة الإنجليزية في مخاطباتهم.. ولم يجدوا غضاضة في تبادل التعارف والمعارف.. والبوح بأسرارهم وأحاسيسهم لبعضهم البعض.. ولم يكن المستوى الاجتماعي.. ولا الجنس أو النوع.. ولا المستوى التعليمي.. مانعاً في اتساع رقعة

التعارف عبر مواقع الإنترنت بين الشباب -بنين وبنات-... وشعروا جميعاً أن الفاجعة التى أوجعتهم.. جعلتهم يبكون معاً المصيبة المؤلمة التى أصابتهم.. فقد فقدوا ما يعز عليهم.. وثاروا وهاجوا على أنظمة حكمهم.. حينما أدركوا أنه ليس هناك ما هو أعز من كرامة الإنسان فى وطنه...

لقد انتفض أى تحرك واضطرب شباب مصر.. ممن يشكلون نسبة (٢٩٪) وزيادة من تعداد السكان الذى يتعدى (٨٠) مليون نسمة.. واجتمعت الناس بفئاتها العمرية المختلفة من حولهم.. وانفجرت الغالبية العظمى من الشعب المصرى بسبب المعاناة الاجتماعية.. وحاولوا شق طريق جديد.. إلى حد المبالغة فى الشق.. وأجيبت مطالبهم فى التغير السياسى والاجتماعى بعد (١٨) يوماً من الصمود.. وأكدوا على أن المصرى قادر على الفعل... وللمرة الأولى فى تاريخ مصر الحديثة.. يرحل الذى ظن أنه من العالين.. رأس الدولة السيد محمد حسنى مبارك المولود عام (١٩٢٨م).. مهزوماً يوم الحادى عشر(١١) من شهر فبراير(٢) عام (٢٠١١م).. وبعد فترة حكم دامت (٣٠) ثلاثون عاماً...

وقد أكدت النهاية الحزينة للرئيس الرابع للجمهورية المصرية.. على أن علاقة الشعب بأجهزة الاتصال الحديثة نشاط إنسانى مستمر لا يتوقف.. وغير مقيد بزمان ومكان... وكذلك على أهمية أن نعيد التفكير فى الطابع الاتصالى عن طريق شبكات الاتصال الحديثة-الكمبيوتر Computer والإنترنت -Internet، فالعلاقة بين مستخدميها لم تعد تنم عن علاقة خاصة أحادية ذات اتجاه واحد One wayمشابهة لعلاقة الإنسان بالقلم والورقة أو القارئ بالكتاب... وإنما أصبحت العلاقة بين المرسل والمستقبل متميزة لما لها من تاثير جماعى فعال... والتفاعل المباشر والسريع بين مرسل وأكثر من مستقبل جعلها أداة أو وسيلة اتصال ذات اتجاهين وأكثر Two ways and more... لهذا لم يكن غريباً أن تعرف باسم "الشبكة العنكبوتية"... فهى تهدف إلى إقامة وتدعيم تفاهم متبادل بين جماعة متجانسة ومتصلة ببعضها البعض عبر شبكة اتصالات ذات طبيعة فردية.. وتنتقل من خلالها بحرية المعلومات والرؤى والأفكار والأخبار بصورة جماعية سريعة... وعملية التواصل والتفاهم بالصوت والصورة بين أنا الفرد وأنا الآخر.. والانتماء الوطنى.. والمسئولية الاجتماعية هى التى جعلت الفرد يعمل لصالح الجماعة، وهى التى ساهمت فى الثورة السلمية التى سعت إلى محاولة تحقيق حلم بناء مجتمع إنسانى جديد...

والله أسأل أن يكون هذا الكتاب: "نظراتٌ فى الثقافة الشعبية والهُوية" خطوة هامة على الطريق الصحيح نحو بناء الإنسان الوليد الجديد.. القادر على الفعل.. فقد ترددت كثيراً فى إصداره.. إلى أن جاءت ثورة الشباب الجريئة، وأدركت أنه ربما يكون هذا الكتاب للبعض بمثابة لبنة على الطريق الصحيح نحو فهم عالمنا الذى نعيشه.. إذا ما.أردنا فعلاً أن نخلق عالماً جديداً يجمع بين الأصالة والمعاصرة...

والله الموفق،،،

د.عطارد شكرى

القاهرة مايو ٢٠١١م.

الفصل الأول:

الثقافة الشعبية

أما قبل

إن "الفولكلور Folklore" اسم مادة علم من العلوم الإنسانية الأوروبية الأصل، والتى تأثرت به المؤسسات التشريعية والتنفيذية غير الدينية فى بلدان العالم أجمع... وإن كان ثمة علاقة أو صلة بين علم الفولكلور وغيره من العلوم الإنسانية الأخرى المشابهة، فذلك لا يعنى إلا أن علم الفولكلور قد تميز عنها جميعاً، حينما اكتملت الشروط العلمية الواجب توفرها له كعلم؛ فقد أصبح له ميدان اختصاص.. وطرق خاصة بالجمع والتصنيف، وفقاً لمناهج البحث العلمى.. ونظريات الفولكلور القائمة على دراسة مواد أو عناصر "الثقافة Culture" المادية -غيرالروحية- واللامادية - الروحية أو المعنوية- لشعوب وقبائل الأمم الحضارية...

وعلى الرغم من أن كثيراً ما كانت أحد مفردات الثقافة هى الدالة "خطأ" على ميدان اختصاص علم الفولكلور.. وأن علماء الفولكلور- أجانب وعرب- لم يستقروا تماماً على تحديد من هم "الناس Folk"، و"ثقافتهم الشعبية Lore"... إلا أن علماء الفولكلور-أجانب وعرباً- لم يختلفوا كثيراً حول تاريخ هذا العلم ونشأته.. فقد اتفقوا على أنه يدين بوجوده وصياغته الأولى إلى العالم البريطانى:" ويلليم جون تومز (William John Toms " 1802-1885م)، الذى استخدم كلمة "فولكلور Folklore" للمرة الأولى فى رسالة بعث بها للنشر فى مجلة: "ذى أثينيوم The Athenaeum" وتحديداً يوم (٢٢ أغسطس (٨) من

عام (١٨٤٦م)، ولكن موقعة باسم مستعار هو "امبروز ميرتون Ambrose Merton"[1] للدلالة على "الآثار الشعبية القديمة Popular antiquities"-المادية واللامادية-،و"الأدب الشعبيPopular Literature": كالحكايات الشعبية القديمة، والبالاد... إلى جانب القيم، والعادات، والمعتقدات، حتى الخزعبلات.. وغيرها من "الموروثات الثقافية التقليدية Cultu-ral survivals"، التى قصد بها "تومز" Tomsبقايا موروثات الماضى التى تنتقل من جيلٍ إلى آخر:

It's the state of còntinuing to live from time to time ...or the state of folk culture that has continued to live

الفولكلور يخلق دولة

وكان "تومز Toms" يرجو أن يتم فى بلاده مثل الذى تم فى "ألمانيا" على يد "الأخوين جريم The brothers Grimm" يعقوب (١٧٨٥-١٨٦٣م.) Jacob، ويللهلم (١٧٨٦-١٨٥٩م) Wilhelmالذين اهتما بجمع الحكايات الشعبية الجرمانية Germanic Folk-tales، وبخاصة "الحكايات الخرافية Fairytales": حكايات الجنية أو حكايات جدتى، أو الأطفال وحكايات البيوت:

"The Grimm's Children's and Household Tale"

وجاءت طبعتهما الأولى على جزأين: الأول: عام (١٨١٢م)، والثانى:(١٨١٤م)[2] وإلى "الأخوين جريم" يعود فضل ظهور أدب الأطفال العالمى، سواء المقروء منه، أم المسموع والمرئى منه... ومن أشهرالحكايات المترجمة إلى العربية: أميرة الثلج أو الفتاة ناصعة البياض- الحسناء والأقزام السبعة- الأميرة النائمة أو الجمال النائم -الجميلة والوحش - مملكة النحل- الإوزة الذهبية- الفتاة والإوزة- ذات الرداء الأحمر- الذئب والنعاج السبع.. وغيرها...

وإذا ما كان مصطلح "فولكلور"- المادة والعلم- مديناً بصياغته إلى "تومز"، وأن الألمان على يد "الأخوين جريم" هم الذين أثاروا الاهتمام بجانب مهم من جوانب الإبداع الإنسانى الشعبى، والذى لاشك فيه، أن "فنلندا Finland" هى من أولى الدول التى اعترفت بدور الفولكلور وأهميته العلمية، منذ أن أخذوا "الفنلنديين Finns" فى العمل على إعادة بناء دولتهم، وظهورها كدولة مستقلة.. مسالمة.. بعد فترات من الخضوع للحكم "السويدى Sweden" والحكم "الروسى Russia"... ومازالت "ملحمة أرض الأبطال الكاليفالا Kal-evala" التى نشرت للمرة الأولى عام (١٨٣٥م) مثار فخر الشعب الفنلندى... وكانت

الريادة لجامعة هلسينكى "العاصمة Helsinki" حينما بادرت عام (١٨٨٨م) فى إدراج مادة "الفولكلور" ضمن برامجها التعليمية، لتؤكد المدرسة الفنلندية على أهمية "المنهج التاريخى الجغرافى"(٣) فى الدراسات الفولكلورية...

واجتمع الرأى على أن رسالة "تومز" منذ عام (١٨٤٦م) كانت بمثابة البداية لعلم من العلوم الإنسانية الجديدة هو: "علم الفولكلور"... وما لبث أن أصبح هذا المصطلح الإنجليزى الأصل "Folklore" هو الشائع بين المتخصصين فى دراسة ثقافات شعوب وقبائل الأمم الحضارية فى أنحاء كثيرة من العالم، وإن أثر "الألمان"–مثلاً– كلمة أخرى هى: "ڤولكسكُنده Volkskunde"، ورجح العلماء أن هذه الكلمة ترجع إلى عام (١٨٠٦م)، أى إنها أسبق من كلمة "تومز Folklore" التالية لها... وتشير كلمة "ڤولكسكُنده" إلى: "الثقافة الأم"، أو"ثقافة الفلاحين"، أو"ثقافة الراق الأدنى" من المجتمع، وهم الطبقات الدنيا من عموم الناس...(٤) بينما فضلت شعوب وقبائل البلدان الإسكندنافية والسلافية استخدام كلمة "فولكلور Folklore" الإنجليزية.. وأقر الفرنسيون الكلمة الإنجليزية الأصل -Folk lore" ولكن بأحرف فرنسية "Le Folklore"، بجانب الكلمة الفرنسية الدالة عليها "Tradition Popular".. فى حين حافظت "إيطاليا اللاتينية" على الأصل اليونانى لكلمة: "Demas" وهى: "Folk" واستخدمت "Demo logia"..إلخ...

أما فى الوطن العربى فقد أقر"مجمع اللغة العربية فى مصر" واعتمد ترجمة هذا المصطلح الإنجليزى الأصل "Folklore" إلى"المأثورات الشعبية".. فى حين رأى آخرون ترجمة هذا المصطلح إلى "التراث الشعبى" حيناً.. و"الفنون الشعبية" حيناً آخر...

بينما لا تدرى أنها لا تدرى على المستوى المعرفى مجموعة من الناس متخصصين وغير متخصصين، أنه خطأ علمى كبير وفادح رواج أو شيوع كلمة مثل: (الفولكلور الشعبى)؟!!! فالأصل العلمى للكلمة الإنجليزية: "Folklore" فولكلور"، أنها تتكون من شقين أو مقطعين: الأول: "Folk" فوك" بمعنى: الناس أو الشعب أو الأمة.. والآخر: "Lore"لور" بمعنى: "الحكمة أو المعرفة".. أى إن الترجمة الحرفية للكلمة الإنجليزية: -Folk lore"فولكلور" هى: "حكمة الناس أو معارف الناس". Folklore is: the lore of the people.

وحينما تقول الناس: (وعلى رأى المثل، نصحتك لم تتنصح والطبع فيك غالب، وديل الكلب لم ينعدل ولو حطوه فى قالب!).. فذلك "مثلٌ" من "الأمثال الشعبية" التى تشكل جملة قناعاتنا، وحكمة الأجيال –سلباً أو إيجاباً–، ويعبر عن نهاية موقف، وحلاً كاملاً، أو حكماً

شاملاً عن شخص لا يقبل النصيحة، ولا فائدة منه.. فى حين تقول الناس: (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار..) أو باختصار:(لا خاب من استشار...)

إن الحَكِيم من حَكَّمَ نفسه أولاً.. ويُقصد بالحكمة أو المعرفة: "الصواب من القول والفعل ليكون للناس علماً نافعاً يدرك عن طريق الحواس والعقل"... وحينما نتحدث عن "الناس "Demas- People- Narod -Folk - Volk - Common - Nation: لا نعنى فئة.. أو طبقة.. أو شريحة.. أو جماعة.. أو حتى مجموعة من الناس الذين لم يحصلوا على حظ وافر من التعليم.. إننا نتحدث عن عموم الناس:

People in general with or without a high level of education

وعموم الناس أو الشعب أو الأمة هم: هؤلاء الذين يُعرفون بِسِيمَاهُمْ... والذين اتفقوا على حق الإقامة معاً، حتى أصبحوا عصبة وقوة أعطتهم حق الاستقلال كشعب من الشعوب أو أمة من الأمم الحضارية...

إن"الفولكلور"هو: ثقافة هؤلاء الناس، أو الشعب، أو الأمة التى تكسر حاجز الزمان والمكان:

Folklore is: the cultural way of life; it is the traditional knowledge, beliefs and ideas of community or society learned and handed down from time to time

وتصبح اصطلاحياً ترجمة الكلمة "فولكلور Folklore"-المادة والعلم-: إلى "المأثورات الشعبية"، حينما يصبح "التراث" مأثوراً شعبياً.. إذ إن "التراث" هو: "الإرث".. و"المأثور" هو: ما توارثه الخلف عن السلف... ولهذا نقول:

إن "مادة علم الفولكلور" هى: إرث شعوب وقبائل الأمم الحضارية.. أو ما ورثه الخلف عن السلف.. وينعكس على ممارساتهم الحياتية الثقافية: "المادية واللامادية"... إنها حياة الناس الذين يجمعهم حيز من المكان.. وتوحدهم ثقافة واحدة مشتركة، وتصبح هى النموذج أو المثل الأعلى، والمنهج الذى يسمحون به، ويقتدون به طوعاً حيناً، وكرهاً حيناً آخر...

الفنون الشعبية ما هى

وعملاً على إزالة أوجه الالتباس والخلط العلمى بين الفولكلور-المادة والعلم- وغيره من المصطلحات والترجمات التى لها دلالات علمية خاصة قد تتفق..وقد تختلفَ معها.. نفضل استخدام المصطلح العالمى الأكاديمى "فولكلور Folklore"... إذ إن "الفنون Arts" مفردة

من مفردات "الثقافة الشعبية"، ومصدر من مصادر المعرفة الإنسانية.. وحيث لا يصح إلا الصحيح، من الخطأ أن تكون كلمة أو لفظ "الفنون الشعبية" بديلاً أو مرادفاً للمصطلح العالمي الأكاديمي "فولكلور Folklore"... ومهما تعددت أسباب رفضنا العلمي لهذه الترجمة الضعيفة والخاطئة فمن أهمها: ليس فقط ارتباط كلمة "الفنون الشعبية" بين عموم الناس من الشعب أو الأمة –العربية والإسلامية– بفرق "الرقص والغناء الشعبي".. والتي تدين بظهورها إلى المدنية والمعاصرة.. وبخاصة إلى وسائل الإعلام الحديثة Mass media، وما عرف في مصر–بصفة خاصة– باسم:"الثقافة الجماهيرية Mass Culture" التي اهتم بوجودها بين الناس المهتمون بالدراسات الفولكلورية أنفسهم.. إلى جانب هؤلاء الذين شعروا أن الحياة الحديثة تهدد التراث والمأثور الشعبي...

وإنما يعود رفضنا لأن تكون كلمة: "الفنون الشعبية" هي الترجمة العلمية لمصطلح "فولكلور" لأسباب علمية أخرى جديرة بالأهمية فمثلاً: من الأخطاء العلمية الشائعة بين المتخصصين وغير المتخصصين، والناتجة عن الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية: الخلط بين مصطلح "فولكلور Folklore" ومصطلح "فن شعبي Folk art".. إذ أن لفظ "Art" الإنجليزي في صيغة المفرد اسم مجرد.. ولفظ "Arts" في صيغة الجمع مضاف ومضاف إليه... ومن ثم، ترجمة المصطلح الإنجليزي"Folk arts" للعربية هي "الفنون الشعبية"...

وكذا، من الأخطاء العلمية الأخرى الشائعة: الخلط بين مصطلحين فنيين مترجمين عن الإنجليزية، ولكن يحملان دلالة علمية خاصة تختلف كل منهما عن الأخرى وهما:

الأول: "Folk arts".. والآخر: "Folk art ".

المصطلح الأول Folk arts

ولا يقصد بهذا المصطلح الإنجليزي الأصل "Folk arts"، "فن التشكيل Fine art" كفن من فنون المحاكاة الفنية... وإنما يشير المصطلح الإنجليزي الأصل الذي يتركب من شقين: الأول: "Folk" والثاني: "arts"- في صيغة الجمع– إلى "فنون المنفعة" من الأشكال الثقافية المادية، التي تعين الإنسان على قضاء حوائجه في الدنيا.. سواء من حيث –مثلاً– المشرب، والمأكل، والملبس، والمسكن... أو الأدوات والوسائل التي تعين الإنسان على المعيشة، أو قصد مكان ما، في زمان ما... إنها: "الحرف والصناعات التقليدية الشعبية" أو "أشكال الإنتاج الحرفي والصناعي" من "فنون التشكيل الشعبي" التي تعرف في اللغة الإنجليزية باسم:

1- Performance art

2- Folk arts and Crafts

وهكذا، انشغل المهتمون بالدراسات الفولكلورية من الأجانب والعرب.. والمسلمين وغير المسلمين.. باستخدام الصانع لخاماته البيئية الدالة على ثقافته الشعبية.. واستوقفتهم الأشكال الثقافية المادية النفعية مثل: تزيين وتجميل الإنسان لنفسه، ولمنزله من الداخل والخارج.. وعمارة البيوت والمساجد والأسبلة.. وكذلك النسيج، والسجاد، والكليم، والخيامية، والصناعات الفخارية، والخشبية، والزجاجية، والخزفية، والمعدنية.. وغيره.. إلى أن أصبحت خطاً مثل تلك الأشكال الثقافية المادية النفعية، هي من أهم خطوط الدفاع عن معرفة المسلمين للفنون عموماً.. وللفنون التشكيلية الشعبية بصفة خاصة... وأصبح مصطلح: Folk arts and Craftsمساوياً لكلا المصطلحين الإنجليزيين:

1-Folk arts

2-Performance art

وكلاهما في الترجمة العربية يدلان اصطلاحياً على: "فنون التشكيل والحرف والصناعات التقليدية الشعبية أو "الأشكال الثقافية المادية والتشكيل الشعبي"..أو "فن عرض التشكيل الشعبي":

.Performance art which means: arts and crafts exhibition

وقد رأينا أننا يجب أن نوضح التالي:

"الأداء Performance" في "فنون المنفعة": لا يقصد به الأداة أو الوسيط أو الوسيلة الفنية في "فنون المتعة أو المحاكاة الفنية"... و"التشكيل Formation" في فنون المنفعة أو الحرف والصناعات التقليدية الشعبية مرتبط بفنون تقليدية شعبية ذات طبيعة حرفية.. تتطلب مهارة يدوية Hand Skill.. وخبرة فنية مدربة، ولا يقصد بها الصناعات الثقيلة:Not heavy industries.

وكذلك من الناحية الاصطلاحية فن عرض التشكيل الشعبي Performance artيعني: فنية التنسيق والتنظيم.. أو التكوين والتصميم.. أو العرض الذي يشترط أن يكون بالضرورة طابعه جميلاً:

To make such beautiful job or an activity had shown with highly great skill.

وصار "فن شغل الفراغ.. وإعداد وتنفيذ الفضاء"، يعرف في "فنون المتعة" بمعنى

اصطلاحى أخر هو: "فن السينوجرافيا Scenography".. والقائم به "سينوجرافر Scenographer".

المصطلح الثاني: Folk art

أما المصطلح الإنجليزى الآخر "Folk art"بدون حرف (S)، فيشير اصطلاحياً بعد الترجمة العلمية له من الإنجليزية إلى العربية لمصطلح: "الفن الشعبى Folk art" أو "الفنون الشعبية Folk arts" فى صيغة الجمع.. وهى الأنواع.. أو الألوان.. أو الأنماط.. أو الأشكال التى يدل عليها اصطلاحياً: المصطلح الأكاديمى العلمى الآخر وهو: المحاكاة الفنية Mimesis - Imitation- Representation لأنها شعبية أم غير شعبية هى: الفنون الدالة فى زمان ومكان ما على تلاحم.. وتكامل.. وانسجام جموع الناس ثقافياً...

ومهما تباينت الآراء العلمية حول ماهية المحاكاة الفنية وأهدافها.. يظل الحكم على المنتج الفنى وفقاً لتقسيمنا النظرى النقدى لأنواع المحاكاة الإنسانية... إذ نحن نفرق بين نوعين من أنواع المحاكاة: الأول: المحاكاة الطبيعية.. والثانى: المحاكاة الفنية...

أولاً: المحاكاة الطبيعية:

وهى فطرة إنسانية.. بها يتلقى الإنسان معارفه الأولية.. ولذة المعرفة متنامية.. ولا تقتصر على الفلاسفة.. بل هى لسائر الناس من المهد إلى اللحد...

ثانياً: المحاكاة الفنية:

وهى ملكة أو موهبة إبداعية.. لا تكتمل إلا بتنميتها عن طريق التعليم، والتربية، والتهذيب، والإعلام.. أو التلقين الشفاهى وغير الشفاهى عبر الفرد أو المجموعة.. وعن طريق مؤسسات تعليمية دينية وغير دينية.. لأن الموهبة الإبداعية لا تكفى لأن يكون الفنان معبراً عن بيئته الثقافية الشعبية...

ومن ثم، حينما نتحدث عن "الفن الشعبى Folk art" - بصيغة المفرد- أو "الفنون الشعبية Folk arts" - بصيغة الجمع- فذلك يعنى "فنون المتعة".. التى تدعو إلى التسلية والترفيه .Entertaining أو "المحاكاة الفنية" من: رقص، وموسيقى وغناء، وتشكيل، وأدب، ودراما(٥)...

The entire entertainment art subject such as: dancing and music, painting, writing literature, writing and performing drama.

كيف نؤرخ الفنون

"الفنون الشعبية" عموماً أو "المحاكاة الفنية" من حيث التأريخ والنشأة لا تختلف ما بين .

شعب وآخر أو أمة وأخرى... وعن طريق تأصيل وتأريخ المدرسة النقدية النظرية الفنية الأوروبية -المسيحية،الرومانية،اليونانية- لفنونها التي تعود إلى ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد(٤ ق.م).. عرفنا طبيعة "المحاكاة الفنية"، وكيفية التأصيل والتأريخ لها.. فقد صدرت عنهم مبادئ، وقواعد البحث والدراسة النقدية الفنية.. بل والتصنيف الفني وغير الفني لممارسات الإنسان الحياتية اليومية... ومن المؤكد أن النزعة الفطرية الإنسانية نحو التقليد أو المحاكاة الطبيعية أو اللعب الطبيعي ما هي إلا البدايات الأولى للفنون عموماً... واختص النقاد بالذكر دون أدنى تميز بين فنون شعبية، وفنون غير شعبية، حادثة الإنسان الأول الذي حاول -على سبيل المثال لا الحصر- قص واقعة أو حادثة رحلة صيده لأسرته(٦) الصغيرة أو الكبيرة.. أو قص بطولاته ومغامراته في البر والبحر.. وفي السلم والحرب.. ومستعيناً بإمكانياته البشرية والبيئية التي تعينه على إعادة عرض الأحداث.. فقد فضله الله -جل شأنه- على العالمين.. وخصه الله بقدرة إنسانية على إعمال الخيال.. وتصوير الأحداث.. وصياغة الصورة الفنية.. مستعيناً بأدوات أو وسائل.. وطرق أو أساليب تعينه على الحكي أو القص.. سواء بالإشارة.. أو الإيمائة والحركة.. والكلمة المصاغة بشكلٍ فني.. وبمصاحبة الموسيقى أو الأداة الموسيقية أو بدونهما...

وانطلاقاً من مثل تلك "الحواديت" المصاحبة بالرغبة الطبيعية في المحاكاة أو اللعب والأداء الطبيعي.. ومع سعي الإنسان الدائم وراء المعرفة.. وبتمثله لفكرة الحياة والموت.. وبمعرفته لقوى الصراع بين الخير والشر: عرف الإنسان أن الصراع صفة طبيعية إنسانية قبل أن يكون صفة فنية... وحينما وجد الإنسان نفسه في مقابل الطبيعة.. وبمعرفته لمواسم الحصاد وفصول السنة.. بل ومع غياب التفسير الديني لوجود الله الواحد الصمد: نشأ التفسير العقائدي الأسطوري للقوى والظواهر الطبيعية المدركة.. والخارقة أو الخارجة عن مداركه، ونطاق حواسه، وتجاربه في الحياة... وصورها على شكل آلهة، وأنصاف آلهة.. سواء أكانت في صورة إنسان.. أم حيوان.. أم نبات.. أم جماد.. وغيره.. فجاءت كمحاولة واعية من الإنسان الأول لكي يفهم.. أو يسيطر.. أو يتغلب.. أو يبتعد.. أو يقترب.. ويتعبد إلى القوى الإلهية سواء الطبيعية الملموسة والمحسوسة.. أو الغيبية غير الملموسة أو غير المحسوسة.. أو القوى الخارقة والأسطورية... وحينما ربط الإنسان وجوده ومصيره بهذا.. وذاك.. وبقوى وعوالم منظورة.. وغير منظورة.. بنى لها دور عبادة.. وابتكر لها الطقوس الدينية.. التي جمعت داخل دور العبادة وخارجها كثيراً من الممارسات الحياتية العقائدية...

إننا نتحدث عن "الطقوس الدينية" أو التعبيرات والأشكال المادية واللامادية -الروحية أو المعنوية- التى كانت تقدم داخل دور العبادة وخارجها.. والتى احتوت.. أو لم تحتو على: قرابين، وحركات تعبيرية، وكلمات مصاغة بشكل فنى.. إلى جانب: الأزياء والإكسسوارات، والتجسيم المادى أو التشكيلى.. والتشخيص، والموسيقى والغناء.. والمواكب الاحتفالية الدينية التى كانت تقام داخل دور العبادة وخارجها.. وتنحو إلى تجميع مجموعة من الناس إما بالمشاركة في الطقس.. أو الاقتصار على المشاهدة.. فيما يعرف فى إطار الدراسات الفولكلورية تحت مسمى اللعب الطبيعى باسم: "اللعب الاحتفالى الدينى"...

إن "الطقس الدينى" هو: النُظُم والترتيبات الدينية التى تربط العبد بالمعبود.. وتعبر عن آراء أصحابها فى العقيدة فى عصور ما قبل الديانات السماوية... وبمعنى آخر، "الطقوس الدينية" هى: نُظُمُ الخدمة الدينية التى كانت تقام فى الأعياد، والمناسبات، والاحتفالات الدينية وغير الدينية... وما كان استقلال الوسائل أو الأدوات، أو الوسائط ذات الطبيعة الفنية مثل: الخط، واللون، والتشكيل، والكتلة، والموسيقى، والكلمة المصاغة بشكل فنى.. وخروجها من دور العبادة لقدسيتها إلا بداية تاريخ الفنون الشعبية أو المحاكاة الفنية على تنوعها.. والتى بالضرورة تختلف باختلاف شعوب وقبائل الأمم الحضارية، وبمدى تمتعها بخصوصية "ملكة الإبداع".. و"ملكتى التذوق والنقد معاً".. وهذه "الملكات" هبة أو منحة ربانية من الله سبحانه وتعالى لخلقه من بنى آدم... تُربى.. وتُهذب.. ليخرج المنتج الفنى جميلاً.. ولكن أن تُحرم "ملكة الإبداع" فهذا شىء مرفوض، وغير مقبول.. وكأن من يدعو إلى ذلك قد نصب نفسه إلهاً على الناس فى الأرض!!!

نشأة الفنون فى إطارها الحضارى القديم

إن لكل شعب من الشعوب أو أمة من الأمم أساطيرها.. ومصر بوصفها من أولى الحضارات والثقافات الإنسانية.. فهى بالضرورة قد عرفت "الطقوس الدينية" التى وصفت مجازاً بما يمكن أن نسميه: "مسرحة الطقس" أو "الطقس الدينى المسرح"... ولقد حظيت بعناية خاصة "الطقوس الدينية" التى اتصلت بإله الخصب والنماء فى العوالم الحضارية القديمة.. فمثلاً هو: "أوزوريس" فى مصر القديمة.. و "تموز" أو "دموزى" فى العراق القديمة.. وهو أيضاً "موت" إله الخصب والنماء فى فينيقيا القديمة... والإله "ديونيسوس" عند اليونانيين القدماء...

ومن أقدم العروض الجماهيرية الدينية التى كان يقوم بأدائها خدام دور العبادة ذات الصفة الفنية والمضمون الدينى.. ما تحفل به الآثار أو الجداريات المصرية القديمة من

شواهد.. والتى تشير إلى البدايات الأولى للفنون عند المصريين القدماء... وإذا ما حاولنا تأصيلها على غرار المحاولات التى تمت لتأصيل الفنون عند اليونانيين القدماء، فإن أقدم هذه الشواهد كانت: تلك العروض الطقسية التى ارتبطت بأسطورة: "إيزيس وأزوريس".. وكانت أحداثها تدور حول مقتل "الإله أزوريس: إله الخير" فى اليوم الموافق السابع عشر (١٧) من شهر (هاتور) المعروف فى التقويم المصرى القديم، وهو يوافق أحد الأيام من الثالث عشر(١٣) إلى السادس عشر(١٦) من شهر (نوفمبر)، على يد شقيقه "إله الشر: ست"، وبعثه من جديد بعد تقطيع أوصاله إرباً.. إرباً.. ثم تجميعها مرة أخرى على يد شقيقته وزوجته "إيزيس".. وميلاده من جديد فى جسد ابنه "حورس".. الذى ينتقم من عمه "ست"، ليعم الخير، والخصب والنماء من جديد فى مصر...

ولهذا نقول:

إن "الطقس الدينى" هو الجانب المجسد للعقيدة.. أما "الأسطورة" فليست فنوناً قصصية، وحكايات شعرية.. إنها فى الأصل معتقد دينى يعبر عن "فكر" أصحابها فى العقيدة غير السماوية -الوثنية-... ولقد ظهرت فنون المتعة أو المحاكاة الفنية بعد أن استوعب الإنسان الأول فى الحضارات القديمة علاقته بعالم الآلهة فى "الطقس الدينى".. ثم من بعد ظهور القصص الأسطورى الذى يدور حول عالم الآلهة، وعلاقة الإنسان بالعوالم الثلاثة: "العالم الأعلى، والعالم الأرضى، والعالم السفلى".. وانتقال هذا الإنسان الأول بالقصص الأسطورى من حالة العبادة والطقس.. أو التجسيد لحدث طقسى دينى إلى العروض الفنية المسرحية سواء الموسيقية والغنائية أو التعبيرية الحركية الراقصة والدرامية... وهذه هى بداية تاريخ المحاكاة الفنية التى تختلف باختلاف شعوب وقبائل الأمم الحضارية...

ومن ثم، مثلما أُرخ للدراما الأوروبية: "المسيحية، الرومانية، اليونانية".. يمكننا أن نقول:

إن الفنون وليدة العقيدة.. وإذا ما كانت فنون الشعر الدرامى اليونانى القديم كـ الملحمة والتراجيديا من أهم مصادر معرفة الأسطورة اليونانية القديمة... فإن عدم وجود الشواهد المادية الدالة على معرفة المصريين القدماء للعروض الفنية غير الدينية، هو الذى يجعلنا نسأل عن ماهيتها وطبيعتها؟!

الناس والفنون

نحن نعلم أن المصريين القدماء قد سجلوا حياتهم على الجدران-المقابر والمعابد- وأنهم قد عرفوا "العروض الجنائزية" أو "المسرحيات الدينية المحجبة" ذات الصبغة أو الطبيعة

الدينية التعليمية.. أو "مسرحيات الأسرار والمعجزات Mysteries play" أو "المسرحيات العاطفية-الآلام- The passion play" أو حتى "المسرح الدينى"، و"الدراما الطقسية"، أو"الدراما المقدسة الشعبية"...[٧] وهذه -كما نرى- كلها أسماء أطلقها "مجازاً" المتخصص وغير المتخصص فى الدراسات الفنية النقدية والنظرية على كافة العروض الطقسية الدينية المسرحة داخل دور العبادة، والتى يؤديها خدامها.. إذ بسبب طبيعتها الدينية التعليمية الوعظية، هى من المؤكد ليست من فنون المتعة أو المحاكاة الفنية التى تهدف إلى التسلية والترفيه Entertaining والدالة على معرفة شعوب وقبائل الأمم الحضارية لأشكال "المسرح الشعبى أو الدراما المسرحية الشعبية"... وهذا ما لم تكشف عنه الآثار المصرية القديمة بعد!!!

وحينما عمد المتخصص وغير المتخصص إلى دراسة حركة المسرح المصرى - فيما قبل الإسلام، وما بعد الإسلام- لم يحرص كثيراً على التمييز بين كيفية التأصيل أو التأريخ للفنون Arts على تنوعها، وتاريخ كل فن Art من الفنون على حدى... إذ إن "التأريخ" هو تسجيل الأحداث، والوقائع، والشواهد من واقع استقصاء الأسس والقواعد التى يقوم عليها الشىء قبل تدوينه... أما "التاريخ" فهو السجل نفسه.. إنه جملة إنجازات الإنسان ككائن اجتماعى ثقافي... إنه جملة الأحوال، والأحداث، والشواهد، والوقائع التى مر بها الإنسان فى حياته اليومية... أى أن الوجود الإنسانى حقيقة.. والحدث المؤرخ له هو الذى يدور حول الإنسان.. فهو القادر على الفعل حيناً.. والعاجز عن الفعل حيناً آخر...

ومما لا شك فيه، أن خصائص ومعايير المنتج الفنى من الناحية الوظيفية، والجمالية هى من أهم العوامل المساعدة فى تحديد أوجه الاختلاف ما بين: "فنون المنفعة" و"فنون المتعة".. إذ إن "المنتج" على تنوعه لدى شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، هو الذى يجمع بين قطبين: الأول: يختص بملكة الإبداع، والحرفة أو الصنعة.. والثانى: وثيق الصلة بملكتى التذوق والنقد معا.. وكلاهما عرضة للاستحسان والاستهجان أو القبول والرفض...

وبمعنى آخر، يختلف "المنتج" من فنون المنفعة، ومن فنون المتعة شكلاً ومضموناً باختلاف الموضوع المحاكى، والوسائل أو الأدوات والوسائط، والطريقة أو الأسلوب... وقيمة كل منتج من فنون المنفعة، ومن فنون المتعة تنبع من حسن استخدام الصانع أو الحرفى أو الأسطى، وكذلك الفنان لأدواته التى يظهر فيها مدى حرص كل واحد منهم على عدم صرف انتباه الناس عن عبادة الله الواحد الخالق جل شأنه.. وعدم خدش الحياء

العام.. التزاماً بالقانون الإلهى والمدنى (الوضعى)، اللذان يجب ألا يتعارضا معاً.. حتى ولو اقتصر الأمر على الالتزام بأحدهما دون الآخر.. وهى علامة أو دلالة وظيفية، وجمالية تؤكد على تلاحم وانسجام القائم على تنفيذ المنتج أياً كان: من فنون المنفعة أم من فنون المتعة مع عموم الناس ثقافياً...

علماً أن "فنون المتعة " تفترق عن "فنون المنفعة " فى وظيفة نفعية، وجمالية هامة، ألا وهى: الاتفاق الضمنى بين المرسل: الفنان الفرد أو مجموعة الفنانين مع المتلقى أو الجمهور، المرسل إليه على "اللعب أو اللهو".. إذ تهدف "فنون المتعة" على تنوعها، إلى إشباع رغبة الإنسان الطبيعية التى يولد بها للعب واللهو بقصد التسلية والترفيه Entertaining...

اللعب ما هو

و"اللعب" احتياج إنسانى، وشكل من أشكال الفعل، أو النشاط الإنسانى الذى يحققه تطور العمل أو تصاعد الفعل لا قيمة الفعل ذاته.. كما أن المكسب أو الخسارة فى اللعب على تنوعه قيمة فى ذاته.. ويهدف إلى تزجية أوقات الفراغ، وإضفاء نوع من الفرح والسعادة.. أى المتعة المصحوبة بفائدة إنسانية مرجوة من وراء اللعب فى ذاته... إذ تمارس الألعاب على الملأ فى زمان ما، ومكان ما.. بحيث لا تلهى الإنسان عن عبادة وذكر الله تعالى.. وإلا تحولت الألعاب على تنوعها من لعب محمود إلى لعب مذموم...

ومن ثم، يجب أن نميز أو نفرق بين نوعين من أنواع اللعب الإنسانى :Play- Game الأول: اللعب الطبيعى.. والثانى: اللعب الفنى..

ومن أشكال اللعب الطبيعى:

أولاً: ألعاب الصغار والكبار.. ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الألعاب الإيهامية- الإيحائية- أو الألعاب التمثيلية الطبيعية.

٢- الألعاب الرياضية.

٣- الألعاب الورقية.

٤- الألعاب الذهنية.

ثانياً: اللعب الاحتفالى الدينى وغير الدينى:

وهى ممارسات حياتية عقائدية تؤدى داخل دور العبادة وخارجها.. وصارت من عادات وتقاليد شعب ما أو أمة ما.. ومنها: المواكب الاحتفالية الدينية وغير الدينية.. والكرنفالات الشعبية التى تنحو نحو التجمع أو التجمهر.. وغيره.. علماً أن "اللعب الطبيعى" يصل إلى ذروته وقمته حينما يكون لعباً فنياً...

أما النوع الثانى من أنواع اللعب الإنسانى فهو:

"اللعب الفنى" الذى يلبى رغبة الإنسان فى الإبداع والتحرر.. لا الإخلال بقيم الإنسان، وهويته الثقافية.. وقد يتخذ بعض اللاعبون من أنواع معينة من اللعب الطبيعى، واللعب الفنى حرفة لا هواية...

ومن نماذج اللعب الفنى:

أولاً: الفنون والألعاب السيركية: والتى جمعت أنواع التمثيل المختلفة من فنون العرض أو فنون الشوارع، أو الفرجة الشعبية.. كالقرداتى.. والبهلوان.. والحاوى.. ولاعبى البيانولا.. وآكلى النار.. وغيره.. مما هو مثير، وينحو إلى التجمهر، ومما نراه اليوم فى الألعاب السيركية...

ثانياً: أشكال المحاكاة الفنية ومنها:

١- الرقص. ٢- الموسيقى والغناء. ٣- التشكيل.

٤- الأدب. ٥- الدراما أو الأدب التمثيلى.

مع ملاحظة أن المشاركة فى الوظيفة والهدف هى التى تحدد نوعية ليس فقط المنتج الفنى المحاكى، بل ونوعية المتلقى أو الجمهور المرسل إليه أيضاً...

الفنون والأداء

إن "الفن": "معرفة إنسانية، تجمع بين الإدراك عن طريق الحواس، والتفسير العقلانى"... و"المنتج الفنى": "فعل أو عمل أو ممارسة إختيارية محكومة بالعقل لا الغريزة"... ومما لا شك فيه، أن "الأداء الفنى Performing" هو الدال على هوية المنتج الفنى شكلاً ومضموناً...

وقد ساهمت فنون الاتصال الجماهيرى Mass Communication ووسائل الإعلام الحديثة Mass media فى التأكيد على أهمية دراسة طبيعة الاتصال فى الفنون.. وعلى العلاقة بين المرسل والمرسل إليه (المُتلقى)...

إلا أن الدراسات النظرية النقدية الفنية وغير الفنية –للمتخصص وغير المتخصص– التى جعلت مثلاً: من البعد الاجتماعى، أو البعد الاقتصادى، أو البعد السياسى، أو البعد النفسى.. وغيره.. مدخلاً لدراسة المنتج الفنى المحاكى... وكذلك الدراسات الإنسانية غير الفنية مثل: الدراسات الاجتماعية، والأنثروبولوجية، والإثنولوجية، والفولكلورية –ذات الطبيعة الإثنية أو الأنثروبولوجية أو الاجتماعية– هى التى فرضت مصطلح "الأداء Performance"(٨).. والذى كان انتشاره بين المتخصصين وغير المتخصصين فى الدراسات

النظرية النقدية الفنية سبباً من أسباب الخلط بين "الأداء الاجتماعى أو اللعب الطبيعى والمحاكاة الطبيعية" من جهة.. و"الأداء الفنى أو اللعب الفنى أو المحاكاة الفنية" من جهة أخرى... إلى الحد الذى معه نظر المتخصص وغير المتخصص إلى الأنشطة الفنية التى لم تثير اهتمامه درامياً ومسرحياً، ووضعها تحت مسمى: فنون الأداء الشعبى أو فنون العرض الشعبى أو فنون الفرجة الشعبية...

إن "الأداء" فى المعاجم العربية يعنى: القيام بـ.. أو قضاء الشىء.. أو التوصيل... ونحن لسنا بصدد مناقشة "الأداء Performance" كمهارة أو كسلوك أو كنشاط تشترك فيه المخلوقات الحية الإنسانية والحيوانية.. ولكننا نشير إلى أن: "الأداء فى الفنونPerformance in arts" عموماً: ما هو إلا أداة أو وسيلة أو وسيط فنى يحدد لنا شكل أو تكوين المنتج الفنى المحاكى سواء فى الرقص، أم فى الموسيقى والغناء، أم فى التشكيل، وفنون الأدب والدراما.. وهذه جميعها من الفنون التى تعرف باسم: "الفنون المسرحية Theatrical arts" أو "فنون العرض المسرحى Performance Theatricality"... ومصطلح "الأداء فى الفنون Perfor-mance in arts" يشير إلى معنى واحد لا ثانٍ له هو: "فنون العرض المسرحى Theatrical arts".. التى تجمع بين كافة أشكال المحاكاة الفنية...

إن لكل فن من الفنون لغتة الخاصة، وقيمته التى تتصل بالإبداع من جهة، والتلقى من جهة أخرى.. و"التأدية فى المسرح performing"in theatre عامة، وعروض المنوعات المسرحية Variety show" خاصة.. أو"التمثيل Acting فى المسرح theatre والسينما Cinema".. -Acting or performing in plays or films- من فنون الفرجة التى تستهوى الناس... وفى اللغة الإنجليزية "الأداء فى الفنون" له مدلولان أساسيان:

الأول: "Performance art" وهنا كلمة (Art) بدون حرف (S)، وهو الدال اصطلاحياً على: "فن عرض التشكيل الشعبى أو Folk arts and crafts" الحرف والصناعات التقليدية الشعبية...

والثانى: "Performance arts" وهنا كلمة (Art) مضافاً إليها حرف (S).. وهذا هو المصطلح الذى يعبر عن "فن أو فنون الأداء الشعبى".. وهى العروض الفنية الحية.. ذات الطبيعة الأدائية المسرحية أى Theatrical كـ الرقص والموسيقى والغناء والتمثيل...

إذ قد يكون"المسرح Theatre" كـ مكان ودار عرض مكاناً لعمل غير فنى، كأن يكون مكاناً لالتقاء مثلاً: السياسى أو المحاضر بمجموعة من الناس... ولكن ليس كل ما يقوم به الإنسان من أجل الآخر، أو من أجل نفسه هو "الأداء الفنى"، وإلا أصبحت كل الأنشطة،

والممارسات الاجتماعية الدينية وغير الدينية: "فنون أدائية مسرحية".. أو "فنون عرض" تهدف إلى: "التسلية والترفيه Entertaining"...

الجمال فى المنتج الفنى النفعى

والحقيقة، أن بعض الباحثين الأجانب والعرب.. المسلمين وغير المسلمين.. ممن اهتموا بدراسة الإبداع الفنى كنشاط اجتماعى.. قد أخطأوا حينما ساووا بين الوظيفة النفعية الجمالية فى فنون المنفعة، وفنون المتعة، إذ على سبيل المثال لا الحصر، استوقفتهم "الأشكال الثقافية المادية النفعية".. وخلطوا بين الجمال النفعى الوظيفى فى "فنون المنفعة"، والجمال الوظيفى الفنى فى "فنون التشكيل الشعبى" التى تنحو كفن من "فنون المحاكاة" إلى إثارة المتعة والفائدة معاً...

وبحجة ندرة الرسوم والتصاوير الآدمية والحيوانية بين "الناس" الذين يستمدون عضويتهم الجماعية بالانتساب الواعى.. وغير الواعى لمنهج أو قوى نسق القيم أو مبادئ الثقافة الإسلامية.. اهتم المتخصص وغير المتخصص بدراسة: "الصناعات والحرف الشعبية Performance art or Folk arts and Crafts.. إلى أن أصبحت خطأً مثل هذه الممارسات الحياتية، من حيث الموضوع أو ميدان الاختصاص هى الأشكال المعبرة عن "الفنون التشكيلية الشعبية الإسلامية Fine arts".. وبصفة خاصة، من بعد الفتح الإسلامى لمدينة "مكة" بيت الله الحرام.. يوم الاثنين الموافق: (١٠ رمضان سنة ٨ هـ/ ١ يناير سنة ٦٣٠م).. هذا اليوم الذى شهد هدم ما نُحت من حجر-التماثيل- التى تعرف بـ"الأصنام"، وتنم عبادتها عن الشرك بالله الواحد الأحد الذى لا شريك له.. وأضحت مشكلة "التصاوير" منذ ذاك التاريخ سبباً من أسباب "تحريم التماثيل"...

ومما لا شك فيه، إننا لسنا مؤهلين، ولا مفوضين بالحديث عن الحلال والحرام.. ولكن على الإنسان أن يفتى قلبه إذا ما عجز عن الوصول إلى الحقيقة... إذ نحن نرى أن الأصوات التى لم تحكم لا العقل.. ولا الحواس باطلة.. وهى أحد أهم أسباب فقدان الناس-وهم ليسوا قلة من المسلمين- القدرة على التفرقة بين "التمثال كصنم".. و"التمثال كمنتج فنى تشكيلى".. وصدق الله العظيم الذى يقول فى الآية: ٣٠ من سورة الحج: [... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ...]

وبعيداً عن المهاترات العلمية، وغير العلمية.. وعدم الخوض فى تفصيلات لا داعى لها: "الحلال بين، والحرام بين".. من عبد الأصنام صلى ناراً... فى حين لا شبهة فى "التمثال" كمنتج فنى تشكيلى محكوم بقوانين "المنتج الفنى المحاكى".. ومن أهمها: إلتزام الفنان

بمبادئ وقواعد الحكم باسم الدين الإلهي.. أو الحكم باسم الدين الطبيعي-الذى يشترط ألا يتعارض معه-... وقد فصلت الناس بين ما حرمه الله عز وجل فى الدنيا .. وبين معنى الخشية من التمثيل أو التصوير الفنى.. حينما قالت كلمتها في المثل الشعبى القائل: (الصورة حا تنطق).. أى إن الصورة كادت تنطق من شدة حسن استخدام الصانع أو الفنان لأدواته...

وكذا، تزيين الشئ المادى وتجميله لا يعنى الموافقة على دعوة تحويل "بيوت الله" والمناطق المحيطة بها إلى "أماكن أثرية"، وتصبح خاوية من عمارها!!! إذ يساهم فقدان الناس الإحساس بالمكان فى فقدان الهُوية الثقافية لشعب ما أو أمة ما... وإذا ما كانت على سبيل المثال، "أبراج الكنيسة وأجراسها" عند المسيحيين فى العالم.. و"الهيكل أو المذبح أو صحن الكنيسة".. من العلامات الدالة على العمارة الخارجية والداخلية التقليدية الدينية المسيحية... فإن من أهم الأشكال الثقافية المادية -أيضاً- الدالة على الوحدة الثقافية لدى شعوب وقبائل الأمة الإسلامية في الأرض، سنجد "المئذنة" و"القُبة" هما علامة من علامات تزين وتجميل المساجد من الخارج.. بينما نجد داخل المسجد "المنبر" إلى جانب "المحراب" شاهداً على مهارة، وإبداع الصانع والحرفى -الأسطى- فى الحرف والزخرفة على الخشب المطعم بالأبنوس، والعظم، والعاج، والصدف، والرسومات الهندسية...[9] هذا إلى جانب الأساليب الأخرى التى استحدثها الصانع فى الرسم على الزجاج، وفى المشكاوات، وفن الرقش والمنمنمات والأرابسك، إلى جانب الرسوم التوريقية والنباتية التى تزين صفحات "القرآن الكريم" من أجل تحبيب المسلم فى فتح صفحات كتاب الله عز وجل... وكذا، عناية المسلم بتعليم الخطوط العربية، حتى أصبح لها مؤسساتها التعليمية الخاصة...

رسوم الحج

ومن المثير للدهشة، أن كثيراً من المهتمين بالبحث عن الأشكال الفنية التشكيلية Fine arts، قد اتخذوا من تسجيل المسلم لرحلة حجه إلى بيت الله الحرام، نموذجاً للفنون التشكيلية الشعبية المصرية.. فى حين قصد المصرى من وراء ذلك، مجرد تزيين وتجميل جدران داره برسوم بسيطة تفي بالغرض.. وبمجموع الفكر الكامنة وراءها.. والتعبير عن مظهر من مظاهر الفرح والسعادة المتصلة بأداء أحد أركان الإسلام، وهى "فريضة الحج"... كأن يرسم الحرفى-مثلاً- "الحاج" بجانب "الكعبة" و"الجمل" الذى لازم حياة الإنسان فى ترحاله، ومأكله، ومشربه.. إلى جانب "السفينة"، و"القطار"، و"الأتوبيس

السياحى"، و"الطائرة".. بل وكما يقال من "الجمل إلى الصاروخ".. ونجد إلى جانب كل هذه الرسوم: "النخيل" و"الشمس" و"الأهرامات".. وليحيط الحرفى كل ذلك بعبارات مناسبة مثل: (حج مبرور).. وآيات قرآنية كريمة، مثل قول الله تعالى فى الآية: ٩٧ من سورة: آل عمران: [... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً...]

دق الوشم

كما استوقف البعض أيضاً، متخصصين وغير متخصصين "الصور الجمالية الفنية النفعية" لما هو على هيئة طير أوحيوان أو إنسان وعلى الأسطح الجدارية والأوانى الفخارية وغير الفخارية.. هذا إلى جانب "وسم الحيوانات"، و"الوشم"(١٠) الذى يعجب البعض من الناس على المستوى الفردى لا الجماعى...

وقيل -مثلاً- عن الوشم بالسمكة، والنخلة.. أنهما يرمزان لمصر القديمة قبل الإسلام... بيّنما عن رسوم أخرى مثل: "القمر، والنجمة، والهلال" أنها ترمز إلى مصر الإسلامية.. فى حين حينما تزين، وتجمل المرأة نفسها بتلوين ذقنها أو شفاهها باللون الأخضر (دقه) فذلك فأل حسن عند صاحبته، ويرمز إلى الخصب والنماء... ومن الناس أيضاً، من يكتب اسمه، وتاريخ ميلاده على ساعده... والبعض الآخر يرسم صليباً.. وذلك حتى يميز الإنسان المصرى المسيحى نفسه عقائدياً عن أخيه المصرى الذى يدين بشهادة :"لا إله إلا الله، محمد رسول الله"... وأما عن تصور الرجل للمرأة، فقد رسمها بين سمكتين، ومن حولها الثعبان، أو فرع النخلة كسوار.. كما رسمها وهى تمسك بسيفٍ فى يد، وباليدِ الأخرى حمامة... ولكنه حينما يحب رسم صورة خاصة به كصورة فتاة أحلامه، أو فتاة أحبها مثلاً، أو حتى صورة امرأة عارية، فذلك ينم عن خصوصية شديدة يحتفظ الإنسان بأحقيته فيها وحده، بحيث لا يكشف عنها.. خوفاً من أن يراها البعض، ويُتهم بالخروج عن المألوف، والعرف، ويصبح عرضة للاتهام بالخروج عن مقومات الدين...

إن الصور الفنية فى رسوم الوشم توضح لنا علاقة الإنسان المصرى بالله، والطبيعة، والبيئة المتصلة بالحياة النيلية.. ولكنها ليست أعمالاً فنية تشكيلية شعبية مصرية.. ولا فعل إنسانى يعبر عن جانب اعتقادى دينى إسلامى أجمعت على ممارسته الناس... وإنما "الوشم" مثله مثل "رسوم الحنة" فعلٌ اختيارى قائم على مجاراة العرف، والعادة، التى يسهل قبولها، أو رفضها.. وعرضة للتغير طبقاً لذوق الفرد، ويمدى علاقة هذا الفرد بالمعتقد الدينى.. خاصة بعد أن أصبح "الوشم" اليوم يتميز بسهولة طبعه، ومسحه وقتما يشاء الفرد، دون أدنى شعور بأى نوع من أنواع الألم الجسدى كالحرق، أو الوخز بالإبر...

صور فنية عرائسية جمالية

وما زال الفلاح المصرى -مثلاً- محتفظاً فى حقله بجانب "الساقية"، و"المحراث" بما يعرف باسم "خيال المآتة".. والمثل الشعبى يقول (عامل زى خيال المآتة)... وهى عروسُ من القش فى وسط الحقل.. يكسوها الفلاح بملابسٍ أدمية لتبعد الطيور عن زرعه... أى إن "العروسة" تلعب هنا دوراً نفعياً كأداة أو وسيلة مساعدة للفلاح...

وفى مصر أيضاً، لم يقطع (المنجد) عادته بإهداء عروس من القماش ليلعب بها أطفال المنزل الذى قصده بغرض تجهيز مراتب القطن، وما فى حكمها من "مخدات وألحفة"... فى حين "عرائس المولد"[١١] وهى دُمى مصنوعة من الحلوى "السكر المعقود"، وفى ملابسٍ مزركشة، وألوانٍ زاهية متباينة.. مازالت تسر الناس، وتضفى نوعاً من أنواع الفرح، والمرح، والسعادة بين الناس المرتبطة عاطفياً بذكرى الاحتفال بمولد النبى الرسول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام...

وإذا ما كانت "العروسة" فى الأمثلة السابقة ما هى إلا أداة أو وسيلة نفعية جمالية متصلة بعادة من عادات المصريين، فإن الصور الفنية المسرحية العرائسية تتعدد بتعدد الشخوص الدرامية المسرحية الشعبية المصرية، فى "فن خيال الظل" و"فن الأراجوز" -على سبيل المثال- إذ طلباً للفرجة، والمتعة كانت "العروسة" هى الأداة أو الوسيط الفنى المسرحى الشعبى، بين "الممثل الشعبى" من جهة، وجمهوره المتلقى والمتذوق لفنه من جهة أخرى...

المولد احتفالية محلية ثقافية

ومما لا شك فيه، أن "الموالد" بوصفها احتفالية اجتماعية دينية موسمية فى مصر الإسلامية تتمتع بخصوصية بيئية ثقافية اجتماعية خاصة، لجمعها لكثير من الممارسات الحياتية المختلفة التى تتيح فرصة التعرف على كثير من العادات والتقاليد الشعبية المصرية، ومنها ما قد يتفق مع أصول الدين وحقيقة المعتقد الدينى، وما قد يتعارض معه ومع أصول الدين الإسلامى... فقد جمعت احتفالية "المولد" فى زمان ومكان واحد -داخل المسجد وخارجه- مختلف الممارسات الحياتية الدينية وغير الدينية...

و"المولد" كتعريف إجرائى هو: احتفال بيوم الميلاد، بدءاً من احتفالية "المولد النبوى الشريف" إلى احتفالية "المولد" بولى من أولياء الله الصالحين، الذين تنتشر أضرحتهم على كل بقعة أو رقعة من أرض مصر... ومثلما يتمتع الاحتفال بالمولد فى مصر بين المسلمين و المسيحيين بخصوصية زمان ومكان المُحتفى به على مستوى المعتقد والعادة

أو التقليد[١٢] فهو أيضاً، من أهم المناسبات الموسمية التى إرتبطت إقامتها بصورة دورية وفق الدورة الزراعية فى مصر.. فكلما باع الفلاح محاصيله كلما راجت الأوضاع التجارية أو الاقتصادية.. وحسنت أوضاع الناس المالية.. إضافة إلى رواج كثير من الملاهى الحسية، كالدعارة وتعاطى المكيفات على اختلاف أنواعها!!! وكانت مناسبة "المولد" خير مناسبة للزواج.. مما ساعد على استمرارية بقاء فنون المتعة كالفنون السيركية، وفنون الشوارع.. وفنون الرقص والموسيقى والغناء، والأدب، والدراما المسرحية الشعبية.. وغيره ..

ولعل طبيعة المناسبة الاحتفالية بمولد من موالد أولياء الله الصالحين فى مصر الإسلامية، واشتمالها على كثير من الممارسات الحياتية الدينية وغير الدينية.. الفنية وغير الفنية.. المادية واللامادية -الروحية- قد جعل لها خصوصية ثقافية، تختلف عن طبيعة الأداء الممسرح لسيرة حياة "إيزيس و أزوريس" الدينية الأسطورية المصرية القديمة -فى عصور ما قبل الإسلام- واحتفالية "التعازى" التى ظلت محصورة عقائدياً بين "أهل الشيعة" من المسلمين، منذ أحداث العاشر(١٠) من الشهر الهجرى المحرم عام (٦١هـ).. وذلك لأن كلاً من: "احتفالية إيزيس و أزوريس"، و"احتفالية التعازى الشيعية" تعد ممارسة حياتية تعمل على "تثبيت العقيدة".. وهى دروس تعليمية وعظية تقدم داخل دور العبادة وخارجها، ويقوم بأدائها خدام دور العبادة...

الباطل مالوش رجلين

وقد ساهم عدم التمييز بين كيفية التأريخ للفنون.. وتاريخ بداية كل فن من فنون المحاكاة على حدى.. وكذا الخلط بين وظيفة "الطقس الدينى" أو "الشعيرة الدينية" من ناحية.. ووظيفة "فنون المتعة" أو "المحاكاة الفنية" من ناحية أخرى، فى أن يرى البعض خطأً أن "الزار" دراما شعبية أو مسرحاً غنائياً- مكتمل أو غير مكتمل- أو دراما طقسية فوكلورية[١٣] وهذا شطط علمى آخر غير واعٍ!!! لأن "الزار" فى حقيقته- دون إطالة- ليلة تقام لشخصٍ ملبوس.. تأتيه "الشيخة" أو"الكودية" بصحبة مساعدين لها.. وعلى دقات وإيقاعات موسيقية، تُقدم الهدايا أو القرابين لطرد أو استرضاء الأرواح (الشريرة)!!! فهل هذه فرجة شعبية مصحوبة بمتعة؟! أم طريقة من طرق العلاج الشعبى؟!

إننا من المؤكد لسنا أمام أحد فنون المتعة، ولسنا أمام أداء حركى راقص أو حفلة راقصة – ديسكو-ولا حتى أمام فنون عرض مسرحى شعبى أو فرجة شعبية.. فليس معنى ظهور فرق فنية متخصصة اليوم لتقديم "الزار" كعرض احتفالى جماهيرى، أو

كعرض فنى مسرحى: تمثيلى أو غنائى أو راقص أن "الزار" فى أصوله التقليدية من العروض الفنية المسرحية الشعبية...

ومما لا شك فيه، أن العلاج النفسي عن طريق الدراما من إحدى طرق العلاج النفسي Therapy.. التى بدأت مع النصف الأول من القرن العشرين.. ومازالت مستمرة داخل مستشفيات العلاج النفسي.. منذ أن قام "جاكوب ليفى مورينو١٨٨٩-١٩٧٤م" بتأسيس أول جمعية للعلاج بـ"السيكودراما Psychodrama" عام (١٩٤٢م)... ولكي نوضح هذا المعنى بدقة نقول:

"إن السيكودراما مزيج من علم النفس والدراما.. إذ تقدم العلاج النفسي من خلال إعادة تمثيل الواقع لا محاكاته فنياً... والكلمة سيكودراما فى اللغة الإنجليزية: Psycho-drama تتركب من شقين: الأول: Psycho وتعنى نفسى.. والثانى: Drama وهى النص الأدبى التمثيلى.. أى إن الهدف من السيكودراما هو: إعادة تمثيل المرضى النفسيين لانفعالاتهم واضطراباتهم النفسية.. وإخراجها تحت إشراف الأطباء النفسيين فى صورة درامية مسرحية... أى إنها طريقة من طرق العلاج Therapy... وهو ما يتنافى مع هدف المحاكاة الفنية.. وطبيعة اللعب الفنى... لأن الدراما Drama فن من فنون المحاكاة.. ومن أشكال اللعب الفنى.. وتهدف إلى المتعة.. أى التسلية والترفيه Entertaining...

وخلاصة القول:

(كتر الكلام خيبه) على رأى المثل الشعبى.. وإن "الزار" ممارسة حياتية فى أصوله التقليدية بين الممارسين له، هو طريقة من طرق (العلاج) الذى تمارسه شرائح اجتماعية معدودة.. أو نشاط اجتماعى لفئة قليلة من الناس.. وممارسة حياتية مكروهة فى الماضى والحاضر.. ولا تعبر عن حالة إنسانية تنم عن المتعة، وتبعث على الفرح، والسعادة، والسرور، والإثارة والتشويق... بل ومن غير المستحب ممارسة "الزار" على مستوى القاعدة العريضة من الناس -ميدان اختصاص علم الفولكلور- وحاربته المؤسسات الشعبية وغير الشعبية.. الدينية وغير الدينية.. وهو ازدراء حقيقى للثقافة الشعبية ذات الصبغة أو الطبيعة الإسلامية أن نعتبر "الزار" أحد مفرداتها!!!

ومن ثم، (حدث ولا حرج)، لا علاقة بين "الزار" و "الفنون الشعبية".. وهو فى أصله يعد للبعض من الناس، بمثابة علاج وشفاء لـ"الملبوسين أو المروحين" بالأرواح الشريرة.! ونشاط إنسانى مرفوض على المستويين الدينى والمدنى.. أى غير دال على جماعية الثقافة الشعبية...

ميدان علم الفولكلور

إن "الفولكلور Folklore" كموضوع قبل أن يكون علماً هو: "ثقافة الناس Folk Culture" أى إن علم الفولكلور هو: "علم دراسة ثقافة الناس"... و"الثقافة": صفة إنسانية، ومحصلة معرفية واعية... تنتقل من جيل إلى آخر.. وتجمع بين الأصالة والمعاصرة.. ما بين التراث والمأثور.. ما بين عراقة الماضى وتقاليده.. والبقاء والحياة بين الناس.. بحيث لا تتعارض المدنية الحديثة، والأخذ مباهج الحياة المعاصرة مع ثقافة الناس... و"البنية الاجتماعية الثقافية المصرية" مثلها مثل البنية الاجتماعية لشعوب وقبائل الأمم الحضارية الأخرى.. تؤكد عليها اللغة المنطوقة والمكتوبة.. والمعتقد.. ونسق القيم.. والأثريات المادية كالشواهد الجدارية المقروءة .. والحرف والصناعات التقليدية.. إلى جانب الفنون وكل ما يشكل ثقافة الناس المتصلة بالممارسات الحياتية اليومية اللامادية -الروحية- والمادية.. إذ إن: "الثقافة كُلٌّ متجانس.. ومتكامل.. تتلاحم فيه آنا الفرد مع أنا الجماعة جيلاً وراء جيل... و"علم الفولكلور" معنى بدراسة ثقافة الكل.. لا ثقافة الجزء... وما كان الحرص على تقسيم مفردات "الثقافة" لشعب ما أو أمة ما إلى موضوعات: إلا بغرض تيسير الدراسة العلمية للفولكلور-ثقافة الناس-... والدراسة المعرفية لمفردات "الثقافة" هى التى تساعد على تحديد ملامح "الشخصية أو الهُوية" لشعب ما أو أمة ما... ويمكن حصرها وفق العناصر الرئيسية التى تتركب منها "الثقافة" على النحو الآتى:

أولاً: اللغة، والتراث والمأثور الشفاهى والمدون.

ثانياً: المعتقد الدينى والعادات والتقاليد والأعراف.

ثالثاً: الثقافة المادية.

رابعاً: الفنون الشعبية أو المحاكاة الفنية.

ومن ثم، وفقاً لطبيعة البنية التركيبية الثقافية للمجتمعات الحضارية يمكننا أن نقول:

إن "اللغة" ليست مجرد أصوات يصدرها الإنسان لهدف ما وحسب.. وإنما "اللغة" أيضاً هى التى تحفظ الإنسان حياً... أو هى اللغة المكتوبة والمقروءة الدالة على استمرارية البقاء حياً... و"المأثورات القولية الشفاهية والمدونة" -الدينية وغير الدينية- هى الدالة على تواصل المجتمعات الثقافية الحضارية.. لأن وحدة جموع الناس الثقافية الحضارية تعنى أن التراث قد أصبح مأثوراً، وأن المأثور قد أصبح تراثاً...

وإذا ما قلنا على رأى المثل: (إن أصحاب العقول فى نعيم أو راحة) فهذا حكمٌ فصلٌ لمن أدرك من الناس أن "الدين" أو "المعتقد" -السماوى وغير السماوى- هو العنصر التالى

بعد "اللغة" فى بنية المجتمعات الإنسانية عموماً... ومن واقع طبيعة البناء الثقافى للمجتمعات الإنسانية الحضارية، يجب أن نميز ما بين الممارسات الحياتية الفولكلورية المادية والروحية-اللامادية- التى عكست حكم الناس ومعارفها فى زمن الأساطير وعصر الوثنية... والممارسات الحياتية الثقافية الشعبية المرتبطة بظهور آخر الرسالات السماوية التى تدعو لوجود "الله" الخالق.. الواخد الأحد.. الذى لا شريك له... و"الدين" فى المعتقد الإسلامى هو: الشريعة التى تعنى الحق، والطاعة، والاستقامة، والانقياد لله تعالى... والمسلم المتسق مع نسق ثقافته الشعبية هو من كان منقاداً لله وشريعته.. إنه من أطاع الله وأطاع خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام...

ونحن إذا ما أدمجنا مع المعتقدات الشعبية: العادات والتقاليد والأعراف الشعبية، فذلك يرجع إلى أنها تجسيد لمعتقد يكمن وراءها... وحينما نخص الحياة الثقافية المادية -من الميلاد إلى الوفاة- بقسم مستقل عن "الفنون الشعبية أو المحاكاة الفنية".. فذلك بغرض الدراسة المتعمقة للأشكال الثقافية المادية التى تعين الإنسان على قضاء حوائجه فى الدنيا.. سواء من حيث المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن.. أو الأدوات والوسائل التى تعين الإنسان على المعيشة.. أو قصد مكان ما، فى زمان ما... إذ إن تجميل الشئ أو المنتج الصناعى الحرفى وتزيينه، لا يعنى أنه من "فنون التشكيل"، أو من "فنون المتعة"، أو"الفنون الشعبية"...

وقد ساهم تمييزنا بين المحاكاة الطبيعية والمحاكاة الفنية.. و تفريقنا بين اللعب الطبيعى واللعب الفنى فى أن ندعو -على سبيل المثال لا الحصر- إلى وضع الحدود العلمية الفاصلة ما بين الأدوار الفنية التمثيلية التى يلعبها الفنان أو الممثل.. والدور الطبيعى الذى تلعبه الأم مع طفلها بالفطرة، كأن تعمل -مثلاً- على تهنينه.. أو أن يلعب الطفل أدواراً تمثيلية طبيعية من الحياة.. كأن يدخل مثلاً فى شخصية غير شخصيته الحقيقية.. ونراه يلعب دور الأب، أو دور المحامى، أو المدرس، أو الطبيب.. أو عسكر وحرامية.. أو أدوار الحرب والبطولة.. وغيره.. ثم فى النهاية لا يستطيع المتخصص وغير المتخصص الفصل العلمى الأكاديمى بين ماهية الفنون الشعبية.. وطبيعة ألعاب الصغار والكبار فى البيوت والشوارع.. والتى ترتبط بالعادة والتقليد.. ولا تتعارض مع المعتقد الدينى...

وكذلك، ليس معنى أن تحتوى "لُعبة" ما على كلمات جميلة وموقعة ومنظمة، أو على موسيقى وغناء، أو حركة تعبيرية راقصة أنها من "الفنون الشعبية أو المحاكاة الفنية"...

فليس معنى أن تقوم (الأم أو الخالة أو العمة أو الأبنة.. أو الأب أو الابن أو الخال.. أو من في مكانتهم.. أو ضيفاً من الضيوف..) بالرقص فى مناسبة احتفالية كالزواج -مثلاً- أننا أمام إبداع فني راقص.. فالرقص الاجتماعى-الدينى وغير الدينى- غير الرقص الفنى...

وليس معنى أن الأدب والدراما من الفنون الشعبية أو المحاكاة الفنية، أننا لا نضع الحدود الفاصلة- غير التعسفية- بين فنون الأدب، وفنون الأدب التمثيلي... فـ "الموال" مثلاً شكل فنى أدبى بسيط حيناً.. ومعقد حيناً.. ولكننا يجب أن نفرق -بغرض الدراسة العلمية- بين الطبيعة الفنية الأدائية للإنسان الذى يغنى "الموال" فى العمل، أو فى مناسبة اجتماعية تنم عن فرح مثل: احتفالية الميلاد والسبوع.. وغيره.. و"الفنان" المدعو لإحياء ليلة من لياليه الفنية الشعبية... علماً بأن الدراسة الميدانية لفنوننا المسرحية الشعبية المصرية، قد ساعدتنا على أن نفرق فنياً ليس فقط بين "الحكاية" و"القصة" و"السيرة".. بل وبين "المبتهل" فى المسجد(الجامع) والمنشد الدينى "الصييت" فى لياليه الاحتفالية الشعبية.. وبين "مغنى الرباب" و"المضبطاتى" و"شاعر الرباب"... وكذلك التمييز الفنى بين "مغنى الموال" و"ريس الموال".. وتحديد الفروق العلمية الفنية الفاصلة بين دراسة "الموال" بوصفه "أغنية شعبية"، ودراسة "الموال القصصى أو موال الحادثة" بوصفه أحد فنوننا الدرامية المسرحية الشعبية المصرية...

بينما ليست من الفنون المسرحية الشعبية-أيضاً-، لا المواكب السلطانية.. ولا المواكب الاحتفالية فى "الموالد".. ولا الاحتفالية المصاحبة للخروج إلى الحج والعودة منه.. ولا حلقات الذكر والمتصوفة.. ولا قداس الآحاد عند المسيحيين.. ولا الخروج للصلاة فى الأعياد وأيام الجمع عند المسلمين.. ولا الأنشطة الرياضية التى يستمتع بها الناس سواء بممارستها أو الفرجة عليها... ولا فنون الشوارع التى يتجمع الناس من حولها بغرض الفرجة المصحوبة بالمتعة مثل: مناقرات الديوك وصراع الكلاب -بديل الدببة فى البلاد الباردة شمال حوض البحر الأبيض المتوسط-... ومن المؤكد كذلك، أن "المسرح الشعبى" ليس عروض الغوازى.. أو الفرجة على لاعبى البيانولا، وصندوق الدنيا، والحاوى، والبهلوان.. ولا الفرجة على لاعبى النقرزان، وآكلى النار، والقرداتية.. وغيره... وإذا ما جمع "السيرك" مثل هذه الألعاب الفنية الشعبية.. أو حافظ شيئاً ما على الكثير من فنون الشوارع التى تنحو نحو التجمهر.. سواء بين إنسان وإنسان.. أو بين إنسان وحيوان.. أو بين حيوان وحيوان.. فذلك يعنى إنها من فنون الفرجة الشعبية Performance in front

of an audience.. أو Performance Show وإنـهـا لـيـست من الـفـنـون الـدراميـة المسرحية الشعبية Folk theatrical drama وليست من "فنون العرض المسرحي الشعبى Performance Theatricalityولا "الفنون الأدائية المسرحية Theatrical arts"...

وهكذا، ننتهى إلى الآتى:

إن مادة "علم الفولكلور" هى: "ثقافة الناس" أو "ثقافة الأمة".. ووجود أداة أو وسيلة فنية كـ الحركة، أو الموسيقى وأدواتها، أو عنصر من عناصر التشكيل الشعبى، أو الكلمة المصاغة بشكل فني والمصحوبة بالأداء فى ممارسةٍ حياتية لا يجعل من الممارسة الحياتية منتجاً فنياً، اتفق فيه الفنان ضمنياً مع جمهوره الناقد الطبيعى المتذوق لتجربته الإبداعية على "اللعب الفنى"... ووفق قاعدة البناء الهرمى الثقافى الروحى والمعنوى –اللامادى– والمادى فى حياة الناس.. والدراسة العلمية الانسانية لثقافة شعوب وقبائل الأمم الحضارية نقول:

إن "الفنون على قمة هذا الهرم الثقافى.. وقاعدته اللغة.. وأما الدين بوصفه المعتقد السماوى فهو بعاداته وتقاليده وأعرافه بمثابة القانون المنظم للعلاقات الإنسانية بين آنا الفرد وآنا الآخر.. أو ما بين الأنا القردية والأنا الجماعية... ويضاف إلى قاعدة هذا الهرم الثقافى أشكال الثقافة المادية التى تحفظ حق الناس الطبيعى فى المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن.. وتوفير وسائل الانتقال الحر من مكان إلى آخر... إلى جانب المعارف الإنسانية الدالة على الوحدة، والتكامل، والانسجام بين الناس.. وكل ما يدخل فى حياة الإنسان بوصفه كائن اجتماعى ثقافى.. أى حضارى...".

الفصل الثانى:

الميلودراما الشعبية المصرية المعاصرة

جماهيرية الفنون المسرحية الشعبية

إن "الفنون الشعبية Folk arts" هى: إبداعات ذات قيمة فنية وإنسانية متصلة بالثقافة الشعبية، أى بثقافة شعب ما أو أمة ما.. وهى فنون جماهيرية لأن مقياس نجاح المنتج الفنى أوعدمه يعود إلى مدى إقبال المتذوق عليه... وإذا ما كان من سمات الممارسات الحياتية الثبات والتغير، فما زالت وإلى الآن الاحتفالات الدينية وغير الدينية، والمناسبات الاجتماعية الاحتفالية العامة والخاصة المصاحبة لدورة حياة الناس، من أهم التجمعات الجماهيرية التى حافظت على حق الفنان الشعبى فى البقاء حياً... و"التجانس الثقافى الجمعى بين الناس"، أو "وحدة الثقافة" بين الفنان الشعبى وجمهوره المتذوق والناقد له، من أحد أهم الأسباب التى جمعتهما ببعضهما فى زمانٍ محدد مسبقاً، وداخل حيز من المكان معروف ومتفق عليه بين كلا الطرفين... وطبيعة العلاقة الفنية الحية أو الآنية بين الفنان الشعبى والمتلقى المتذوق والناقد له، أو وسيلة الاتصال الفنى المباشر Face to face ذات الاتجاهين Two ways هى التى تحدد سمات التلقى فى المسرح الشعبى، والطبيعة الجماهيرية للفنون الشعبية أو المحاكاة الفنية الشعبية... فمثلاً، يرجعُ انسجام جمهور الفنون المسرحية الشعبية إلى أن أغلب الحضور يعرفون بعضهم بعضاً على المستوى الاحتفالى الاجتماعى... بعكس "جمهور الموالد"، و"جمهور الألعاب الرياضية" الفردية والجماعية، و"جمهور الأجهزة الفنية المعاصرة" كالمسرح غير الشعبى -المتأورب- والسينما

الذين لا يعرفون بعضهم البعض... ومثلهم مثل "جمهور الإذاعة والتليفزيون، وبعض أجهزة تكنولوجيا الاتصالات والمعلوماتية الحديثة ذات الاتجاه الواحد one wayوالتى جعلتهم – أيضاً– كجمهور، يتميزون عن جمهور الفنون المسرحية الشعبية بالذاتية والفردية فى العلاقة التى جمعت المنتج الفنى بالمتلقى، ووصلت بهما إلى حد الانعزالية لا الجماهيرية، وذلك إذا ما فرقنا ما بين جماهيرية وسيلة التلقى من جهة، وجماهيرية التذوق والنقد معاً للفنون الشعبية عموماً من جهة أخرى...

باسم التنمية والأصالة والمعاصرة

ومن المثير للحيرة والدهشة، أننا ومع خضم أحداث النصف الأول من القرن الحادى والعشرين مازال المتخصص وغير المتخصص فى المسرح المصرى والعربى يسأل بتهكم: هل عرفنا المسرح أم لا؟! هل لدينا دراما شعبية أو مسرح شعبى أم لا؟!

إن استمرار تكرار مثل هذه التساؤلات، يؤكد على أن المسرح المصرى العربى المعاصر، لم يصبح بعد جزءاً لا يتجزأ من نسيج الثقافة الشعبية.. ولا الجماهيرية!!! رغماً عن الهدف القومى الثقافى الذى من أجله تم بسببه الاهتمام بتأسيس المؤسسات والهيئات الفنية المختلفة منذ خمسينيات القرن العشرين... وخاصة من بعد أن أصبحت مصر جمهورية عام (١٨/ ٦/ ١٩٥٣م)... والاهتمام بإنشاء "قطاع الثقافة الجماهيرية" منذ عام (١٩٦٦م)، والتى تحول اسمها إلى "الهيئة العامة لقصور الثقافة" عام (١٩٨٩م)، واستقلالها إدارياً ومالياً كجهاز عامل داخل أجهزة الدولة، ولتضم أكثر من (٢١٠) فرقة مسرحية موزعة على الأقاليم التابعة للهيئة...

ومهما تعددت أسباب مثل هذا الخلل فى التفكير والبناء الثقافى سيظل من أهمها: عدم اعتراف نسبة كبيرة من الفنانين بالفشل فنياً وجماهيرياً... وتفشى الأمية الثقافية –التى لن تدوم طويلاً– ليس فقط بين الفنانين.. بل وبين الغالبية العظمى من عامة المصريين والعرب!!! هذا إلى جانب إصرار الغالبية العظمى من الفنانين على التعبير عن تجاربهم الإبداعية وفق توجهاتهم "الأيديولوجية" التى لا تتفق تماما مع الهُوية الثقافية للشخصية المصرية والعربية.. أو بمعنى آخر، مع منهج الحكم باسم "الحق الدينى الإلهى الإسلامى"، الذى يحكُم السواد الأعظم من الناس فى مصر!!! مما ساعد على ظهور تيارات فنية مختلفة ومتعددة لفنانين وجدوا فرصتهم داخل "مسارح قطاع الثقافة الجماهيرية أو الهيئة العامة لقصور الثقافة" التى أعطتهم مجالاً أوسع لعرض ومناقشة أفكارهم، وهمومهم،

وهموم مجتمعهم المصرى والعربى بحرية، متأثرين فى البداية بحركة المد الاشتراكى فى العالم عموماً، ومصر بصفة خاصة...

وشيئاً.. فشيئاً.. نجحت أجهزة قطاع الثقافة الجماهيرية المصرية فى التأكيد على أهمية الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى حياة الناس.. واستقدمت الفنان الشعبى إليها ليس فقط بفنونه الشعبية، بل وبجماهيره المتذوقة والناقدة له... إذ مازال الفنان الشعبى صامداً أمام تيار "الحداثة"، وأمام التجارب الفنية المعنية فقط بـ"اللهو"، وخاصة من بعد أن منحت "العولمة والثورة المعلوماتية الحديثة" الفنان المعاصر، القدرة على استحداث طرق ووسائل عرض وإعادة عرض لموضوعاته الفنية المسرحية وغير المسرحية...

ومما لا شك فيه، أن "الحداثة" كسر للقواعد والقوانين.. أو تجديد وتجريب... و"الطليعية" ذات طابع اعتراضى.. وأن من أهم الأسباب التى ساهمت فى فساد الذوق العام فى الفنون: سوء استخدام الفنان لأدواته الفنية باسم: "الديمقراطية والحرية"، وعدم الإدراك العلمى الواعى لقانون المنتج الفنى الناجح الداعى إلى: الالتزام بالقانون الإلهى، والقانون الوضعى أو المدنى الذى بالضرورة يجب ألا يتعارض معه... هذا بالإضافة إلى عدم الإدراك الواعى لأهمية "التراث والمأثور الشعبى" فى حياة الناس.. وأن "ايدولوجية الدولة" تعنى فرض نظام سلطوى يحقق مصالحها طوعاً وكرهاً.. ولا يسمح بحرية انتشار الرأى الآخر الذى يعمد إلى الإخلال بحالة الاستقرار بين الناس.. أو الإحساس بفقدان الأمن والأمان فى بلد تحكمه نظم ومبادئ شمولية.. قد تكون غير مستبدة للبعض.. ومستبدة للبعض الآخر... وأن "الليبرالية" تبيح الحرية الشاملة أو الكاملة لمواطنيها فى العقيدة الدينية.. وفى اعتناق المبادئ السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.. وغيره.. وأن "الدولة الليبرالية" تسمح بتعدد الأحزاب.. وبالرأى والرأى الآخر.. ولكنها وفقاً لما تفرضه عقائدها الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.. ولا تسمح لأحد من الداخل أو الخارج بالتدخل فى شئونها.. أو بالتعدى على الثوابت الدينية وغير الدينية للدولة.. فهى لا تمس.. وهى التى تحفظ مصالح الدولة وسيادتها... أى إنها قد تكون أيضاً للبعض مستبدة وللبعض الآخر غير مستبدة!!!

وأخيراً أقول:

إن الناس المفطورة على حب الله لا تترك حكم الدولة للأهواء: وإن المنتج الفنى الناجح هو الذى يخاطب التوجهات الثقافية المختلفة للناس.. وإن عدم انسجام، أو عدم تلاحم وتكامل الفنون المعاصرة مع الإبداعات الثقافية الحضارية المصرية ذات الطبيعة الإسلامية،

من أحد أهم أسباب فشل الفنان المعاصر ورسوبه فى الاتصال بجماهيره.. وخاصة منذ أن ارتضى الانتساب فنياً إلى الإبداعات الثقافية الحضارية لشعوبٍ وقبائل القارة الأوروبية... فقد نسى أنه ابنُ لبيئته الثقافية الحضارية المصرية.. ولم يراعى فى إبداعاته الفنية المعاصرة لا طبيعة المحاكاة الفنية، ولا طبيعة عرض وإعادة عرض الفنون الشعبية المصرية... وحينما عمد إلى عقد المقارنة الثقافية الحضارية ما بين الدراما المسرحية الشعبية المصرية والعربية، والدراما المسرحية الشعبية الأوروبية الوافدة إلينا -غير الشعبية-: لم يعترف المتخصص وغير المتخصص فى الدراسات المسرحية بخصوصية الدراما المسرحية الشعبية المصرية والعربية!!!

كما ظن خطأً الذى اتبع المدنية الأوروبية الحديثة، أن النموذج الدرامى الأوروبى- المسيحى، الرومانى، اليونانى- الذى يختلف شكلاً ومضموناً عن الدراما المسرحية الشعبية المصرية العربية، هو النموذج الذى يجب أن يُحتذى به إذا ما أراد الاعتراف بوجود الدراما والمسرح فى مصر... إلى الحد الذى معه تغاضى ولم يفطن من الناحية التاريخية، أن الدراما المسرحية لأبناء شعوب وقبائل القارة الأوروبية ترجع جذورها التاريخية إلى ما قبل القرن الرابع الميلادى، وأن الدراما المسرحية المصرية والعربية -الوافدة غير الشعبية- فى نموذجها الأوروبى يعود تاريخها إلى القرن العشرين، وتحديداً مع رائد المسرح العربى مارون النقاش (١٨١٧-١٨٥٥م) اللبنانى الأصل، الذى قدم عرضه الدرامى المسرحى الأول عام (١٨٤٨م) بفناءِ داره بالعاصمة اللبنانية "بيروت".. وإلى يعقوب صنوع (١٨٣٩-١٩١٢م) المصرى الأصل، الذى افتتح مسرحه بمدينة القاهرة عام(١٨٧٠م).. علماً أن أولَ بناء مسرحى-تياترو- ظهر فى مصر عام(١٨٦٨م)، وهو دار الأوبرا المصرية- التى احترقت عام(١٩٧١م.)(١٤).

غزارة الإنتاج الفنى الميلودرامى

وعلى الرغم، من تعدد أسباب تذبذب مستوى "الدراما المسرحية Theatrical drama" المصرية والعربية منذ بداياتها الأولى.. نجحت "الدراما السينمائية Production drama film" منذ عرض أول فيلم سينمائى طويل عام(١٩٢٧م)، وكذلك نجحت "الدراما التلفزيونية TV drama" مع بداية إشارة البث التلفزيونى المصرى والعربى عام (١٩٦٠م)، فى جذب المتفرج أو المشاهد...

وقد حظيت -بصفة خاصة- "الميلودراما Melodrama" كشكل من أشكال الدراما بنجاح منقطع النظير وبنسبة مشاهدة عالية بين الناس، وذلك لعدة أسباب، ومن أهمها: انتشار"موضوعات القصص الاجتماعى الميلودرامى الشعبى" بين القاعدة العريضة من

الشعب المصرى.. والتى كُتبت خصيصاً فى الأصل بأسلوبٍ تقليدى شعرى شعبى، ولممثل شعبى فرد.. ثم جاءت الصورة الفنية المرئية بالعين وأضافت إلى حاسة السمع لدى المتفرج أو المشاهد، قدرة إنسانية أخرى على إعمال الخيال.. وتفوق الإنسان على نفسه، حينما استغل الفنان الجديد "الآلة" فى إعادة تجسيد الدراما، وخاصة موضوعات القصص الاجتماعى الميلودرامى، ومنه الشعبى وغير الشعبى.:. وإعادة إحياء الكلمة المصاغة بشكل فنى وفقاً لمقتضيات الوسيلة الفنية الجديدة، والتى كتبت خصيصاً حوارياً لأكثر من ممثل فرد.. وبأسلوب أو طريقة جديدة مرئية للعين، وفقاً لمقتضيات الوسيلة الفنية الحديثة كالسينما والتليفزيون.. وسيظل حسن استخدام الفنان لأدواته الفنية، والصدق الفنى أحد أهم مقاييس نجاح المنتج الفنى بين الناس...

وبما أن "الفعل الدرامى" يعنى كيفية عمل، لا كيفية وجود.. ويعنى تكوين الشخوص، وتحولهم من حال إلى حال نتيجة أفعالهم أو أعمالهم.. وصراعهم بين قطبى الخير والشر: ترسم الشخصيات الفنية الدرامية فى الميلودراما على وجهين أو لونين هما: الأبيض والأسود... فالبطل: ناصعُ البياض أخلاقياً، والوغد: حالكُ السواد أخلاقياً... ولا تنتهى الأحداث الميلودرامية إلا بانتصارِ الخير على الشر، نتيجة لتحولات وتغيرات فى الحبكة الدرامية، والتى تأتى من خارج تطور الفعل الدرامى... ويعد عنصر "المصادفة" من أحد أهم الفروق الفنية التى تحدد أوجه الاختلاف بين الأشكال الدرامية المختلفة، وخاصة ما بين: الميلودراما والكوميديا.. والميلودراما والتراجيديا.. والميلودراما والرومانسية... إذ يتغير مصير الشخوص بالتحول السريع من حالة الشقاء إلى حالة السعادة فى "الميلودراما" نتيجة لدخول عنصر "المصادفة".. أو "القوى غير المنتظرة" التى بها تنفرج الأزمة الدرامية.. وتنتهى الأحداث الميلودرامية بالنهاية الأخلاقية السعيدة...

ولعل لفظ كلمة "ميلودراما Melodrama"- شعبية أم غير شعبية- يفسر لنا سر إقبال الناس على هذا الفن الشعبى والجماهيرى.. فهو فى الأصل من حيث البناء اللغوى الأجنبى، يتكون من شقين: الأول: melo:melos-melody بمعنى: أغنية أو لحن... والثانى: drama ويعنى: "النص الأدبى التمثيلى"... أى إن "الميلودراما" تعنى: النص الأدبى التمثيلى المؤدى على نحو تمثيلى، غنائى، موسيقى.. إذ أن "فنون القول شأن من شأن الممثل"... ومن واقع دراستنا الميدانية الفولكلورية فى مصر، يعتمد الفنان الشعبى موسيقياً على معرفته الشفاهية للمقامات الموسيقية العربية الرئيسية مثل: البياتى، والسيكا، والراست، والعجم، والنهاوند، والصبا، والحجاز.. وكيفية النطق -القرار

والجواب- وإخراج الحرف من مكانه والوصل والوقف، وتأثره بعلم القراءات القرآنية التى نقلت إلينا عبر خمسة عشر قرناً من الزمان، وبسند متواتر عن النبى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام...

ومن ثم، الأداء الفنى الشعبى المتميز لهذا الفنان الشعبى أو ذاك لا يرجع فقط إلى إستخدام الفنان للكلمة المصاغة بشكل فنى.. وإنما يكتمل الأداء الفنى بفضل الطابع الموسيقى الخاص بالفنان.. وبمعنى آخر، إستخدام الفنان الشعبى للمقامات الموسيقية يعطيه طابعاً موسيقياً منفرداً.. وتميزاً فى الأداء الشعبى التمثيلى.. و"الميلودراما" شعبية أم غير شعبية هى: "الدزاما الموسيقية".. وكلمة "شعبية" تشير إلى: "ثقافة الناس" أى إلى مدى علاقة النص الأدبى التمثيلى بالثقافة الشعبية...

المسرح المكشوف

إن "المسرح" -شعبى أم غير شعبى- هو: مكان التقاء الفنان الساعى إلى إعادة عرض تجربته الانسانية الفنية من جهة.. بالمتذوق والناقد الطبيعى والمتخصص من جهة أخرى... وعرف "المطرح" أو "مكان العروض الفنية المسرحية" التى هى بالضرورة ذات طبيعة "جماهيرية" و "شعبية" باسم: "المسرح أو المرسح Theatre"... وحينما ظهر الشريط الفيلمى، والصورة المرئية الفنية المتحركة.. وما شاع بين الناس باسم (السيما)، أو "السينما Cinema".. عُرف -أيضاً- المكان أو الدار الذى يقدم الفنون السينمائية باسم: "السينما"... وكان أحيانا ما يتحول دار العرض المسرحى إلى دار عرض سينمائى.. والعكس... بل وأحيانا أخرى، كان دار العرض المسرحى والسينمائى مكاناً مناسباً لعقد ندوة.. أو الاحتفال بمناسبة اجتماعية.. وإقامة عروض فنية أخرى.. وغيره ...

ويعد "السامر" فى مصر مسرحاً شعبياً بمعنى الكلمة.. فهو "المطرح" أو "المسرح المكشوف" فى الريف والقرية المصرية... إنه المكان الذى تجتمع فيه مجموعة من الناس Collectiveمن أجل اللعب واللهو... إذ ما إن يسمع الناس صوت دقات الطبل البلدى، يأتون من كل صوب وحدب، من أجل الفرجة أو المشاركة -مثلاً- فى لعب البرجاس، ورقص الخيل، ولعب العصا أو التحطيب، والاستمتاع بالموسيقى والغناء، والرقص الشعبى، والحكايات الشعبية، والقصائد الدينية، والموضوعات الاجتماعية الضاحكة أو الفصول التمثيلية الهزلية، وشعراء الربابـ.وغيره.. و"أمين الخولى" (١٨٩٥-١٩٦٦م) هو شاهد العيان الحقيقى الذى وصف "السامر" على حقيقته فى مجلة (المجلة) العدد(١١١)- مارس(٣) (١٩٦٦م) (ص١٦-ص٢٠).. وعن طبيعة هذا المكان أو "المطرح" كتب ما يلى:

(هو الساحة الشعبية، التى توجد فى كل قرية، وتتسع بطبيعتها لذلك وهى "الجرن"، وأرضه مسواة ممهدة من أجل الدراس، وهى بليطة لا تزرع . وفى هذه الساحة تكون الحلقة المستديرة مفروشة دائرتها بالحصر، أو الدكك، او الكراسى حسب المستوى، وفى جانب من هذه الدائرة، تستقر الفرقة وأدواتها الغنائية والتشخيصية... وكانت الاضاءة فى هذا السامر المكشوف "بالشعل"... ولو طور هذا المسرح الريفى لكان أفضل ما يقدم للقرية من المسارح.. إلى جانب مسرح خيال الظل، أو القصاص بربابته، أو الأراجوز المتجول...)[١٥].

دعوة فرح

ولقد اتضح لنا على الرغم من التحولات الاقتصادية والاجتماعية الأخيرة، أن العديد من الموروثات الثقافية المتعاقبة والخاصة بعادات الزواج والأفراح مازالت وإن اعتراها شيء من التغير تحتفظ بسماتها الأساسية أو الرئيسية وتفرض نفسها فى مجتمعاتنا المصرية... إذ مازالت مجتمعاتنا المصرية تحرص على أن يتقدم أهل العريس مع العريس لخطبة العروس من أهلها، وقراءة الفاتحة قبل دعوة المعازيم وإعلان الخطوبة.. وعقد القران على يد المأذون الشرعى.. ودعوة الفنانين الشعبيين...

ومن واقع دراستنا الميدانية لمجتمع وسط الدلتا، وخاصة فى عدد من قرى مركز طنطا بمحافظة الغربية، مازالت العروس سعيدة وسط أهلها وصديقاتها بوصول (الماشطة والداية) لتجهيزها -تحفيف، وحموم، وتسريح- ليلتى الحنة والدخلة.. على الرغم من الاعتماد اليوم على الكوافير للسيدات والحلاق للرجال...

ويوم كتب الكتاب وضعوا على رأس العروس غربال، وفى قلب الغربال وضعوا المصحف، وسألوا العروس وهى حاضرة مجلس العقد أو بعيدة عنه عن وكيلها... وعلى الطبلة غنوا ورقصوا الفتيات والسيدات للعروس، وقالوا قبل ليلة الحنة:(بكرة الحنة وبعده الدخلة وبعده الصباحية.. مبروك يا عريس.. مبروك يا عروسة.. اتهنى انت وهى..)، وأهل زمان قالوا أحسن الكلام: (كعب البنت مدور.. ياما خلق .. ياما صور.. يحيا أبوها وشبته.. اللى ما حدش غلبه.. يحيا أبوها وعمتهُ.. اللى مشى كلمتهُ.. خدناها بالسيف الماضى.. واخوها ما كانش راضى.. الله يهديك يا اخوها.. على ما ياخدوها..)

فى حين كانت زفة أصحاب العريس لها سقفة وإيقاع مخصوص.. وقال أهل زمان: (لبس اللباس.. لبسه.. لبس الفانلة.. لبسها.. لبس الصديرى.. لبسه.. لبس الجلابية.. لبسها.. لبس الشراب.. لبسه.. لبس الجزمة.. لبسها.. لبس الطاقية.. لبسها ....)

وعلى الرغم أيضاً، من ارتفاع قيمة "المهور والشبكة"، مازال العريس يتقدم لعروسه بـ(الصيغة) مثل: الحلق أوالمخروطة (أبو طيره).. أوالكردان أبو (٣) ثلاث وأربع (٤) أدوار.. أو الأسورة الثعبان.. وغيره .. من الهدايا التى يتقدم بها العريس لعروسه فى المواسم والأعياد...

ومازالت مستمرة بين الناس "الرقوة و رش الملح" للعروس والعريس ضد الحسد.. ومازال أهل العروسين يخبزون الكحك وخاصة "الكحكة الكبيرة" والتى على شكل قوس مثل سلاح المحراث... وتجهيز (حلة الاتفاق) -السفرة اليوم- للعريس وعروسه- والمكونة من: حمام-فطير-رقاق-بط-لحم-فاكهة-وغيره.. مما لذ وطاب.. كلٌ وفق حالته الاقتصادية والاجتماعية...

وكان الأهل يزفون العروس ليلة دخلتها ويقولوا تشجيعاً لها:(على حلة الحمام تتشعبطى.. تتلعبطى.. هيه ليلة والسلام.. تعيطى.. تصوتي.. هيه ليلة والسلام.. هية ليلة والسلام.. الشاى على النار.. تيجى ماتيجى.. أهو طاب وفار.. النبى.. النبى.. تيجى.. ادحرج واجرى يا رومان.. وتعالى على حجرى يارومان.. دا أنا حجرى حنين يا رومان.. يخدك ويميل يا رومان..)

وكادت تختفى عادة إبراز دليل العفة والشرف والاحتفاء به.. وإلقاء مياه الاغتسال ليلة الحنة.. أوالليلة الأولى.. بعد أثار فض البكارة.. فى الترعة أو المياه الجارية.. التماساً للخصوبة التى يحملها نهر النيل... وأهل زمان قالوا: (دمها يا دمها.. دم البت الفلاحة.. ومدور زى التفاحة..)، وقالوا كمان: (رضيتى ليه يا حرة.. والدم ساح.. وملا الجرة..)... وبعد الإعلان عن صحة شرف العروس، تزداد الفرحة، وتعلو الزغاريد، وتسمع أصوات طلقات النار، ويغنوا أهل العروس: (قولى لأبوكى يقوم بقى يتعشى.. يركب حصانه فى البلد يتمشى.. البنت شرفتنا طولت رقبتنا.. يا بلحة يا مقمعة.. شرفت أبوكى و أخوكى وأولاد عمك الاربعة...) وقالوا كمان فى الصباحية: (رايحين نصبح على اللى شرفتنا.. واتكرمت وطولت رقبتنا..)

وقد تختلف طرق أو أساليب الاحتفال بالزواج فى مصر من إقليم إدارى إلى آخر.. إلا أنها لا تختلف فى الشعور بالسعادة والفرحة الغامرة من أجل بناء أسرة صغيرة جديدة يتأكد معها الحرص على العرض والشرف وبقاء الإنسان من الوجهة البيولوجية.. والحفاظ على استمرارية النشاط الإنتاجى اللازم لاستمرار بقاء الأسرة الكبيرة...

نسق القيم

وكذا، عاش المصرى بعاداته وتقاليده جيلاً وراء جيلٍ، ولا يزال محافظاً على دوره الدينى داخل المسجد(الجامع): "إمام وخطيب" الجامع (المسجد)، وقارئ "القرآن الكريم"،

و"المؤذن"، و"المبتهل الديني" بوصفهم من خدام دور العبادة... ولأهمية شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الدينية في حياة الناس، خرج كلُ منهم من دور العبادة ليلعب دوره الخاص بين الناس في الحياة الدنيا... فمثلاً خرج "المبتهل الديني" من المسجد (الجامع)، وأضاف إلى دوره الديني دوراً فنياً محبباً تحت مسمى: "الإنشاد الديني"... وأصبح بوصفه فناً من الفنون الشعبية أو المحاكاة الفنية، عرضة لتذوق ونقد الناس له...

وبمعنى آخر، أصبح "المبتهل أو المداح أو المنشد" خارج دور العبادة عرضةً للاستحسان والاستهجان.. بينما لا استهجان في العقيدة الدينية.. ولا في الممارسات العقائدية الدينية داخل دور العبادة... بعكس الممارسات الإنسانية الحياتية اليومية التي هي عرضة للاستحسان والاستهجان.. أي القبول والرفض وفق المنهج الأخلاقي الديني الإلهي السماوي...

وبسبب حجم الدور الديني والعقائدي الذي تلعبه بين الناس سيرة حياة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وتعظيم المسلم وتكبيره لشخصية النبي الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. طوع الفنان الشعبي الحدث التاريخي المتصل بسيرة حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لإمتاع الناس فنياً... واستحدث الفنان الشعبي "فن السيرة النبوية"، وحينما اختار موضوعاته الفنية جمع بين الحقيقة والخيال، وحرص على أن تتفق ثقافياً مع نسق القيم الثقافية الإسلامية...

وهكذا، ترتفع مكانة "المنشد الديني" فنياً ويصبح للناس هو "الصييت" الذي يجيب دعوات الناس له.. سعياً وراء الاستمتاع بشكل فني شعبي آخر هو "فن السيرة النبوية".. والتي أضحت بما تحتويه من قصص تمثيلي، غالباً ما يدور حول معجزات النبي الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: هي أصل سير الأبطال.. أو هذا الفن الشعبي الذي عرف بين المتخصص باسم: "فن السيرة The art of Sira"...

إلا أن "السيرة النبوية" كفن درامي مسرحي شعبي لم تحظ باهتمام كثير من الأجانب والعرب المسرحيين وغير المسرحيين لعدة أسباب من أهمها على الإطلاق: خشيتهم من تماس الشخصية الفنية مع الدين.. والظن خطأً أن الدين الإسلامي يُحرم الفنون!!! وأن المسلم الذي آمن بشهادة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يفتقد إلى الخيال والإلهام أو القدرة على الإبداع!!! متأثرين بالرأي الانعزالي العنصري، الذي يعود إلى ورثة أبناء المؤسسة التعليمية الأوروبية – قديمها، ووسيطها، وحديثها- التي تؤكد على أن "العقلانية والإنسانية" خاصيتان قاصرتان فقط على الإنسان الذي انتسب إلى الثقافة والحضارة

الرومانية واليونانية القديمة، وورثتها عنهم شعوب وقبائل القارة الأوروبية – المسيحية–!!!

ومما لاشك فيه، أن الفنان الشعبى ذائع الصيت – الصييت– لم يخل عن مكانته بين الناس، على الرغم من سيطرة الأجهزة الفنية المعاصرة على مسار حياتنا الثقافية... واستطاع الفنان الشعبى "الصييت" إثراء لياليه الفنية الشعبية بالقصص الأدبى التمثيلى.. والمساهمة فى المحافظة على التقاليد الفنية المسرحية الشعبية، منذ أن اعتاد الجلوس فى منزله منتظراً طرقات الداعى المضيف لباب داره.. وعلى رأى المثل: (الغاوى ينقط بطاقيته)، فهو من ناحية لم يعد جوالاً، ولا على باب الله، يعرض فنه على جماهيره كالسريح... ومن ناحية أخرى، أدرك الناس أهمية وجود الفنان الشعبى فى حياتهم... ولم يعترضوا على طرق بابه من أجل التعاقد معه على إحياء إحدى الليالى الفنية الشعبية التى تقام وفقاً لطبيعة زمان ومكان المناسبة الاحتفالية الاجتماعية، والتى يتحمل "المضيف الداعى" كافة نفقاتها... ولا تكتمل الليلة السعيدة إلا بوصول الفنان الشعبى "الصييت" الذى حضر مستعداً للإمتاع والترفيه على الجماهير المتذوقة والناقدة لفنه الشعبى...

المطرح

ووفقاً للاتفاق الضمنى المبرم بين الأطراف المتعاقدة.. تحمل رضا المضيف الداعى كافة نفقات المناسبة الاحتفالية الاجتماعية –الدينية وغير الدينية–، بدءاً من إكرام الضيف وإطعامه مما طاب وذبح لوجه الله تعالى.. إلى تزيين المكان بالأنوار والتعاليق، والأجهزة الصوتية والمرئية.. وإقامة خيمة، أو صواناً، أو سرادقاً تتوسطه منصة أو خشبة نصبت كى يعتليها الفنان الشعبى وفرقته بعد الترحيب الحار بهم، وإكرام ضيافتهم وتناول طعام العشاء... ويخرج الفنان الشعبى "الصييت" إلى جمهوره، بعد تفقد أحد أعضاء الفرقة للمكان أو "المطرح" الذى يشترط فيه المحافظة على المساحة الخالية –الوهمية– بين الفنان والجمهور الضيف، الذى حضر مجاملة للمضيف الداعى الذى لم يكلفه أجراً، ولم يحضر له بتذاكر مدفوعة الأجر.. وإنما هدف جمهور الحضور مشاركة المضيف الداعى ليلة فرحه وسعادته.. وسواء افترش الجمهور من الرجال الأرض أم جلسوا على كراسٍ، فهم يجلسون وفقاً لمراكزهم ومكانتهم الاجتماعية، ولا تزاحمهم النساء ولا الأطفال.. والذين نجدهم فى الأجناب، وفى الصفوف الخلفية، وعلى البلكنات... والفنان الشعبى الذى يحترم فنه يمنع لعب الأطفال أمام المساحة الخالية بين الممثل الشعبى الفرد وجمهوره المتذوق والناقد له... وكثيراً ما تكون هناك جلسات جانبية تقدم فيها الممنوعات مثل: جلسات تدخين السجائر والشيش والحشيش، والتى تنم عن كرم المضيف.. ولا حرج فى الامتناع

عنها!!! أما المشروبات الكحولية على اختلاف أنواعها فقد تسبب نوعاً من الحرج لشاربها ولمن حضر!!! ولكن فى النهاية، يؤكد إحساس الناس بالبهجة والمتعة -على اختلافها- حرص "الآنا الجماعية" على مشاركة "آنا الفرد" المضيف الداعى للمناسبة الاحتفالية الاجتماعية السعيدة.. وهو مؤشر دال على استمرارية المودة والرحمة بين الناس.. وعلى التلاحم، والتكامل، والانسجام الجماعى الثقافى...

ومن ثم، خشبة المسرح الشعبى قد تكون: (جرن)، أو غربة خشبية (كارو)، أو عربة شحن مفتوحة من الأجناب، أو منصة خشبية، ومفروشة بالسجاد، وقد لا تفرش بالسجاد.. وإما فى الهواء الطلق، أو داخل السرادق -خيامية- وهو مكان شبة مغلق... وأياً كان الإطار التشكيلى أو المادى لخشبة المسرح الشعبى، نحن نقسم العرض المسرحى الشعبى إلى مرحلتين:

الأولى: مرحلة ما قبل صعود الفنان الشعبى على خشبة المسرح.

الثانية: مرحلة ما بعد صعود الفنان الشعبى على خشبة المسرح.

مسرحنا الشعبى التقليدى

وعلى الرغم من المنافسة الحادة والشرسة بين أجهزة البث المرئى على زيادة معدل ساعات المشاهدة.. وتحديث وسائل وأدوات الجذب الجماهيرى بشتى الطرق الأخلاقية وغير الأخلاقية... ما زالت الدعوة قائمة للفنان الشعبى "الصييت" أو "الممثل الشعبى الفرد" -كما يصنف علمياً- بقصصه الأدبى التمثيلى الشعبى، ليس فقط للإستمتاع بفن عرض: "المنشد الدينى" للسيرة النبوية الفنية.. و"شاعر الربابة" فى السيرة الهلالية... وإنما مازالت -أيضاً- الدعوة عامة ومفتوحة مع الإثارة والتشويق التى يقدمها "ريس فن الموال" فى "موال الحادثة" أو "الموال القصصى".. و"الصيِيت" الذائع الصيت بقصصه الاجتماعى الشعبى.. أو "الميلودرامى الشعبى"...

وأما لماذا مثل هذه النصوص القصصية التمثيلية الشعبية: "درامات مسرحية شعبية"، وليست" فنوناً غنائية شعبية"، أو"فنوناً أدبية شعبية"؟! فذلك لأنها نصوص أدبية تمثيلية شعبية.. أى فن من فنون المحاكاة الفنية، ومنتج فنى درامى مسرحى شعبى تتجلى فيه العلاقة الأدائية التمثيلية الحية بين النص الأدبى التمثيلى الشعبى والعاملين على تنفيذه وإعادة عرضه من جهة.. والجمهور من جهة أخرى... وكلمة "درامى" اصطلاحياً تعنى: "ما ينتمى إلى الدراما.. أى فن عرض الأحداث المثيرة، وطبيعة الإثارة تتفاوت من زمن إلى زمن، كما تتفاوت من شخص إلى شخص، فى نفس الوقت...

وبمعنى آخر، هى درامات مسرحية شعبية لأنها نصوص أدبية تمثيلية شعبية لا تصل إلى المتفرج المتذوق والناقد له، أو الجمهور، أو المتلقى، أو المستمع، أو المشاهد، أو المرسل إليه.. إلا بعد إعادة عرض الشخوص الدرامية بما يملكه "الممثل الشعبى الفرد فى المسرح الشعبى المصرى المعاصر" من أدوات وطرق وأساليب فنية تعينه على إعادة عرض الموضوع المحاكى، أو الكلمة المصاغة بشكل فنى أدبى.. وبصورة تتضح معها حدود الشخصية الدرامية من الشخصية الأخرى... إذ إن "الغناء" مثله مثل "الإلقاء" هما بالنسبة للمثل الشعبى الفرد أداة أو وسيلة أدائية فنية، وشأن من شأن الممثل وأدائه التمثيلى – سواء الشعبى أم غير الشعبى–، والعلاقة بين المرسل الفنان.. والجمهور المرسل إليه فى فنوننا الشعبية المصرية، لا يحكمها فقط نسق القيم الاجتماعية.. بل ويحكمها –أيضاً– مجموعة التقاليد الفنية المرنة، والقابلة للإضافة أو الحذف أو التغيير... خاصة مع ما تتمتع به صيغة "الموال" الأدبية الشعرية الشعبية من مرونة فنية، وقدرة على جذب الناس سواء بمصاحبة الموسيقى أو بدونها.. فالموال بأنواع الثلاثة: "الأخضر، والأبيض البسيط أو الصريح" واللذان يحملان معانى الأمل.. والحب.. والغزل.. والتفاؤل.. والفرح.. والتهانى.. و"الموال الأحمر" المعبر عن: الآلام والأحزان.. من أحب الكلام المصاغ صياغة فنية شعرية فى النصوص الأدبية القصصية التمثيلية الشعبية...

زيادة الخير خيرين

وكذا، لم يكن غريباً، بسبب النشأة الدينية للغالبية العظمى من الفنانين الشعبيين أن يلتزم "الممثل الشعبى الفرد" بارتداء الزى الدينى: "الجبة والقفطان".. وأن يبدأ ليلة الحفل بقراءة آيات من الذكر الحكيم بصوته، أو بصوت أحد أعضاء فرقته، أو بصوت أحد المشايخ من حفظة القرآن الكريم المدعوين أو المصاحبين له... كما أن "الابتهال الدينى والمديح النبوى" من دعائم" فن القص التمثيلى الشعبى المصرى".. فقد سمح الفنان الشعبى لنفسه مثلاً أن يتوقف عن أحداث قصته الأدائية التمثيلية الشعبية من أجل ذكر الله تعالى كثيراً، والصلاة على النبى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. ودعوة الناس تارة لذكر الله بقوله مثلاً: (اذكر الله)، عملاً بقول الله تعالى فى الآية:٨ من سورة: المزمل: [... وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً...]، وتارة أخرى للصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تصديقاً لقول الله عزل وجل فى الآية: ٥٦ من سورة: الأحزاب: [... إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً...]، مما أضفى طابعاً دينياً على الفنان الشعبى، ومما أعطاه نوعاً

من الوقار والتقدير والاحترام والشرعية فى البقاء حياً بين الناس.. ولا يُنطق اسمه مجرداً من لقب العم أو الشيخ أو الحاج للرجال.. والسيدة أو الشيخة أو الحاجة من السيدات... ولهذا لم يكن غريباً، أن تُعرف بين الفنانين الشعبيين والناس المتذوقة والناقدة للنصوص الأدبية التمثيلية الشعبية المصرية المعاصرة باسم: "القصص الدينى" حيناً، و"القصائد الدينية" حيناً آخر...

إثارة وتشويق

وقد تبدو موضوعات القصص الاجتماعى الميلودرامى الشعبى وغير الشعبى ساذجة للبعض بنماذجها الفنية الإنسانية الثابتة، ولكن ما زال تأثيرها كبيراً على المتذوق والناقد لها.. للجرأة والمبالغة فى تصوير الأحداث والشخصيات الدرامية الميلودرامية... وغالباً ما تدور موضوعات القصص الاجتماعى الميلودرامى الشعبى حول قضايا اجتماعية، تعرض على المتفرج أو المشاهد بمصاحبة الموسيقى والأغانى ومنها: علاقة الآباء بالأبناء.. وعلاقة الأبناء بالأباء.. وعدم وفاء الأبناء.. وظلم أحد الوالدين.. وتعدد الزوجات.. وعلاقة الأخوة والأخوات.. وحقد الأعمام.. وطمع أولاد العم.. والمواريث.. ووجد البطل والبطلة.. وهى من الموضوعات الاجتماعية التى تتسم بالوفاء، والصبر على المكاره، وانتصار المظلوم فى النهاية.. وغيره.. من الموضوعات الزاخرة بالحكم والمواعظ والأمثال الشعبية المصرية والتى تجمع بين ذاتية الفنان وشعبية الثقافة...

المُمثل الشعبى الفرد شيخٌ مُعمم

هذا، ولا تبدأ القصة التمثيلية ولا تنتهى إلا بالمديح النبوى، ومثال ذلك:

من قبل ما أبدأ كلامى أصلى على المختار
محمد اللى صلاته بتملى الوجود أنوار
من صلى على المصطفى لا يحزن ولا يحتار
يا قلبى صلى عليه دايما فى كل أوان
علشان فى يوم الميزان يشفع لنا من النار

وقبل الدخول فى أحداث القصة يقول الفنان الشعبى من المعانى ما هو آت:

أبدأ كلامى باسم الله اللى يعزنا رضاه
وأصلى على النبى اللى خص بالقرآن
اللهم ما صلى على سيدنا محمد زين الوجود عدنان
يا شرحة القلب لما نصلى على الهادى تملى

أول ما أقول وأبدأ بالكلام،
أوحد الحي العلام
وأصلى على طه زين الأخيار،
محمد نبينا التهامى
الليلة أشرح لكم قصة تسلى
سمعتها من أهل زمان
صلوا معايا على المختار
أحمد نبينا كامل الأنوار
أحمل هدية أرسلها الستار
من غيره يحمينا من النار
صلوا معايا على الهادى
الزين أبو خد نادى
يا ناس أنا قلبى هيمان
مغرم بحب طه العدنان
الله رفع راية الإيمان
وصلى عليه الرحمن
وأمر ملائكته يصلوا عليه
علشان ينجينا من النار
ويا سامع قصتنا الليلة، شرفنا حضورك ويانا
قصتنا الليلة حانحكيها ونعيش أحداثها ومعانيها
وقبل ما تهسمع منى القصة وتعشها بقلبك ويانا
سمعنا الفاتحة لحضرة النبى...
ويتخلل القصة مجموعة من الحكم مثل:
تعمل إيه يا عبد يوم عرضك عليه
يومها تندم والندم ينفع فى إيه
وإنت واقف بين إيديه تعمل إيه

* * *

يا قلبى قول أجيب بخت منين

اللى انكتب انكتب تهرب تروح على فين
الصبر لو له تقاوى لازرعه فدادين
وأرويه بدمع الندم وأسقيه بدمع العين
يا عين .. يا عين .. يا عين
آه من قليل الأصل لما الزمان يديه

* * *

بينسى نفسه وأصله وكمان ماضيه
آه من العويل لو شبع يكفينا شره يا ناس
عويل وعايز الناس تقوم له وتحييه

* * *

بالإضافة إلى الحكم التى قد يرويها الفنان الشعبى كفزورة:
خمسة يا صاحب وحاصل ضربهم خمسين
وواحد بعشرة واحسب عشرة فى سبعين
وسبعة وسبعة يا صاحب وزائد اثنين
وشىء مالهش عدد على فعلنا شاهدين
وأضيف كمان أربعة من السما نازلين
وواحد عليهم ظهر غطى على الباقين

* * *

وبينما تأخذ الناس–الحضور– فى الجمع، يقول الفنان الشعبى:
يا كسلانين عن الصلاة أصل الصلاة خمسين
والمولى خلاها خمسة لأجل طه الزين
واللى يؤدى الصلاة يبقى من الفائزين
والحسنة عشرة بأمر الله معدودة
مضاعف الأجر لك يا صاحب إلى سبعين
وسبعة وسبعة: سبع سموات، سبع أرضين
والشمس ويا القمر، يا سعده الاثنين
وشىء مالهوش عدد هما النجوم يا زين
وأضيف كمان أربع كتب من السما نازلين

وواحد عليهم هو سيد الكونين

ويا اللى بتقول أنا مغرم بحب الزين

يعنى إنت صليت وزكيت على المساكين

إن كنت كدا يبقى النبيى حبك

واللى يحبه النبى عمره ما يبقى حزين

واستمر الفنان الشعبى "الصبيت" محافظاً على عادت وتقاليد مجتمعه حينما سمح لنفسه بالتوقف عن أداء أحداث قصته التمثيلية من أجل عادة دفع "النقوط".. وهى مجاملة وتحية من المضيف امضيف الداعى إذا ما دعاني... مثلاً: عن السواق قال الفنان الشعبى "الصبيت":

ألف تحية وألف سلام على الصحبة

الأسطى محمد باعت تحية لكل أصحابه

صاحب التحية حضر والناس قدامه

الاسم محمد ونوره قدامه

راجل والكل بيحبه

أصل من حبه ربه حبب فيه خلقه

أسطى وسواق شايف النور قدامه

مطرح ما يمشى يلاقى الشمس قدامه

عارف اليمين من الشمال وبيص قدامه

(اسمع وصلى على النبى)

....

ألف تحية وألف سلام

الحاج حسين عقبال عنده

باعت تحية لكل الناس من عنده

الصبر طيب ومفتاح الفرج عنده

ما هى المجاملة فى يوم عندك ويوم عنده

وتعد "حدوتة" الشاب الفلتان الذى يحاول الاعتداء على فتاة مسلمة عذراء.. وسواء نجحت محاولة صدها له أم فشلت.. يقع الشاب فى حبها.. ويتوب إلى الله توبة نصوح.. ويتزوجها رضا... من أحب موضوعات القصص الاجتماعى الميلودرامى الشعبى التى تدور

حول فكرة – تيمة– العشق والحب... وتأتى قصة (نجاح والشيخ مداح) كواحدة من أكثر القصص التمثيلى الشعبى انتشاراً بين الناس... والتى يحرص على تقديمها فنياً للناس أكثر من "صييت"، تحت هذا الاسم أو تحت اسم آخر.. فمن جهة أدرك الفنان الشعبى، وجمهوره المتذوق والناقد له فى الجهة الأخرى أن التمايز ما بين فنان وآخر يرجع إلى قدرة هذا أو ذاك على حسن استخدام أدواته الفنية، وفقاً لطبيعة العناصر أو الأسس الفنية التقليدية الأدائية التمثيلية الشعبية التى تتكون من:

١–الموسيقى.

٢–المديح النبوى.

٣–الأداء التمثيلى الشعبى الشعرى.

٤–الأداء التمثيلى الشعبى النثرى.

٥–الارتجال.

ملخص قصة نجاح والشيخ مداح

تحكى القصة عن الشيخ مداح (اللى) ظلم الناس، وربنا تاب عليه وهداه لطريق الخير، ورزقه الله بثلاث بنات: زينب والطاهرة وكريمة... وكان الشيخ مداح صوته جميل، فوهب صوته لمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموالد:

يااللى بحب النبى هايم

...

صلى عليه واذكر ربك

إذا كنت قاعد أو قايم

...

أو حتى نايم على جنبك

وإنت يا مذنب توب لله

...

واستغفره من ذنبك

والتوبة ليها ميت باب مفتوح وربنا كريم تواب

وسنة وراها سنة ماتت زوجته وعاش وحيداً هو وبناته.. فتح دكان وصرف على بناته، ورباهم تربية دينية، وكل سنة يطلعوا يحجوا معاه إلى بيت الله الحرام، (وماكنش) ينام الليل إلا ثلثه ويصلى ويصوم ويتوب إلى الله :

فرح وبهجة وطرب يا رب وافينا
تمم علينا الهنا واسعد ليالينا
حرام علينا المنام والهادى داعينا
مين اللى يقدر ينام عن قرب
محبوبه طه الحبيب النبى المختار هادينا

ثم، يستكمل (الشيخ) قصته عن الثلاث بنات، عن الثلاث وردات، اللى ربنا وهبهم من الجمال ما لا يوصف.. علشان كده لم يسلموا من المعاكسة فى الشارع...

وكان فيه شاب (فلتان) اسمه (نجاح) طايش، عايش لمزاجه وبس، (أصله) وارث عن أبوه المال.. يرتكب المعصية من هنا، ويندم عليها من هنا.. بيسهر كل ليلة ويعاكس البنات فى الشارع، ويقعد بالليل يأنب فى نفسه، لكن مش قادر يحوش نفسه، وحضرة النبى قال حديث ما معناه: (العين تزنى واليد تزنى)..

(صلوا على رسول الله)
الدنيا فيها الجمال والمال بيلهينا
والجهل كله وبال ومن مره بيسقينا
ليه نعمل المعصية والذنب بأيدينا
مع أن رب العباد للخير بيهدينا
بقى نبقى شيفين طريق النور بعنينا
ويهون علينا نروح النار برجلينا

وفى يوم ماشى فى الشارع الشاب (نجاح) تقابله (زينب)، وفى ظلام الليل عاكسها، وهجم عليها وربنا حماها ووقفت تنصحه وتقوله:

ياللى على الخمر والجمال ضاع مالك
كتر الفلوس غيرت طبعك وأحوالك
بدل ما تلعب قمار اصرف على عيالك
حرام تسيبهم عرايا ومحتاجين العيش
وأنت بتشرب خمرة ولا حد على بالك

طلب منها تكشف عن جمالها وبينما زينب بنت الشيخ مداح تصده يقولها:
ريحك مسك وفاح
...

عطره فى كل مكان

يا زهرة الياسمين

...

يا منورة البساتين

جودى بنظرة عين

...

للعاشق الولهان

يا أم العيون الكحال

...

قلبى إليكى ميال

قولى قوام يا غزال

...

على الاسم والعنوان

قالت له يا سفاح

...

أنا اسمى زينب وبنت الشيخ مداح

وإنت شيطان سفاح

...

خاين مالكش أمان

هجم عليها (نجاح) وكشف عن شعرها وشاف النور.. بكت (زينب) وقالت له: عيب يا قليل العقل يا مغرور وأول ما شاف النور أغمى عليه، وقالت (زينب): الحمد لله

اللى يستره ربنا.. ما يفضحوش مخلوق

واللى يقول يا رب ما يمسهوش مخلوق

اللهم ما احمنا من دا مخلوق

دخلت (زينب) على أبوها، وحكت له حكايتها مع الشاب (نجاح)، زعل وطلب الهداية للشاب (نجاح)، ومن شدة زعله رأى "رؤية" فى المنام، والصوت ينادى عليه ويقوله:

أوعى تسيبه.. وراه .. وراه.. أوعى تسيبه.. خليك وراه أوعى تسيبه.. مهمتك إنك تهديه.. دا ماهوش عارف عيبه.. أوعى تسيبه .. وراه .. وراه.. أوعى تسيبه.. يوم والتانى، والرؤية

هى هى.. وحينها قرر الشيخ (مداح) يخرج ورا الشاب (نجاح) علشان يهديه ويعقله ويرجعه لطريق الله... فاق (نجاح) من غفلته، وخرج سكران يدور على (زينب)، يمكن تسامحه وتحبه.. استناها فى الشارع (ما جت)، شافوا الشباب.. ضربوا وخدوه القسم.. وشاف الشيخ (مداح) نفس الرؤية والصوت هو هو: وراه .. وراه.. أوعى تسيبه يا شيخ.. أوعى تسيبه... وراح الشيخ (مداح) القسم، وعلى (ضمانته) خرج الشاب (نجاح) من القسم.. وسأل (نجاح) الشيخ (مداح) النصيحة.. رد عليه الشيخ (مداح) وقال له الحل فى إيدك وربنا سبحانه وتعالى يقول: [... واستعينوا بالصبر والصلاة] صدق الله العظيم...

حب الشاب (نجاح) بنت الشيخ (مداح)، وهداه الله، واستكمل تعليمه ورجع سعيد للشيخ (مداح)، وطلب يد بنته (زينب)، ومن شدة فرح الشيخ (مداح) به، (جوزه) بنته (زينب).. وكتبوا الكتاب وعملوا سرادق كبير فى حى الحسين... ويختتم (الشيخ) القصة ويقول:

وعملوا ليلة جميلة زيها ما رأيت
وخدونى أغنى جذبنى الشوق لأهل البيت
مدحت طه النبى يا سادة واتمنيت
إن الله يكرمه بالذرية الصالحة
ويسعد ربنا الكل والبهجة تعم البيت
وصلوا معايا على أهل البيت

ظاهر الشىء غير دال على حقيقته

وهكذا، أردنا أن نؤكد من خلال استقرائنا لماهية الفنون وطبيعتها على أن الفنون أحد مفردات الثقافة.. وأن الدراما خلق عن طريق المحاكاة الفنية.. أى تختلف وفقاً للموضوع، والأداة، والأسلوب... وهى من حيث الموضوع: "أناس يفعلون أو يؤدون عملا".. ويختلف هذا الفعل، أو ذاك العمل، بين شاعر درامى وآخر، باختلاف نوع التجربة الإنسانية المراد التعبير عنها.. ويأتى ذلك عن طريق القص على لسان الشاعر نفسه، أو عن طريق لسان شخص آخر، أو لسان مجموعة من الشخصيات داخل النص الأدبى والتمثيلى.. ليؤديه ممثل فرد، أو مجموعة من الممثلين...

وكما تختلف "الدراما" من حيث الموضوع باختلاف طرق وأساليب فن كتابة النص الأدبى التمثيلى، تختلف أيضاً "الدراما"، باختلاف الأدوات والوسائل الفنية التى يستخدمها الفنان الدرامى بغرض إعادة عرض، وتنفيذ، وإخراج الموضوع الدرامى... وكذا، تختلف طرق تقديم المنتج الدرامى للمتلقى باختلاف الوسائط الفنية من خشبة مسرح مثلاً، إلى إذاعة، وسينما، وتلفزيون... وفى

النهاية، تظل ميزة "الدراما" أنها تعنى: "نص أدبى تمثيلى يحتوى على مجموعة من الشخصيات، فى حالة صراع، إما داخل الحدث الواحد (الثابت)، أو مجموعة الأحداث الفرعية (المتغيرة)، والمتداخلة مع الحدث الرئيسى، وذلك ابتغاء التأثير، مهما اختلفت الغاية أو الهدف، والمناسبة ومكان إعادة العرض الفنى الدرامى..."

ووفقاً للدراسة العلمية للفنون عموماً.. والدراما بصفة خاصة.. ميدان اختصاص الدراما: ليس دراسة ظواهر الأفعال من الممارسات الحياتية اليومية.. فظاهر الشىء غير دال على حقيقته.. بل مجال الدراسات الدرامية هو: دراسة طبيعة الأشكال الأدبية التمثيلية... ومهما تعددت أسباب الاحتكاك الحضارى والثقافى بين دول شمال حوض البحر الأبيض المتوسط من القارة الأوروبية، ودول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط – العربية، والمستعربة، وغير المستعربة بعد– من الخطأ أن تكون أشكال الإبداع الأدبى التمثيلى لشعوب وقبائل القارة الأوروبية مقياساً، أو نموذجاً لمعرفة أو عدم معرفة الدراما المسرحية عند شعوب وقبائل الأمم الحضارية الأخرى...

ونحن نفرق بين التأريخ للفنون عموماً.. وتاريخ كل فن من فنون المحاكاة على حدة.. سواء أكانت رقص، أم موسيقى وغناء، أم تشكيل، وأدب، ودراما... فالبحث عن الأصول، أو البذور أو الجذور، أو البدايات الأولى للفنون عموماً.. أو التأريخ لشكل من الأشكال الفنية، هو بحث فى طبيعة خلق الإنسان.. وهى طبيعة لا يختلف فى حقيقتها اثنان الله خالقهما.. كما أنها هى بحث فى الممارسات الحياتية الإنسانية الطبيعية، والممارسات الاحتفالية الاعتقادية سواء الدينية أم غير الدينية.. والتى تدخل فى صميم الدراسات العلمية التى تدور حول دراسة المعتقدات أو العادات والتقاليد، إذ وراء كل عادة أو تقليد أو عرف معتقد...

أما البحث فى تاريخ الأشكال الفنية المختلفة من رقص، وموسيقى، وغناء، وتشكيل وأدب، ودراما.. فهو أيضاً ليس بحثاً فى المحاكاة الطبيعية، أو الرغبة الإنسانية الطبيعية التى تنحو وحسب إلى اللعب الطبيعى، أو السعى وراء المتعة، واللعب، واللهو، والفرح، والسعادة... وإنما البحث فى تاريخ الأشكال الفنية المختلفة، هو بحث فى "الهُوية الثقافية".. وفى ملكة الإبداع، وملكتى التذوق والنقد معاً لدى شعب من الشعوب أو أمة من الأمم الحضارية...

وقد أكدت العلاقة الفنية الحية بين الفنان الشعبى وجمهوره على أن وحدة المجتمع وانسجامه ثقافياً، تعود إلى التنشئة الاجتماعية للفرد.. واندماج الفرد وانسجامه مع المجموعة ثقافياً... وأن تطابق المعايير الفردية مع النسق الاجتماعى يبدأ من استيعاب

الشعب أو الأمة أو عموم الناس -على المستويين الفردى والجماعى- للمنهج الثقافى الإسلامى الذى ارتضوا الانتساب له منذ خمسة عشر قرناً...

وبمعنى آخر، إذا ما أخضعنا الدراسات الفنية الدرامية المسرحية إلى علم الفولكلور نجد أن الإنسان قد عرف المسرح الشعبى.. ولكنه لم يعرف الدراما الفولكلورية أو الشعبية قبل القرن الرابع ما قبل الميلاد... لأن "الدراما Drama" مصلح نقدى فنى نحت فى اللغات الإنسانية القديمة على يد اليونانى "أرسطو طاليس" (٣٨٤-٣٢٢ ق.م).. وأصبح دالاً على "النص الأدبى التمثيلى" عند شعوب وقبائل الأمم الحضارية...

ومن ثم، نحن نفرق اصطلاحياً بين ما هو "فولكلورى" دال على عالم قد مضى.. وما هو "شعبى"-تراث ومأثور- يجمع بين العراقة والقدم.. والحياة أو البقاء والاستمرارية بين الناس جيلاً وراء جيل.. وكذا، نؤكد على أننا يجب أن نفرق بين المصطلحات العلمية الآتية:

أولاً: المسرح الفولكلورى هو:

الممارسات الحياتية الطقسية وغير الطقسية التى تنحو إلى التجمهر داخل دور العبادة وخارجها.. فى عصور ما قبل ظهور الديانات السماوية.. أى فى عهد الوثنية وفى زمن أساطير الأولين.. والتى سبقت ظهور الأشكال الفنية الشعبية المختلفة... بالإضافة إلى بعض من الممارسات الاجتماعية الحياتية الدينية وغير الدينية ذات الطبيعة الجماهيرية ، والتى ظلت تعيش مع الناس فيما بعد ظهور الديانات السماوية ...

ثانياً: المسرح الشعبى هو:

"المسرح" الدال على جماعية الثقافة الشعبية.. أو تلاحم الناس وتكاملهم وانسجامهم ثقافياً... وأما من حيث العرض وإعادة العرض الفنى فهو: المكان الذى يحتوى على ثنائية تجمع بين الفنان ونصه الأدبى التمثيلى الشعبى من جهة، والجمهور من الجهة المقابلة...

وبمعنى آخر، إن "المسرح الشعبى" هو:

إعادة عرض "النص الأدبى التمثيلى الشعبى" أمام جمهور متذوق وناقد له... ومناسبة الاحتفالية الشعبية الدينية وغير الدينية هى التى تحدد مسرح زمان ومكان تجمع أو التقاء الجمهور بالفنان.. سواء فى مكان مغلق أم مفتوح... ولذلك عرف "المطرح أو المكان" أكاديمياً باسم: "المسرح أو المرسح"...

ثالثاً: الدراما الشعبية هى:

"الأشكال الأدبية التمثيلية الشعبية التى تنتمى لثقافات شعوب وقبائل الأمم الحضارية..."

الفصل الثالث:

الفولكلور في حياة الناس

الفولكلور والحضارة

إن "علم الفولكلور" علم تاريخى إنسانى ثقافى.. وما كانت "الثقافة" إلا سبباً فى نشوء الحضارات... وتعد فترات التحول والانتقال من عصر إلى آخر من أشد الأزمنة التاريخية صعوبة على شعوبها.. وعلى الدارسين والباحثين فى العلوم الإنسانية الثقافية والحضارية... إذ قد تتصارع الإمبراطوريات الكبرى وتبقى على تنوع الهُويات الثقافية للشعوب والأقوام والقبائل التابعة لها.. وقد تتوحد.. وتتكامل.. وتتجانس.. وتصبح لدينا هُوية ثقافية أممية جديدة للحضارات مثل: الحضارة المصرية القديمة.. والحضارة اليونانية القديمة.. والحضارة الرومانية القديمة.. والحضارة الفارسية القديمة.. وحضارات الشرق الأقصى كالصينية -البوذية-والهندية -الهندوسية- والحضارة الإسلامية.. وغيره...

ولقد ظهرت "الحضارة الإسلامية" وازدهرت بين إمبراطوريتين متساويتين فى القوة، ولكن متعارضتين ومتضادتين فى الاتجاه... وبمعنى آخر، بين حضارتين أوثقافتين هما: "الروم والفرس" اللتان كانتا تقتسمان سيادة العالم-تقريباً-: ما بين شمال حوض البحر الأبيض المتوسط، وجنوبه.. وأحاطت كلاهما-الروم والفرس- بقبائل العرب، ومنهم: الوثنيين، والمسيحيين، واليهود... وكان يطمع كل من الروم والفرس فى بسط نفوذه على الآخر، وبالتأكيد على عرب الجزيرة العربية والمناطق الجغرافية السكانية المحيطة بها...

وعُرف عصر ما قبل البعثة وولادة سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم (٥٣ق.هـ- ١١هـ/ ٥٧١-٦٣٣م) باسم: "الجاهلية".. إذ يقول الله تعالى فى الآية: ٢٦ من سورة: الفتح: [...إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ...]، وكانت العرب أمة أمية ضالة.. مَنَّ الله -سبحانه جل شأنه- عليها برسول ونبى منهم.. وعرف "صلى الله عليه وسلم" فيما بين الناس بالصادق الأمين.. وصدق الله العظيم، الذى يقول فى الآية: ٢ من سورة: الجمعة: [...هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ...]، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو النبى الأمى الذى أسلم لله رب العالمين، ولم يأخذ المعرفة والعلم عن الأنس أو الجن.. وذلك كي يخرس "الله" ألسنة الشكاكين... وصدق الله العظيم، القائل في الآيات: ١-٥ من سورة: النجم: [وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى...]

ومن سمات العرب أن منحهم "الله" ذاكرة حافظة، فعندما نزل "القرآن الكريم" على النبى الرسول المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، منذ خمسة عشر قرناً، كان النبى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتلوه- مفرقاً- فيحفظونه، ويعيدون تلاوته كما نزل جيلاً وراء جيل، لا حرف تأخير.. ولا حرف تقديم.. وصدق الله العظيم، الذى يقول عن الخلف الذى حفظ عن السلف فى الآية: ٤٩ من سورة: العنكبوت: [... بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...] ولم يترك "الله" عز وجل كتاب "القرآن الكريم" للناس وألسنتهم، إذ يقول الله تعالى فى الآية: ٩ من سورة الحجر: [...إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ...]

هدية السماء إلى الأرض

واتفق الرأى على أن ولادة النبى الرسول المختار سيدنا محمد بن عبد الله - صلوات الله والسلام عليه- كانت بمدينة "مكة"، يوم (٢٠/ ٤/ ٥٧١م) الموافق (١٢ ربيع الأول ق.هـ)، و"مكة" هى المدينة التى تحتضن أول بيت وضع للناس فى الأرض.. إذ يقول الله تعالى فى الآية: ٩٦ من سورة: آل عمران: [...إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ...]، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أحد أبناء بنى هاشم من قبيلة قريش العربية، والذين يذكرهم الله تعالى فى آيات الذكر الحكيم، إذ يقول فى الآيات: ١-٤ من سورة: قريش:[لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ...]، وعُرف العام الذى ولد فيه سيدنا رسول الله

-صلى الله عليه وسلم- بـ"عام الفيل"، لأن فيلاً ضخماً كان يتقدم جيش "الأحباش" الذين احتلوا "اليمن" بمباركة من الإمبراطورية الرومانية عام (٥٦٨م)، وخرج الجيش الحبشى من اليمن عام (٥٧١م) بقيادة ملكهم "أبرهة" لهدم "الكعبة".. إلا أنهم لم يستطيعوا هدمها أو الاستيلاء على مدينة "مكة وجزيرة العرب".. إذ للبيت رب يحميه.. وصدق الله العظيم، الذى يقول فى الآيات: ١-٥ من سورة: الفيل: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ...]

إن "الكعبة" أول بيت وضع للناس، ولها رب يحميها، وأجاب الله تعالى دعاء سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- إذ يقول الله تعالى فى الآية: ١٢٥ من سورة: البقرة: [...وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً...]، وفشل الأحباش فى احتلال "مكة".. وأخرجهم الفرس من اليمن، وظلت تتبع الإمبراطورية الفارسية حتى ظهور الإسلام، وانتشار دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النبى الرسول المختار، وانتصار المسلمين على الفرس عام (٦١٤م) فى موقعة "ذى قار"... ولم يدخل "مكة" من بعد عام (٨/ ٩هـ) إلا من أمن برب البيت، وشهد: "أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله".. أى من بعد أن طهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين مدينة "مكة" من الكفر.. وبفضل من الله تعالى فتحها -عليه أفضل الصلاة والسلام- يوم (١٠ رمضان ٨هـ) الموافق (١ يناير ٦٣٠م)، إذ يقول الله تعالى فى الآية: ١ من سورة الفتح: [...إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً...]، وفرض الله تعالى على المسلمين منذ هذا الحدث التاريخى الهام قوله جل شأنه فى الآية: ٢٨ من سورة: التوبة: [...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا...]، و"الشرك": اعتقاد فى تعدد الآلهة، وحين القول: أشرك الإنسان بالله.. أى جعل لله الواحد الأحد شريكاً فى الملك.. ومنهم عبدة الأوثان، سواء أكانت من حجر أم من خشب أم غير ذلك من جماد أو مما هو حى...

ومع بدايات القرن السابع الميلادى، فى ليلة مباركة من الشهر العربى رمضان عام (١٣ ق.هـ/ ٦١٠م) هى "ليلة القدر" التى على المسلم أن يتحراها فى العشر الأواخر من شهر رمضان تصديقاً لقول الله تعالى فى سورة: القدر: [...إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ...]، نزل الوحى "الملك جبريل" عليه السلام بأمر من الله تعالى -جل شأنه- على النبى الرسول المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وهو فى الأربعين من عمره لتبليغ العالمين آخر الرسالات السماوية.. فقد خلق الله الإنسان وعلمه البيان.. وفى "غار حراء" الذى هو بمدينة "مكة" قرأ أول ما قرأ الملك جبريل -عليه السلام- على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أولى آيات كتاب الله: "القرآن الكريم": [...اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ...] الآيات١-٥ من سورة:العَلَق-وكررها ثلاث- ثم، من بعد عودته لبيته، ومع شعوره بجلال الرهبة، قرأ الملك جبريل-عليه السلام- فى منزله- قول الله تعالى: [...يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ...]-الآيات:١-٧من سورة: المدثر- ثم بدأ النبى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تدريجياً فى نشر دعوة الله تعالى بين أهل بيته وقومه سراً لمدة ثلاث سنوات، إذ يقول الله تعالى فى الآيات: ٢١٤-٢١٦ من سورة: الشعراء: [...وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ...]

جهر النبى الرسول المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة، ونادى بالتوحيد، ونبذ الأوثان، ودعا العالمين إلى الإسلام.. بعد أن قبل خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فرض وأمر الله فى زمن تفرقت فيه الشعوب والقبائل، واختلطت فيه الديانات والعقائد.. وكان من كان على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن كان من أهل الكتاب وعلى ملة سيدنا موسى عليه السلام، وسيدنا عيسى عليه السلام.. وهؤلاء كانوا القلة.. بينما كانت الغلبة والكثرة العددية للوثنيين كعبدة الأصنام، وعبدة النار، وعبدة الشمس، والقمر، والنجوم... ويسأل الله تعالى العالمين فى الآية: ٣٩ من سورة: يوسف:[...أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ...] ويجيب الله تعالى على من ضل، فى الآية: ٢٢ من سورة: الأنبياء، ويخبرنا عن مشيئة الخير والرحمة بالعباد، والسر فى وحدانيته، ويقول الله جل شأنه: [... لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ...]، وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله وأنى رسول الله دخل الجنة)

قرآن مبين.. وإمام أمين

لقد نزل كتاب الله تعالى "القرآن الكريم" بالحق منذ خمسة عشر قرناً.. واختلف "اليهود والنصارى" قبل الكفار والمشركين فى "المصحف الشريف"، وقال بعضهم (شعر).. وبعضهم الآخر:(سحر وكهانة)!!! وفى سبيل وجه الله تعالى، واجه سيدنا محمد الرسول

الأمين – صلوات الله والسلام عليه– تعنت وكفر الناس بالصبر على المكاره، فقد رموه بالكذب والافتراء.. واتهموه بالسحر والكهانة.. وتحمل أذى الطريق والجار والصديق ورميه بالحجارة.. وقولهم شاعر.. مجنون.. ساحر.. وما هو بشاعر ولا مجنون، وما كان بساحر.. وبفضل من "الله" وبركاته نجح خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى تبليغ رسالة الدعوة إلى الإسلام، وصدق الله العظيم، إذ يقول فى الآية: ٩٥ من سورة: الحجر: [...إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ...]

ويوم خرج النبى الرسول المختار محمد بن عبد الله صلوات الله والسلام عليه بصحبة أهل بيته ومن اتبعه بإحسان من المسلمين إلى الحج فى اليوم الموافق (٢٥ ذى القعدة ١٠ هـ/ ٦٣٢م)، وبعد أن أتم الحج والعمرة عملاً وصدقاً بقول الله تعالى فى الآية: ١٩٦ من سورة: البقرة: [...وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ...] خطب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أمته "خطبة الوداع" التى قال فيها عليه أفضل الصلاة والسلام، والذى لا ينطق عن الهوى: تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا من بعده أبدا: كتاب الله وسنة رسوله..) ثم تلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى فى الآية: ٣ من سورة المائدة: [...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...] فقد أتم سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله والسلام عليه رسالة الله تعالى... وبكلمة حق نزلت من عند رب العالمين قبض الله تعالى روح عبده الصالح، البشير، النذير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، يوم الاثنين الموافق (١٢ ربيع الأول ١١ هـ/ ٧ يونيو ٦٣٢م) – عن عمر يناهز ٦١/٦٣– ودفن فى المدينة المنورة بمسجد وقبر خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم..[١٦] ويعد أن ربط الله تعالى –جل شأنه– المسلمين بالكتاب "القرآن الكريم" لا بشخص خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق الله العظيم القائل فى الآية: ١٤٤ من سورة: آل عمران: [... وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ...]

مصر وحضارتها النيلية

وقد دخل الإسلام "مصر" وكانت مضطربة عقائدياً.. فإلى جانب "وثنية الإمبراطورية الرومانية" التى كانت مصر تتبعها.. و"الديانة المسيحية" المنتشرة بين أهل مصر.. و"الديانة اليهودية" المنتشرة بين بنى إسرائيل فى مصر... لم تختف تماما "الديانة المصرية القديمة" مثل: عبادة "إيزيس وأوزوريس".. ويذكر أن "أخناتون" من الأسرة الثانية عشر فى التاريخ

المصرى القديم، هو أول من نادى بالتوحيد، ودعا إلى عبادة إله الشمس: أمون رع -أتون الشمس-[١٧] ولم ينعم الذين آمنوا بالديانتين السماويتين: "المسيحية، واليهودية" بالأمن والأمان والاستقرار الكامل على أرض مصر التى كانت ولاية رومانية منذ عام (٣٠ ق.م) وحتى سنة (٦٤١م/ ٢٠ هـ) إلا بعد أن أخذ أمير المؤمنين الخليفة "عمر بن الخطاب" (٤٠ ق.هـ- ٢٣هـ/ ٥٨٤-٦٤٤م) قراراً بفتحها عام (١٨هـ/ ٦٣٩م).. وخرج لها "عمرو بن العاص" (٥٠ ق.هـ- ٤٣هـ/ ٥٧٤-٦٦٤م)... وأصبحت على يديه حدود مصر الكاملة -فى ذلك الوقت- تابعة للخلافة أو الدولة الإسلامية مع نهايات عام (٢١هـ/ ٦٤٢م)... وتنفيذاً لقرار الخليفة الأموى "عبد الملك بن مروان" (٢٦-٨٦هـ/ ٦٤٦-٧٠٥م)- الذى صدر بتعريب جميع الدواوين فى دولة الخلافة أو الدولة الإسلامية ما بين أعوام (٨٥هـ-٨٧هـ/ ٧٠٤-٧٠٦م)- عربت الدواوين فى مصر بدلاً من "اليونانية -الرومية-" لغة حكم الإمبراطورية الرومانية، وبدلاً من المصرية القديمة -القبطية- التى كانت تكتب هى الأخرى بحروف الهجاء اليونانية القديمة، وحفظتها الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية المصرية من الزوال... ولم يكد القرن الرابع الهجرى يمضى، إلا وأصبحت مصر كلها تتكلم "العربية".. بعد أن التقت المصالح.. وفتحت الحصون.. واختلط الناس ببعضهم البعض.. وتزاوجوا... ورويداً.. رويداً.. صارت "اللغة العربية" إجبارية على من يريد أن ينتسب إلى "ثقافة الدولة"، أو"ثقافة الأمة"، أو"ثقافة الإسلام".. وانحصرت اللغة المصرية القديمة -القبطية- بين المسيحيين، وخاصة داخل دور العبادة الكنائسية، وحلت "اللغة العربية" محل اللغة المصرية القديمة، ومحل "اللغة الرومية -اليونانية-"، ومحل "الأفرنجية - اللاتينية-".. وسادت "اللغة العربية" فى البلاد المستعربة... واكتفت الدولة المصرية الحديثة، بإنشاء أقسام تعليم اللغات الشرقية القديمة بالهيئات التعليمية الجامعية المتخصصة... واهتمت بتعليم "اللغة المصرية القديمة" (الديموطيقية- الشعب-، الهيروغليفية- الأحجار-، الهيراطيقية- رجال الدولة)، عملاً على إبقاء مصر على خارطة السياحة العالمية، وخاصة بعد النجاح الكبير فى فك "حروف اللغة المصرية القديمة"، نتيجة اكتشاف "حجر رشيد" أثناء الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م)، على يد الفرنسى"بوشار" (١٧٧٢-١٨٣٢م) فى (١٩) يوليو(٧) من عام (١٧٩٩م) بمدينة رشيد-رخيت-رشيت-التى تقع شرق مدينة الإسكندرية على حوض البحر الأبيض المتوسط... واستطاع العالم الفرنسى "شامبليون" (١٧٩٠-١٨٣٢م) فك حروفه عام (١٨٢٢م).. وهو حجر من البازلت الأسود، ومكتوب عليه منذ عام (١٩٦ق.م) ثلاثة نصوص بثلاث لغات: الأولى: الهيروغليفية- الدينية

المقدسة فى المعابد وعلى الأحجار- أما الثانية: فهى الديموطيقية: لغة الشعب، أو اللغة التى عرفت باسم: "اللغة القبطية" أى المصرية المسيحية، فهى اللغة الحديثة لقدماء المصريين.. بينما الثالثة. هى "اليونانية" لغة الحكم فى مصر الرومانية... وهناك محاولات مصرية جادة لاسترداد "حجر رشيد" من المتحف البريطانى، مثل غيره من الآثار المصرية التى خرجت من مصر بطرق غير شرعية، إلا أن المتحف البريطانى لم يوافق على رده، وعرض على مصر إهداء نسخة جديدة ولكن طبق الأصل من "حجر رشيد"، وعلى رأى المثل: (الاسم لطوبه والفعل لأمشير)!!!

وبحثاً عن الفائدة المادية -التربح المادى-، تابع المصرى وغير المصرى (نبش) القبور، بغرض عرض الأموات أى "المومياوات"، أو "الأجساد المحنطة" فى القبور، للفرجة عليها لا سرقتها.. وفى كلتا الحالتين: هذا الأمر خارج عن نطاق المنطق الأخلاقى الدينى السماوى وغير السماوى.. إذ إن تقديس تحنيط الأجساد ودفنها، يجسد الرؤية العقائدية الإنسانية المصرية القديمة.. فقد آمن المصرى القديم بفكرة "بعث الحياة" فى الأشكال المصورة -وبخاصة على الحجارة-، ورأى أن "الموت" ليس هو النهاية.. بل هو البداية التى يستعيد معها الجسم الميت الحياة الثانية "الأبدية"... وما زال إلى اليوم، ينفخ أو يبصق أو يتف المصرى والمصرية فى الصدر ثلاث، فى لحظات الخوف أو الخضه، وكأنه يرد إلى جسده روحه، كما ردت روح (أوزوريس) إلى الجسد ببصقة (إيزيس)، أوتفة (إيزيس) نسبة إلى الربة "تفنوت" زوجة "جب" إله الأرض، وأم: "أوزوريس، وإيزيس، وتفنتيس، وست"... وقد كان المصريون القدماء قبل المسيحية -الديانة السماوية- يؤمنون بالثالوث المقدس وهو: "الأب أوزوريس"، و"الأم إيزيس"، و"الابن حورس".. وهذا (الثالوث الوثنى) حاربته المسيحية فى مصر.. فالآلهة فى "الديانة الوثنية" وجودها الإنسانى جعلها "تتناسل"... بينما بشر فى مصر سيدنا المسيح بن مريم عليهما السلام وتلاميذه باسم إله واحد هو: "الله"، فذات "الله" واحدة.. ومثلث الأقانيم من: الأب "الأبوة"، والابن "البنوة"، والروح القدس "الإنبثاق"، ذات طبيعة واحدة، وجوهر واحد، وليست من ثلاثة[١٧]...

أنا المصرى

إن الناس فى مصر على تنوعهم: منهم من آمن بسيدنا "محمد" خاتم الأنبياء والمرسلين -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، ومنهم من ظل على ديانته المسيحية واليهودية... إلا أن "المسيحيين" منهم - فى مصر- هم الذين يعرفون بهذا الاسم: "الأقباط".. والذين أوصى بهم خيراً رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، طبقاً للمأثور القولى

النبوى الشريف: (أوصيكم بمصر خيراً... فإن لكم فيها نسباً وصهراً)، ويرُجع "النسب" إلى السيدة "هاجر المصرية" زوجة أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام -خليل الله- الذى أنجب منها سيدنا إسماعيل عليه السلام.. فى حين يرجع "الصهر" إلى السيدة "ماريا المصرية"-القبطية- المسيحية- والتى تزوجها سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام....

وبمعنى آخر، كلمة "قبطى" لفظ عربى الأصل، ويطلق على مسيحى مصر.. الذين عانوا من اضطهاد الحكم الإمبراطورى الرومانى... وكلمة "قبط" العربية مشتقة من الأصل اليونانى القديم: "إيجيبتوس Aegyptus"، ومع إسقاط حرف (US)، أصبحت تكتب اليوم "Egypt"، وهى التى صارت اليوم "جبت" أو "قبط" فى اللغة العربية.. مع ملاحظة أن عادة فى اللهجة المصرية ما يقلب -البعض من المصريين- حرف الهجاء (ق) إلى (ج)، كما ينطق صوتياً حرف (ط) إلى (ت)!!! أى إن "قبطى" تعنى "مصرى".. و"مصرى" تعنى "قبطى"... ولم يحكم مصر على اختلاف عصورها قبطياً، أى مصرياً يدين بالديانة المسيحية يوماً ما...

وإذا ما كانت من الأخطاء الشائعة أن يقول البعض مثلاً: (مصر الفرعونية) فذلك لأن كلمة "فرعون" لقب يطلق على حاكم مصر، ابن الإله الأعلى: "أمون- رع".. ويعنى: صاحب البيت الكبير أو العظيم... بينما، أن يقول البعض-أيضاً-: (مصر القبطية) أى مصر المصرية.. أو (مصر فى العصر القبطى) أى مصر فى العصر المصرى، فتلك أخطاء أخرى أبشع...(١٩)

إن المصريين المسيحيين هم "الأقباط" كما سماهم العرب -وأحيانا ما يطلق المسلم على النصرانى والمسيحى القبطى لفظ (الخواجه)- ولهم حق المواطنة في الدولة المصرية لأنهم مصريون.. ولا تمن الدولة التى ينتمون إليها عليهم بذلك.. فمثلهم مثل من أمن بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".. ومن ظل على دين نبيه سيدنا موسى عليه السلام "كلهم مصريون"، فهم من أهل كتاب ودياناتهم سماوية.. وينتسبون إلى الحضارة المصرية...

الهُوية الثقافية المصرية

ومن ثم، لكى يمكن تحديد ملامح الهُوية الثقافية أو الشخصية المصرية، يجب أن نميز بين ثقافتين:

الأولى: ثقافة ما قبل الإسلام.. أى ما قبل نزول الدعوة الإسلامية على سيدنا محمد (٥٣ ق.هـ -١١هـ/٥٧١-٦٣٢م) خاتم الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله تعالى رحمة للعالمين.. وعددهم يفوق(٢٤) نبياً ورسولاً مما نعد.. وصدق الله العظيم، إذ يقول فى الآية: ١٦٤ من

سورة النساء: [... وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ...]، ويستكمل الله تعالى الآيات ويقول فى الآية التالية ١٦٥ من نفس سورة النساء: [... رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً...]

والثانية: ثقافة ما بعد الإسلام.. وهى ثقافة أممية جمعت شعوباً وقبائل منذ خمسة عشر قرناً هجرياً ليتعارفوا، ويعملون على تقوى الله تعالى... وما عند الله خير وأبقى للذين يؤمنون بالغيب، والأنبياء، والرسل، وكتبه تعالى، وعلى ربهم يتوكلون... ويصلون... ويسلمون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. والذين إذا استجابوا لأمر ربهم: أقاموا الصلاة.. وآتوا الزكاة... والذين ينفقون مما رزقهم الله.. ويأمرون بالمعروف.. وينهون عن المنكر والبغى... إنهم الذين صبروا، وعملوا الصالحات.. واجتنبوا كبائر الإثم والفواحش.. ما ظهر منها وما بطن.. إنهم كاظموا الغيظ والعافين عند المقدرة.. والذين يتبعون السيئة بحسنة تمحوها.. إنهم أهل القبلة الذين يسعون إلى تقوى الله تعالى.. وهؤلاء هم "الناس Folk" الذين يقولون: (اللهم أتنا فى الدنيا حسنة وفى الأخرة حسنة وقنا عذاب النار).. والذين يقول الله تعالى عنهم فى الآية: ١٥٧ من سورة الأعراف: [... الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...]

إنها "الأمة" التى أقرت منذ خمسة عشر قرناً الاجتماع على قبلتها "الكعبة" وعلى أذان يتردد صداه بين "الخلق" فى الأرض: (الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله.. اشهد أن محمداً رسول الله.. اشهد أن محمداً رسول الله.. حى على الصلاة.. حى على الصلاة.. حى على الفلاح.. حى على الفلاح.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله).. وصدق الله العظيم، الذى يقول عن أمته المسلمة فى الآية: ١٧٧ من سورة: البقرة: [... لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ...]

انا أخير بشمس بلدى

وإذا ما تغاضينا عن الأديان غير السماوية مثل: "البوذية"–"الكونفوشيوسية– و"الهندوسية" – سنجد أن العالم تتقاسمه ديانتان سماويتان رئيسيتان هما: "الإسلام

والمسيحية".. وطبقاً لقانون الأحوال المدنية، ولائحته التنفيذية فى مصر: على كل مواطن مصرى الجنسية استخراج بطاقة هوية دالة على مصريته، وعقيدته الدينية السماوية... وهى اليوم ثلاث: مسلم، مسيحى، يهودى... ونص قانون أول مجلس نيابى فى مصر(١٨٨٦م) على عهد "الخديوى إسماعيل"(١٨٣٠-١٨٩٥م)، على أن كل من بلغ الخامسة والعشرين (٢٥) من العمر وولد فى مصر يمكن له الترشيح للمجلس شريطة أن يكون أميناً ومخلصاً... وكانت أول مرة تعلن فيه الجنسية المصرية: بعد إعلان الدستور سنة (١٩٢٣م)، عقب ثورة عام (١٩١٩م).. والذى نص على أن كل من كان على أرض مصر حتى عام (١٩١٣م) يعتبر مصرياً.. وأن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع.. التزاماً بمنهج وأحكام القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فهما دستور الأمة التى تشهد بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" منذ خمسة عشر قرناً... وهذا حكم "الله" بين العباد، وهو أحكم الحاكمين...

ووفق "قانون المواطنة".. وبدون إطالة أو شرح أو تفصيل، معنى مصر دولة إسلامية هو: أنها ليست دولة دينية يحكمها رجال دين... وحفاظاً على كيان الدولة –الأرض ومن عليها– نرفض بشدة: "تسييس الدين".. لأن تثبيت حكم ومعارف (Lore) الناس (Folk) لا يعنى الخلط بين "التدين" وسلطة الحكم باسم: "الدين الإلهى"... أى يجب ألا نخلط بين سلطة الحكم الإلهى من جهة.. وسلطة الحكم المدنى أو الوضعى من جهة أخرى.. فأحكام الشرائع الدينية لا تُفرض إلا على أصحابها.. ووفقاً لإعلان مبادئ حماية حقوق الإنسان عالمياً، ليس من العدل، ولا المساوة الاجتماعية إجابة دعوة البعض إلى حكم الأقليات مدنياً وفق عقائدهم وشرائعهم الدينية السماوية... والإسلام منذ خمسة عشر قرناً، لا يفرق بين الناس على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو حتى اللغة والدين.. وغيره... وقد قالها وليم مكرم عبيد (١٨٨٩-١٩٦١م) الزعيم المصرى القبطى أى الذى يدين بالديانة المسيحية: "أنا نصرانى ديناً ومسلم وطناً"...

وتقسيم مصر إقليمياً، لا يعد تقسيماً ثقافياً ولا إثنياً..وإنما هو فى حقيقته ليس إلا تقسيماً إدارياً للدولة.. فلا حواجز جغرافية أو عرقية أو لغوية على أرض مصر... وبمعنى آخر، بغض النظر عن البيئة الطبيعية الصحراوية التى تحيط أرض مصر من الأطراف، تقسيم مصر إقليمياً لا يعنى أن هناك ثقافات عرقية متعددة.. ومجتمعات محلية ثقافية جزئية داخل الإقليم القطرى المصرى...

وليس من الديمقراطية ولا الحرية، ولا من المفاهيم العلمية الحديثة السماح بالترويج لألفاظ اصطلاحية جديدة ذات دلالة إيديولوجية مشبوهة!!! كأن يروج البعض-مثلاً- إلى دعوة التمييز بين "دين شعبى" ودين آخر، أياً كان اسمه الذى روجوا له: "دين رسمى" أم "دين غير شعبى" أو غيره.. لأننا، لسنا فى زمن أساطير الأولين، ولا نعيش عصر الوثنية.. ولسنا أمام ممارسات حياتية، وشعائر دينية حافلة بالأسرار.. والعجائب.. والغرائب!!! والحذر واجب من الاستجابة إلى الدعوات التى تعود بالإنسانية إلى زمن الجاهلية، والأمية!!! وقد حكمت الناس على نفسها يوم قالت كلمتها جيلاً وراء جيلٍ:(يا بَخْتْ مِنْ بَكانِى وبِكَىَّ النَّاسْ عَلَىَّ ويا ويلْ مِنْ ضحَّكْنِى وضَحَّك النَّاسْ عَلَىَّ)...

كما أن العمل بمبدأ الحق الطبيعى فى نشر الديمقراطية والحرية، لا يعنى الخلط بين حق أهل الكتاب فى ممارسة شعائرهم الدينية.. وبناء دور العبادة الخاصة بهم... والموافقة على ظهور تجمعات إنسانية دينية وغير دينية.. سرية وغير سرية.. ومخالفة لنسق القيم الثقافية الإسلامية...

وبمعنى آخر، ليست هى ديمقراطية، ولا هى حرية، ولا هى مدنية، ولا هى معاصرة: أن تُلبى، وتُجاب الأصوات الداعية إلى وجود تجمعات إنسانية لمن ضل عن سبيل الله ، من أجل ممارسة طقوسهم الوهمية.. التى سواء أكان طابعها وثنياً أم سماوياً أو إنسانياً فهى "بدعة"، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار...

إن كلام الله ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هو: الكلام الفصل الذى يقدم الحكمة والمعرفة التى يبنى الناس عليها نسق قيمهم الثقافية المتصلة بدورة الحياة من الميلاد إلى الوفاة.. أو بحقيقة الوجود فى دار الحياة الدنيا أو الأولى.. والآخرةُ التى تقابل الحياة الأولى فى الدنيا.. ويقصد بها البعث فى دار الحياة الثانية بعد الموت...

وقد أخطأ من ظن أنه قد نجح فى إضعاف دور المأثورات القولية الشفاهية والمدونة من الآيات القرآنية الكريمة، والحديث النبوى الشريف.. إلى حد التشكيك فيهما، وأثرهما فى حياة الناس، وفى قدرتهما على حفظ البنية الأخلاقية الثقافية للمجتمعات الإنسانية التى آمنت قولاً وفعلاً منذ خمسة عشر قرناً بديانة التوحيد وشهدت بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"... ومازالت تجرى فى الأمثال على ألسنة الناس مقولة:(الله أعلم ورسوله...)

إن خضوع كل عضو في المجتمع للمشيئة الإلهية يعني: الالتزام بـ"الأخلاق" التي لم تفرق بين الاستقامة الروحية والسلوك الصحيح.. أو ما بين السعي لخلق عالم فاضل في دار الحياة الدنيا.. والرقي بالإنسان إلى عالم المثال في دار الآخرة...

ومن ثم، نحن ضد تبني قيم ثقافية غير منضبطة مع "نسق قيم الثقافة الإسلامية".. وضد صرف الناس عن "أصول الدين"؛ فمن الخطأ أن نقول صحيح الدين، لأنها حينما تخضع إلى الرؤى الفردية تحتمل الصحة والخطأ!!! ومن المشين أن تكون "الأمية" وممارسات الإنسان الحياتية غير المنضبطة مع أصول الدين السماوي عنواناً دالاً على الهُوية الثقافية لشعوب وقبائل الأمة الإسلامية.. إلى حد إلهاء الناس وتضليلهم.. والتقصير في كفالة التربية والتعليم للناس أجمعين.. والاهتمام بالفروع، والسماح بالترويج لبدعة، أو خاطرة لشخص ما وفق مناهج إيديولوجية تتعارض مع نسق قيم الثقافة الإسلامية... ولا يقبل الله النافلة حتى تؤدى الفريضة.. فإن صلح حال المجتمع صلح حال الحكم- والعكس صحيح أيضاً- إن صلح حال الحكم صلح حال المجتمع...

نِعَم الحياة

ومما لا شك فيه، أن علاقة "الثقافة الإسلامية" بالهُوية الاجتماعية للناس الذين يستمدون عضويتهم الجماعية بالانتساب إليها، من أكثر الموضوعات الثقافية الإنسانية إثارة للجدل، على الرغم من أن سلوك الناس اليومي يؤكد عليها، وأن كل إنسان حامل لعنصرٍ من عناصر ثقافته الشعبية... والأصل في الدين الإسلامي: الإباحة.. لا الأباحة – أي القباحة- ففي اللهجة المصرية عادة ما ينطق صوتياً – أيضاً- حرف الهجاء (ق) إلى حرف الألف (أ)...

ونحن إذا ما أدمجنا مع المعتقدات: العادات، والتقاليد، والأعراف، والأخلاق، والمعارف، فذلك لأنها تجيء تجسيداً لمعتقد ديني كامن وراءها لايقبل الشك فيه... و"الاعتقاد" فعل يؤدي إلى ممارسة سلوك ما: مادي ولا مادي.. تعرف العقول صوابه.. وتطمئن له النفس.. ولا يستحي منه أحد... وعن "الحياء" في الإسلام قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (الحياء شعبة من الإيمان، ومن لا حياء له فلا إيمان له...)؛ ولهذا نقول:

"إن السلوك يعني: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه"... ويعد "الاستغفار" من أهم أشكال السلوك الإنساني، إذ يربط "الله" بين الاستغفار ووحدانيته تعالى، ويقول الله تعالى في الآية: ١٩ من سورة: محمد:[...فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ...]، و"السبحة أو المسبحة" في يد الناس-على اختلاف معتقداتهم السماوية- عددها فردي يبدأ من (٣٣)،

ومضاعفاتها -وعند المسلم يعلوها مأذنة أو منارة.. وعند المسيحى صليب- ولا وظيفة أخرى لها سوى "التسبيح لله"... وقال سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام: (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإنى أتوب فى اليوم أكثر من سبعين مرة)، وصار "المسلم" يسبح لله منذ خمسة عشر قرناً ويقول: سبحان الله (٣٣)، الحمد لله (٣٣)، الله أكبر(٣٣) وزيادة.. وقد قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:(إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)..

كما يربط الله سبحانه وتعالى "الاستغفار" بـ "الصبر" فـ: (العجلة من الشيطان...)، وصدق الله العظيم: القائل عز وجل فى الآية: ٥٥ من سورة: غافر: [...فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...]، بل ويربط الله تعالى بين: "الصبر، والتوكل على الله، والرزق".. ويعد الله الناس فضلاً فى الدنيا والآخرة... ويقول الله جل شأنه فى الآيات: ٥٩-٦٠ من سورة: العنكبوت [...الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ...]، ويعد الله جل شأنه الناس فضلاً فى الدنيا والآخرة، إذ يقول الله تعالى في الآية: ٩٧ من سورة: النحل: بسم الله الرحمن الرحيم: [...مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ...]، وأسر الله جل شأنه الذين آمنوا بشهادة:(لا إله إلا الله محمد رسول الله) من الناس وعملوا الصالحات ووعدهم الله بالجنة فأسعدهم، إذ يقول الله تعالى فى الآية: ٥٨ من سورة: العنكبوت: [...وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ...]، هذه هى دعوة الله لعباده الذين اتقوا وتركوا المحرمات وفعلوا الطاعات.. وتابوا وآمنوا وعملوا صالحاً فى الدنيا من أجل آخرتهم.. فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل... وعسى الله أن يكفر عنا سيئاتنا، وسيئات الذين أدركوا إن رحمة الله قريب من المحسنين.. ومازال يتردد بين الناس المأثور القولى الشعبى الآتى: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً.. واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً..)

فى يوم.. فى شهر.. فى سنة

إننا مازلنا فى بداية القرن الحادى والعشرين من السنة الميلادية، ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام.. وفى النصف الأول من القرن الخامس عشر الهجرى.. منذ أن ارتضى -عن اتفاق- من آمن شهادة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وعبد الله تضرعاً وخفيةً.. وخوفاً وطمعاً.. أن تكون سنة هجرة النبى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،

بصحبة خليله أبو بكر الصديق (٥١ ق.هـ-١٣هـ. / ٥٧٣-٦٣٤م.)، والتى توافق عام (٦٢٢م.) هى بداية تاريخ الأمة الإسلامية...

ويؤكد احتفال الناس برأس السنة الهجرية على إيمانهم بالعالمين المادى واللامادى، أى بكل ما هو روحى وما هو غيبى.. وما هو مادى ملموس ومحسوس.. إذ مازالت الناس تروى الرواية الشفاهية المأثورة عن (قصة الغار)، وكيف أقبل فرسان قريش إلى "غار ثور" ولم يدخلوه.. إذ بقدرة من "الله" رأوا على بابه معجزات ثلاث: خيوط نسيج العنكبوت.. وحمامتين.. وشجرة نامية على باب الغار... وحفظ الناس قول الصديق "أبو بكر" للرسول النبى الهادى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا) واختصره الناس وقالت: (بص تحت رجلك)...

إن أشهر السنة العبرية قمرية.. بخلاف السنة الميلادية فهى "شمسية".. بينما أشهر السنة الهجرية "قمرية".. وكلما دار الفلك دورته، تغيرت الأعياد الاحتفالية الدينية الإسلامية... وقبل انقضاء دورة شمسية كاملة، أو حتى مضى (١٢) ساعة، يشارك المسلم أخيه المسلم أعياده، وأفراحه، واحتفالاته الإسلامية على أى بقعه فى الأرض.. وفى نفس اليوم.. أى قبل انقضاء نصف دورة شمسية ... وصدق الله العظيم، الذى يقول فى الآية: ٣٦ من سورة: التوبة: [... إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَ?لِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ...]

بعث الحياة

وما زال الفلاح المصرى لعلاقته بالأرض والدورة الزراعية، يستخدم التوقيت المصرى القديم، الذى يحفظه أبا عن جد.. كما يحفظ التوقيت الهجرى الإسلامى، والتوقيت المسيحى[٢٠]... ويعد عيد "شم النسيم"، أو "عيد الربيع"، أو "عيد نسيم الربيع".. أو كما كان يسميه "المصريون القدماء": "عيد شمو" -عيد بعث الحياة- نموذجاً للوحدة الثقافية الحضارية المصرية... إذ يحتفل بعيد "الربيع"، أو "شم النسيم" جميع المصريين على اختلاف عقائدهم السماوية يوم الاثنين التالى لاحتفال المسيحيين بعيد الفصح -أول أحد بعد أول بدر من الشهر القمرى- ويحرص المصريون فى هذا اليوم على الدعاء والتمنى.. وشم الهواء الطلق منذ الصباح.. والخروج إلى النيل، والحدائق، والمتنزهات، وأكل الخضرة: كالبصل الأخضر، والخس، وقزقزة الملانة أو البلانة.. وهى ثمرة الحمص الأخضر.. إلى جانب تلوين البيض الذى يرمز إلى خلق الحياة.. وأكل السمك كالفسيخ والرنجة...

علماً بأن المسيحيين الأرثوذكس المصريين يستقبلون "عيد القيامة المجيد"– قيامة سيدنا المسيح عليه السلام من قبره– يوم الأحد السابق على احتفالهم مع إخوانهم المصريين الذين يشهدون بشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بعيد "شم النسيم" – البشارة–.. وكالعادة يتبادل المصريون التهانى فى أعيادهم الإسلامية والمسيحية.. وتناول المخبوزات وبخاصة: "كحك العيد" الذى يعجن كحلقة الشمس (أتون).. وتوزع على الأطفال "العيدية"... وقد أباح الله تعالى طعام أهل الكتاب.. ويقول الله تعالى فى الآية: ٥ من سورة المائدة: [... الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ...]

ليلة السبوع

ومازال يحرص المصرى على الاحتفال بليلة "سبوع المولود".. إذ يشارك الأهل، والأقارب، والأصدقاء، والجيران فرحة أهل البيت أو الدار بالمولود.. والناس على اختلاف معتقداتهم فى مصر، تشترى للولد (الإبريق)، وللبنت (القلة)... وتخرج "الأم" ليلة السبوع للضيوف بالمولود وهو فى أزهى ملابسه.. ويتحلق بالشموع من حولهما الزائرون– أمهات وأطفال–، وفى موكب احتفالى تحمل الجدة أو امرأة كبيرة السن من ذوات الخبرة الطفل المولود – وكانت تلعب (الداية) فى بعض المجتمعات المصرية هذا الدور– وبرفق تضعه فى (الغربال)، وباسم الله والصلاة على النبى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تعبر الأم من فوق (الغربال) "سبع مرات".. ثم، تدق (الهون) –المعدنى أو الخشبى– فى أذان الطفل المولود – ليس فقط لتنبيهه، وإنما لطرد الأرواح الشريرة أيضاً– ويغنى من حضر له: (اسمع كلام أمك، وما تسمعش كلام أبوك...)، وتنادى بمختلف الأسماء والصفات، وكلما تغيرت تعلو الضحكات سعادة بالمولود... ثم مرة أخرى، يتحلق بالشموع الزائرون ويعلو الغناء للمولود: (حلاقاتك برجلاتك، حلقة دهب فى ودناتك، ويارب يا ربنا تكبر وتبقى زينا ...)، وتتعالى (الزغاريد)، بينما امرأة أخرى، تحمل طبقاً به (ملح) مخلوط بـ (الكمون)، وتنثره فى أرجاء البيت يميناً ويساراً.. إلى جانب إحراق (البخور) حماية من العين، والحسد، والأرواح الشريرة من الإنس والجن، ومن الأمراض... والكل يقول (ما شاء الله)، وتتبادل الهدايا، وترقص الفتيات والنساء.. وتوزع الأطعمة، وخاصة الحلو منها مثل:(المهلبية والأرز باللبن..)، إلى جانب المشروبات الباردة (الشربات–مثلاً–) والساخنة (المُغات–مثلاً–)...

ومثلما مازال القبطى حريص على تعميد مولوده فى الكنيسة.. مازال يحرص أهل المولود من الذين شهدوا بشهادة "لا الله إلا الله محمد رسول الله" على ذكر اسم الله، ورفع الأذان الشرعى فى أذن الطفل المولود، والتكبير باسم الله.. الله أكبر.. وذكر الشهادة فى أذن الطفل بعد الولادة.. وإقامة الصلاة فى أذنه اليسرى عند ولادته.. والدعاء له بالبركة...

وإذا ما اتفقنا على حرية الفرد فى تسمية أولاده.. وأن ما أراه جميلاً قد يراه الآخر قبيحاً.. والعكس صحيح ما قد أراه قبيحاً قد يراه البعض الآخر جميلاً... إلا أن الناس لم تعد حرة تماماً كى تعطى اسماً قبيحاً لطفلها كـ: بعير، وتيس، وجحش، ووحشى، وحرب، وخنزير، وخنزيرة، وخيشة، وأسود، وسوداء، وشمامة، وصخر، وعاصى، وعبد الحجر، وعبد المسيح، وعبد الصليب، وعبد شمس، وعبد الكعبة، وكلب وكليب.. ونحو ذلك.. بل وفقاً للمنهج الإسلامى القائم على الكتاب والسنة، مازالت تراعى الناس تسمية طفلها إسماً حسناً.. وخاصة أسماء خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. وأسماء آل بيت النبى الرسول صلوات الله والسلام عليهم أجمعين: كـ: أحمد، ومحمد، ومحمود، وطه، وعلى، وحسن، وحسين، وخديجة، وفاطمة، وزينب، وعائشة.. وغيره.. هذا بالإضافة إلى أسماء الأنبياء والمرسلين مثل: عيسى، وموسى، وأيوب، وادريس، ويوسف، واسماعيل، وإبراهيم، وصالح، وآدم.. وغيره.. من الأسماء الحسنة الأخرى مثل: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الحكيم، وعبد الكريم.. وغيره.. والأسماء المبشرة غير المنفرة العديدة مثل: بلبل، وسرور، ووردة، وشمس، وقمر، وكريم، ونرجس، وندى.. وغيره.. وغيره.. من الأسماء الحسنة التى سماها الله فالإنسان يولد واسمه المناسب مكتوب فى السماء.. والأعمار بيد الله تعالى... وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم...)

ومازالت الناس تحتفل بسبوع مواليدهم بذبح (عقيقة)– الذبيحة شاتين للذكر، وشاة للأنثى– وحلق شعور مواليدهم صدقة عنهم.. ويحرص القادر المستطع على إطعام الفقراء والمساكين.. والاحتفال بيوم ختان –طهور الذكور–الصبية–، وإقامة الأفراح ودعوة الفنانين الشعبيين احتفالاً بمواليدهم...

يا ما حلى عيشة الفلاح

ومازال المصرى يحفظ الماء بارداً فى القلل –جمع قلة–، والأزيار–جمع زير– التى توضع على حوامل.. ويبنى خارج منزله مصطبة –أريكة– مستطيلة الشكل، وتبنى فوق

سطح الأرض، وملتصقة بجدار المنزل.. مثلما كان يبنى فى الجهة الشمالية صوامع الغلال التى تشبه أبراج الحمام "مخروطية الشكل"...

وقد كادت أن "تختفى" العمارة الريفية المصرية التقليدية" -إن لم تختف بالفعل-، فإلى فترة ليست ببعيدة، كان المزارع المصرى يبنى منزله من الطين أو الطوب اللبن-النيئ غير المحروق-، وقد يضاف القش إلى سقف البيت، وكذلك الخشب -البوص أو الغاب-... واحتوى المنزل من الداخل على (الفرن) الذى كان يستخدمه المصرى ليس فقط لتحضير الطعام، وإنما للتدفئة، والنوم أيضاً.. ولهذا لم يكن غريباً أن يقول المصرى المثل الشعبى التالى: (تكفى القدرة على فمها، تتطلع البت لأمها -على الفرن-)...

كما ضم المنزل التقليدى الريفى المصرى من الداخل -أيضاً- الحمامات، وحظائر الحيوانات.. ولكن بعيداً عن أماكن النوم والمعيشة.. حتى لا يتأذى من الروائح الكريهة.. وهو ما يؤكد على حقيقة هامة، ألا وهى: نظافة الإنسان المصرى داخل البيوت وخارجها.. وأن النظافة من الإيمان... أما فيما روى "البخارى فى صحيحه" عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن الملائكة لا تدخل بيوتاً فيها كلاب..." فهذا لأن الحيوانات داخل البيوت نجاسة.. والمساكن دور معيشة وعبادة.. أى بالضرورة يجب أن تكون طهوراً... والمصرى حينما يرى وجهاً عبوساً يقول له: (مالك شايل طاجن ستك كدا ليه)، لأن المصرى كان يخرج وهو متأفف فى عز الصبح حاملاً مواد إخراج جدته من بول وبراز ليرميها فى الترعة أو المياه الجارية...

وكثيراً ما يزين ويجمل الناس منازلهم وبيوتهم من الخارج أو من الداخل حينما يذبحون الذبائح.. كأن يضع أحدهم يده فى دم "الضحية"، ثم يطبعها على الجدار، أو يستغل فراء الأضاحى إما فى صنع ملابسه أو بوضعها على الأرض، أو على ركوبة، أو على الكراسى، أو يعلقها على جدار، أو يصلى عليها.. كلٌ حسب منفعته، وذوقه، واختياره الشخصى...

ومثلما تذبح (الأضحية) بعد صلاة "عيد الأضحى"، قد تذبح (الذبيحة) لوجه الله تعالى، أو لنذر نذره أحد الناس بذبح ذبيحة.. وعن رضا وسعادة يتبادل الناس الزيارات مهللين، فرحين، مشاركين أفراح بعضهم البعض.. وعلى رأى المثل: (كل واشكر)...

علم الإنسان ما لم يعلم

وقراءة "القرآن الكريم" مطلب عقائدى دينى إسلامى.. مما فرض على الناس العناية بتعلم وتعليم "اللغة العربية".. وذلك حتى يعلم.. ويفقه الإنسان ما يقرأ.. وما يسمع...

وزادت حاجة الناس إلى وجود قارئ "القرآن الكريم"، ومدرس "اللغة العربية".. وأيقنت الناس أنه لا غنى عنهما فى عصر"العولمة"، وزمن "المعلوماتية"... كما أدركت الناس أهميتهما على المستوى الفردى والجماعى..والشعبى والحكومى.. والخاص والعام.. وليس فقط فى المساجد (الجوامع)، والجمعيات الدينية الأهلية والحكومية.. بل وفى النوادى الاجتماعية والمراكز الثقافية... وانتشرت الدروس الخصوصية المنزلية مع انتشار التعليم الأجنبى فى بلداننا الإسلامية العربية والمستعربة... ولم يغفل أولياء الأمور أهمية استقدام "حفظة القرآن الكريم" و"مدرس اللغة العربية" لأبنائهم فى المنازل... ورعت غالبية الدول الإسلامية مسابقات حفظ وتسميع "القرآن الكريم" على المستوى المحلى، والإقليمى، والقارى، والدولى... وقد قالها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه...)

الأذن تعشق قبل العين

وأما عن الحديث المأثور عن النبى الرسول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: (زينوا القرآن بأصواتكم)، فلا يعنى دراسة وتصنيف "قارئ القرآن الكريم" خطأً، ونقول عنه حيناً فناناً.. وحيناً آخر مؤدياً.. أو يرضى البعض بالشطط والسماح (لمن هب ودب) بدراسته بوصفه فنان موسيقى يطرب محبيه عن طريق الكلام المنغم!!! لأن استمتاع الناس بخدمة "قارئ القرآن الكريم"، هو دلالة على حسن إلقاء "الشيخ قارئ القرآن الكريم" لكلام الله عز وجل من جهة، وعلى أهمية التذوق الفطرى، والنقد الطبيعى الذى خص الله تعالى به الإنسان من جهة أخرى... كما حرصت الإذاعات المسموعة والمرئية أن تفتتح برامجها وتختتمها بقراءة "آيات" من الذكر الحكيم "القرآن الكريم"... ورفع أذان الصلوات الخمس.. ونقل الشعائر الدينية خلال العام الهجرى وفق طبيعة المناسبات الاحتفالية الدينية... وساهم اهتمام الصحف والمجلات المقروءة فى وجود الصفحات الدينية المتخصصة، جنباً إلى جنب الصحف والمجلات الدينية المتخصصة... وخصصت كثير من الدول العربية والإسلامية إذاعات وقنوات مسموعة ومرئية.. أرضية وفضائية.. خاصة وموجهة.. لبث برامجها الإسلامية... وأخذت شركات الكاسيت، والكومبيوتر، وأجهزة الاتصال التكنولوجية المعاصرة فى توفيرها عبر وسائطها المتعددة لجموع الناس، إدراكاً لأهمية التثقيف العقائدى فى حياة الناس...

كل شيء عادة حتى العبادة

ومثلما جرى العرف أن يدعو خطباء المساجد والأئمة إلى ولى الأمر فى البلاد والمسلمين أجمعين.. تدعو الدولة الناس على اختلاف معتقداتهم الدينية إلى الصلاة إذا ما شح المطر.. وإذا ما شهدت البلاد كسوفاً كلياً للشمس... ويراعى السواد الأعظم من الناس، أداء "صلاة التراويح" طوال شهر رمضان، وختم "القرآن الكريم" بقدر ما يمكن.. فشهر الخيرات هو "شهر القرآن"، وهذه هى الكلمة الفصل التى قالها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (اقرءوا القرآن إنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه..)، ويدرك المسلم كراهة أكل البصل والثوم والفجل والكراث إذا ما خرج ليصلى صلاة الجماعة... وأن المرأة المسلمة الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة.. ومدة النفاس للمرأة أربعون يوماً ولا صلاة لها...

وإذا ما كانت "زكاة الفطر" فرض على المسلم الغنى والفقير، يحرص الناس -أيضاً- فى هذا الشهر الكريم، أن يتبادلوا التهانى والزيارات.. وإعداد كعك العيد، وغيره من الحلو.. كما يحرص القادر المستطاع على إعداد "موائد الرحمن"، وتوزيع ما يعرف باسم "الشنطة الرمضانية".. ونجد الناس فى "شهر رمضان" أكثر سماحة عن أى شهر أو يوم فى السنة.. إذ يتفادون المشاكل والمعاصى قدر ما يمكن.. ويقولون لبعضهم البعض (رمضان كريم)، ويردون بقولهم (الله أكرم).. بينما اعتاد الناس صغاراً وكباراً على شراء "فانوس رمضان"، الذى لم يعد يقتصر دوره على إنارة الطريق، بل أصبح إلى جانب ذلك وسيلة دالة على سلوك شعب محب للعب والترفيه.. والتزيين والتجميل.. ومازلنا نتذكر ونحفظ كلمات تغنى بها الناس صغاراً وكباراً: (حلو يا حالو رمضان كريم يا حالو..)..(وحوى يا وحوى إياحا.. وكمان وحوى إياحا..)

وحافظت القنوات السمعية والمرئية - الراديو والتلفزيون- فى مصر على تقليد صار محبباً عند الناس طوال شهر رمضان، بإذاعة صوت "مدفع رمضان" مسبوقاً بكلمة: (مدفع الإفطار.. اضرب)، وتبعتها إذاعات دولية أخرى... فى حين كاد أن يختفى "المسحراتى" الذى يخرج سيراً على قدميه، وممسكاً بآلته" البازة "، ويدق عليها لإيقاظ النائم، ومنبهاً باقتراب موعد السحور.. ومنادياً على سكان الأحياء اسماً.. اسماً.. وقد وجب الإمساك عن المأكل والمشرب.. وخلافه...

من عادات الطعام

ولذكر اسم الله تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم" على ما نأكل ونشرب من آداب المائدة.. والامتثال لأمر الله تعالى ألا يأكل الناس إلا ما ذكر "اسم الله" عليه من عادات

الطعام.. إذ يقول الله عز وجل فى الآية: ١٢١ من سورة الأنعام: [...وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ...]

وأوصى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام الناس بإكرام الضيف.. وإذا ما أكلت طعاماً أن تسمى باسم الله على ما قبل وعلى ما بعد.. أى على أوله وعلى آخره.. وأن تأكل حين تجوع.. وأن تتجنب الشبع المفرط.. سمعاً وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم... ومعنى الوسطية والاعتدال هنا: الامتثال لقوله صلى الله عليه وسلم: (ثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس)... ويوصى الله تعالى عباده بقوله فى الآية ٣١ من سورة الأعراف: [...يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ...]، ومازال المصرى فى عصور ما بعد الإسلام يشبه الرجل الممتلئ القوى بـ(عجل أبيس).. وعجل أبيس Apis اتخذه المصريون القدماء رمزاً للقوة والإخصاب...

وحفاظاً على سلامة البنية الاجتماعية يبين الله جل شأنه للناس الحلال من الحرام.. الطيب من الخبيث فى الآيات: ١٦٨-١٧٣ من سورة البقرة [...يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(١٦٨)...] ثم يستكمل الله الآيات ويقول الله جل شأنه فيما هو حرام على الناس: [...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ...]، ويكمل الله تعالى الآيات البينات لقوم يعقلون، ويوضح لهم ما هو إثم ويجب اجتنابه فى الآية: ٢١٩ من سورة: البقرة: [...يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا...] إلى أن نزلت آية التحريم: ٩٠ من سورة: المائدة: [...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...]، ومعنى الأثم والفاحشة: ذنب، أو عمل، أو فعل يستحق العقوبة عليه.

لقد خلق الله تعالى الإنسان على الفطرة والسجية.. إلا أن النفس أمارةٌ بالسوء.. والله تعالى يقول فى الآيات٧-٨ من سورة الشمس: [...وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا...]، وإحلال السلام النفسى ما بين القوتين المتصارعتين، والمتساويتين، والمتضادتين فى الاتجاه: "الشهوة والإيمان": شأن يرجع إلى "التقوى الإيمانية"... وقواعد السلوك الأخلاقية من خير أو شر فى المجتمعات الإنسانية، هى التى توصف بالحسن أو

القبح.. أما "الغريزة" فهي: أمر محكوم بالعقل، والفعل، أو العمل الاختيارى، وليس العكس.. والانسان مخير أن يفعل.. أو لا يفعل.. ولفظ "لو": يفتح عمل الشيطان...

تحية مباركة طيبة

ويعد لفظ "البسملة": [بسم الله الرحمن الرحيم] الآية: ١ من سورة: الفاتحة، من أهم أشكال السلوك الأخلاقى الثقافى الإسلامى "قولاً وفعلاً"... وكما أن"البسملة"–بسم الله– من أخلاق الناس، فكذلك هى "الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم" قولاً.. وفعلاً.. وعملاً... ودائماً ما يخاطب المسلم "الله" بصيغة الجمع وفق آيات الذكر الكريم: ٥-٦ من سورة الفاتحة: [...إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . آهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ...]

ويحب الله تعالى "المتوكلين"الذين يبدأون نشاطهم اليومى بـ:"البسملة، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والتوكل على الله لا الاتكال عليه".. وقالت الناس: (اعقلها وتوكل)... ومنذ خمسة عشر قرناً يدعو العليم الحكيم عباده من الناس إلى العمل بقوله جل شأنه فى الآية: ٢٣ من سورة المائدة: [... وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ...]، إلا أن المصرى لم ينصف نفسه، فهو حينما يكذب (يقسم بالله).. وحينما يعد يقول (إن شاء الله) ولا يفى بوعده... وصار الأجنبى يعرف المصرى من بين الناس بثلاث كلمات: (بكرة.. ماشى.. إن شاء الله..)!!!

كما أن إفشاء السلام بتحية الإسلام: "سلام الله عليكم، ورحمته وبركاته" من نسق القيم الدالة على اجتماع الناس على الشيء... ومن آداب دخول البيوت المستأنسة بعباد الله الصالحين من الإنس والجن: السلام على أهلها، و"الاستئذان"–ثلاثة– حتى يؤذن لمن حضر بالدخول.. تصديقاً وعملاً بقول الله فى الآية: ٢٧ من سورة: النور: [...لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا...]، وإذا ما خرج الناس من البيوت سلموا.. وقالوا مثلاً: (ربنا معانا .. توكلنا على الله ..) وتقول الناس قبل دخول الخلاء: "اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث".. ثم يدخل بشماله، وعند الخروج يخرج بيمينه... والله عز وجل يدعو الناس ألا يتبعوا خطوات الشيطان فإنه يأمُر بالفحشاء والمُنكر.. بينما رحمة الله واسعة.. وهو الله الغفور الرحيم... فإلى جانب النفس الأمارة بالسوء، والنفس المدسوسة، والنفس الملهمة، هناك النفس اللوامة، والنفس التقية المطمئنة، والنفس الراضية، والنفس المرضية، والنفس الزكية... وسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام المسلم ناصح أمته قال لمنظلم نفسه.. ولمن اتقى الله تعالى: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، إن اجتنبت الكبائر...)

والزيارة، والصلاة، والدعاء للمتوفى فى أى زمان، وأى مكان من العادات والتقاليد الإنسانية التى لا تفرق "إثنياً" بين إنسان وآخر.. فالصلاة واجبة على المتوفى، وبدور العبادة الصلاة عليه حاضراً قبل الوداع الأخير مطلباً عقائدياً إنسانياً –هو بطبعه فى الأصل سماوياً أى ليس وثنياً– وإكرام الميت دفنه عند من آمن بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"... وتوزيع الرحمة على الفقراء والمساكين، واستقبال المعزين، وقراءة الفاتحة، وبعض من آيات الذكر الحكيم، والدعاء للمتوفى (اللهم اغفر له.. اللهم ارحمه.. اللهم...) إلخ.. وتبادل الكلمات التى تنم عن تراحم الناس (وربنا يجعلها آخر الأحزان).. (وسعيكم مشكور)..وغيره.. من العادات والتقاليد الدالة على تلاحم، وتكامل، وانسجام الناس ثقافياً... أما (العديد) أو (الرثاء) على المتوفى ودعوة (الندابات) من أجل تهييج الحضور وإثارة أحزانهم.. ولطم الخدود.. وإهالة التراب على الرأس.. وشق الجيوب.. وغيره.. فليس من عادات كل المصريين.. أى غير دال على الثقافة الشعبية...

كما أن قراءة "سورة الفاتحة" وبعض من آيات الذكر الحكيم.. والدعاء لإتمام رباط المسلم بالمرأة الكتابية المسلمة وارتداء أزهى الملابس والحلى.. واستقبال المعازيم.. والطبل والزمر والزغاريد.. وأطايب المآكل والمشرب.. من ألوان الفرح المرتبطة بعادات وتقاليد الزواج.. الذى يصبح نافذاً بوجود العاقد أو المأذون الشرعى.. سواء عند المصرى الذى آمن بشهادة : "لا إله إلا الله محمد رسول الله".. أو المصرى المسيحى (القبطى) الذى آمن بسيدنا عيسى عليه السلام... فعقد الزواج عند المسيحى (القبطى) هو الآخر يشهر على يد (الكاهن) رجل الدين (الأب) فى الكنيسة يوم "الإكليل".. ويوثق مدنياً... والمرأة ترتدى "الطرحة" كلما دخلت دور العبادة للصلاة.. وليس يوم عرسها.. وحسب.. وتغطية الوجه يرمز للعذرية والبتولية.. واللون الأبيض يرمز للنقاء والطهارة.. ووجود شاهدان فى العرس.. وتشابك الأيدى يرمز إلى بداية حياة جديدة تجمع ليس فقط بين فردين.. بل وبين أسرتين.. وتلبس دبلة الخطوبة (الدائرية المقفلة) فى اليد اليمنى.. وبعد عقد القران باليد اليسرى... وبغض النظر عن العقيدة الدينية، مازال يحب المصرى رائحة ورد الياسمين الأبيض فى الأعراس لأنه من زهور الجنة.. وغيره.. من عادات الزواج فى مصر...

أما لماذا تشابه الأقباط المسيحيين فى مصر وقل نسلهم، وصاروا أقلية؟! فذلك لأن الله –جل شأنه– قد وضع القواعد والقوانين المنظمة لزواج المسلم أو المسلمة بأهل الكتاب والمشركين.. فالدين الإسلامى يسمح بزواج الرجل المسلم من المرأة الكتابية، ويحرم رباط

الرجل المسلم بالمرأة المشركة... فى حين حرم الله تعالى زواج المرأة المسلمة ممن ليس على دينها: كتابياً كان أم مشركاً.. كما يعطى الله -جل شأنه- المسلم رخصة مشروطة لنكاح المرأة الكتابية... إذ لا ننسى أن القوامة للرجل.. وأن من واجبات الوالدين فى الإسلام، إحسان تربية الأبناء -بنين وبنات- وإعدادهم الإعداد الصالح، ومما حدثنا به النبى الرسول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: (علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر)... كما قال صلى الله عليه وسلم: (لاعبوهم سبعاً، وأدبوهم سبعاً، وصاحبوهم سبعاً)

حق على المحسنين

وإذا ما كان أبغض الحلال عند "الله" الطلاق، وتهتز له السماوات السبع، [...والصلح خير...] كما يقول الله تعالى فى الآية: ١٢٨ من سورة البقرة.. فإن الطلاق حق "مشروع منظم" بين الناس، ويبين الله تعالى الحدود لقوم شهدوا بشهادة: "لا اله إلا الله محمد رسول الله".. ويعلمون أنه لا ضرر ولا ضرار فى نظام الحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى الإلهى الإسلامى".. ويقول الله جل شأنه للناس فى الآية: ٢٢٩ من سورة البقرة: [...الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...]، بينما من غير المشروع الطلاق عند المصريين-الأقباط المسيحيين الأرثوذوكس-، وحينما أخذ القانون المدنى (الوضعى) بشرعية طلب أحد الزوجين "خلع" الآخر.. لجأ أيضاً المصرى المسيحى-القبطى- إلى استخدام حقه المدنى فى طلب الطلاق.. إلا أن "الكنيسة المصرية" -القبطية الأرثوذوكسية- اتهمته بـ(الزنا) لأنها عقائدياً لا تعترف بالطلاق...

ومن ثم، إذا ما كان الطلاق فى المسيحية شبه مستحيل وفقاً للقانون الإلهى، فعلى المصرى المسيحى-القبطى الديانة- ذكراً أو أنثى أن يسأل نفسه: كيف يتسنى لأحدهما الزواج كنائسياً، إن لم تطلقهما الكنيسة أصلاً ؟! وعلى رأى المثل الشعبى: (الحزن يُعَلِّم البُكا والفرح يُعَلِّم الزغاريطْ)...

إن لم تستحِ فافعل ما شئت

إن "العاقد" فى هذا الزمان أو ذاك، هو النموذج البسيط السهل الدال على الفرق ما بين الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى".. والحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى".. إذ أن الديمقراطية الكاملة أو الشاملة، و"الحرية المطلقة" -بأخلاق أو بدون أخلاق- لا تعنى السماح بعقود الزواج المدنى التى لا تأخذ بأحكام وشرائع الله تعالى... فالديمقراطية والحرية فى الإسلام لا تعنى تخطى حدود الله عز وجل وتشريع الإجهاض-مثلاً-، ولا

تعنى السماح بزواج الشواذ جنسياً -المثليين- ممن يشتهون الرجال من دون النساء.. والعكس ممن يشتهون النساء من دون الرجال، والذين يلعنهم الله جل شأنه، إذ قال خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال...)

وليس من الديمقراطية، ولا الحرية السماح بالمراهنات، وإلغاء الرقابة على الصورة المرئية والمقروءة.. وتوفير أماكن خاصة لصناعة، وبيع، وتداول، وتعاطى المسكرات! وقد قال خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام)...

إن المعاصرة والحداثة.. أو الديمقراطية والحرية لا تعنى السماح بصناعة، وبيع، وتعاطى المكيفات على اختلاف أصنافها وأنواعها.. إذ ينصح الله تعالى الأمة، ويقول فى شأن كل ما يذهب العقل والصحة فى الآية: ١٩٥ من سورة البقرة: [... وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...]

وليس القصد من وراء "الديمقراطية والحرية" الموافقة على إنشاء أماكن خاصة لهم للعب واللهو الحر!!! ولا إقامة أحياء خاصة لممارسة الدعارة والشذوذ الجنسى.. إلى حد التبجح والمطالبة بإعطاء المثليين حق التبنى والإنجاب! وإقامة الألعاب الأولمبية القاصرة عليهم!!! وفى النهاية نراهم يتسابقون إلى تولى المناصب القيادية، ويصبحون أولياء أمر الأسوياء من الناس!!! فى حين دائماً مما يدعو أئمة المساجد (الجوامع) وخطبائها فى جمع من المصلين: (أن يتولى أمورنا خيارنا)...

ومما لا شك فيه، أن لكل زمان دولته.. ورجال أعرف بأموره.. وإقرار الإنسان الفطرى-الطبيعى- بوحدانية الله تعالى، وخوفه وطمعه فى عبادة قوة غيبية غير مساوية له، دفعت أكثرية الناس فى الأرض إلى الالتزام بعبادة "الله" عز وجل.. والاستمرار فى ذكر "الله تعالى"... وحفاظاً على حق الإنسان الجديد المتعولم فى البقاء حياً، لم يعترض على الدعوة إلى العمل بمبادئ الحكم باسم "الحق الدينى الإلهى السماوى"... وإن ظلت قلة من السُفهاء على غيها، وتدعو إلى مبادئ إنسانية غريبة على ثقافتها.. تحت مسمى "المعاصرة".. و"الحداثة وما بعد الحداثة".. و"الديمقراطية".. و"الحرية المطلقة" التى لا تحكمها: لا قيود عاطفية، ولا قيود عقلية!!! وهؤلاء فى الحقيقة ليسوا سوى فئة ضالة فى مجتمعاتهم الإنسانية، ولا تعلم أن "الله" جل شأنه قد ختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم "غشاوة"... وصدق الله العظيم، الذى يقول عز وجل عنهم فى الآية: ٩ من

سورة: البقرة: [... يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ...]

وكثيراً ما نجد إنسان اليوم مغلوباً على أمره، ومجرداً من البطولة.. ولم يعد من الناحية الأخلاقية نبيلاً نبلاً تاماً.. ولا هو بالفارس الشجاع، البطل، على حصان أبيض، وبسيف بتار، وتحكى قصص بطولاته ومغامراته عنه!!! بل باسم: "الديمقراطية، والحرية، وحق الإنسان فى تقرير مصيره"، أصبح "الصوت الانتخابى" هو الذى يصنع الأبطال.. والساسة.. والزعماء.. والقادة.. والنجوم!!! ولم يعد "البطل" مطمئناً على نفسه.. فنجمه فى يوم ما صاعد.. وفى يوم آخر نازل بصوت هذا وذاك... ولكى يحافظ "البطل" على مكانته بين الناس، لابد وأن يوافق على الاعتراف بأن سلطة الصوت الانتخابى، أقوى من سلطة الدين، وهى التى تقر هذا القانون أو ذاك.. والغاية تسبق الوسيلة وتبررها... وعلى سبيل المثال لا الحصر، الإجهاض حرام على مستوى كافة الأديان السماوية.. وكذلك ممارسة مهنة الدعارة.. وزواج المثليين.. وتبادل الأزواج أو الزوجات.. والمثلث أو الثالوث أو الغصن الذهبى من الزوج والزوجة والعشيق أو العكس... وتعاطى المخدرات والمكيفات على تنوعها..وغيره.. هى كلها من "المحرمات".. ولكن إذا ما صوتت الأغلبية لهذا أو ذاك "صار نافذاً"!!! وكى يحافظ "البطل الجديد" على مكانته بين الناس الجدد، ويكسب أصواتهم الانتخابية، نسى عن عمد أو تناسى أن دعوة الحكم باسم: "القانون الدينى الطبيعى"، قد بدأت كدعوة إنسانية موجهة من إنسان لإنسان ولكن بأخلاق دينية مسيحية.. وأن الأصل فى القانون المدنى– الوضعى– ألا يتعارض مع نسق الحكم باسم: "القانون الإلهى".. وإذا ما حل القانون الطبيعى أو المدنى محله، فعلى ألا يتعارض مع سلطة الحكم باسم: "القانون الإلهى"...

ولهذا نقول:

إن "الفضيلة" من حُسْنِ الخُلُق.. والإرادة الحرة الفردية والجماعية تعنى: الالتزام الحر بمكارم الأخلاق وفق القرآن والسنة... والحرية الفردية والجماعية هى: حكم لا إكراه.. ولا قيود.. ولا ضغوط فيه... وبنية المجتمعات الحضارية الإسلامية لا تعنى الإعفاء من قيود الحكم باسم: الدين الإلهى السماوى.. أى الإلزام الخُلقى طوعاً وكرهاً بمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة...

الفصل الرابع:

الفولكلور والعولمة

العولمة والناس

إن "علم الفولكلور"، علم إنساني يدرس ثقافة الناس بجوانبها الروحية -اللامادية- والمادية.. ومحاولة إلقاء الضوء عليها من زوايا تاريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية(٢١) فالإنسان وراءها أولاً وأخيراً... ومن أهم العلوم الإنسانية الثقافية التي يمكن أن تساهم في بناء المستقبل.. والإجابة عن التساوءلات التي يمكن أن توضح لنا كيف ينبغي أن نحيا... لأنه منذ زمن الحداثة.. وفي عصر ما بعد الحداثة.. وعلم الفولكلور من أهم العلوم الإنسانية الثقافية التي تكشف لنا كيف كنا نحيا حقيقة.. وكيف نحيا الآن...

ومما لا شك فيه، أن "الكرة الأرضية - كوكب الأرض- The Globe" قد أصبحت أشبه بقرية صغيرة في زمن العولمة Globalization وثورة المواصلات - Connection Transportation، والاتصالات Communication ودعوة الحكم باسم: الديمقراطية الكاملة أو الشاملة والحرية المطلقة.. وحق الانتخاب والتصويت:

the democratic information and the democratic election

ومع سيادة "تكنولوجيا المعلومات المعرفية The information technology" تقاربت المسافات، وانشغلت الناس شعوباً وأقواماً بالتطلع إلى تحقيق تطور مدني معاصر تقتفي به خطى الشعوب الأوروبية "المتعولمة"... وهي شعوب وقبائل "إثنية Ethnic" ذات بأس، وقوة، وهيمنة سياسية، وعسكرية، واقتصادية، وعلمية... منحتهم القدرة على الدعوة إلى

أن يحل مبدأ الحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى"- الذى ألغى فكرة الإيمان بكل ما هو غيبى، وغير ملموس، وغير محسوس، ولا تدركه العقول- محل الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى الإسلامى" أو الحكم باسم: "القرآن الكريم" آخر الكتب السماوية.. و"السنة النبوية" سنة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام... ونسوا عن وعيٍ، وربما عن غير وعيٍ أن أمة الإسلام منذ خمسة عشر قرناً من الزمان الأرضى، تؤمن بآيات الله جل جلاله المادية واللامادية... وأن سبعة قرون من الزمان تفرق بين من يعلم، ومن لا يعلم... ما بين من أمن بسيدنا عيسى، وسيدنا موسى عليهما السلام، ومن أمن بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وصدق بآخر الكتب السماوية "القرآن الكريم"، والكتب السماوية كافة، والأنبياء والرسل أجمعين، ويؤمنون بالغيب والآخرة.. وأمام "الله" لا يستوى الذين يعلمون، والذين لا يعلمون بنسق قيم منهج الحكم باسم: "الدين الإلهى الإسلامى"...

لا يصح إلا الصحيح

وحينما انشغل الإنسان المنتمى إلى أمة الإسلام بالبحث عن هويته أو شخصيته، أدرك سريعاً أن رغباته وأحلامه وتطلعاته الحسية قد أسرته.. وأن التمدن والتنمية.. أو عولمة التحديث والإصلاح على كافة الأنشطة Cultured manner والممارسات الحياتية خطوة لابد وأن يخطو سريعاً نحوها وإلا هزمته!!! ومن شدة تحمسه لها، لم ينكر التقاء التبعية العلمية، والصناعية، والاقتصادية، مع الرغبة فى التعديل، وإعادة التثقيف، والاستجابة لدعوة الحكم باسم: " الحق الدينى الطبيعى "!!!

وما كانت "العولمة" أو "منهج التفكير على نحو كونى All over the Globe أوالفكر الكونى الموجه" إلا ذريعة أو أداة أو وسيلة قادرة على تحويل أفكار، وأخلاق، وسلوك الناس بأسلوب "سلمى" حيناً.. و"حربى" حيناً أخر... ونسى الإنسان الجديد "المتعولم" أن المبادئ الإنسانية الأخلاقية السامية مثل: "الديمقراطية الكاملة أو الشاملة" و"الحرية المطلقة" أو "حق الناس في التصويت والانتخاب" لا تفرض: لا بالقوة.. ولا بالهيمنة العسكرية والاقتصادية!!! وحق الإنسان فى أن يحيا حراً لا يعنى: لا التخلص من كافة القيود السلطوية الدينية وغير الدينية ذات الصلة بمنهج الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى الإسلامى".. ولا إعطاء الموافقة التامة والكاملة على الحكم باسم:"الحق الدينى الطبيعى"- القانون الوضعى- والذى قد يتعارض دستورياً مع منهج الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى السماوى"...

اللهم ارحمنا

ويظن البعض خطأً، أن المدنية الجديدة، والمعاصرة أو "ثقافة العصر أو المجتمع"، تعنى مخالفة نسق القيم الثقافية الحضارية الإسلامية!!! إذ يكفل الإسلام للإنسان حقه الطبيعى فى الجمع ما بين الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى".. والحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى"، واللذان بالضرورة يجب ألا يتعارضا معاً.. والأخذ بهما معاً، أو بأحدهما دون الآخر، لا يعنى الإخلال بنسق القيم الثقافية الإسلامية.:. ولعل شعور إنسان اليوم بالضياع والازدواجية على المستويين الفردى والجماعى؛ سببه الفساد الروحى بين الناس، وخاصة من بين الذين أقبلوا على إشباع أهوائهم، وملذاتهم، ورغباتهم الحسية فى الدنيا.. إذ يقول الله تعالى فى الآية: ٧ من سورة: الكهف: [... إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...]

ولهذا نسأل أيهما أجمل: الجمال الذى هو من خلق الله؟ أم الجمال الذى هو من صنع الإنسان؟! للإجابة على هذا السؤال نقول:

إن جمال خلق الله حقيقة ومسلمة.. ونحن لا نناقش المسلمات والحقائق.. وإن الله جميل يحب الجمال.. ويجب أن يكون الشيء الذى هو من صنع الإنسان جميلاً.. كى يفاضل الله العليم الخبير بين من أحسن عملاً من بين الناس فى الدنيا... خاصة وأن "حرية الإنسان" مشروطة، ومقيدة بقدرته على الفعل والعمل، وعدم القدرة على الفعل والعمل وفق المنهج الإلهى الإسلامى... وليس معنى أن الله تعالى قد خلق الإنسان عجولاً ومحباً لمتاع الدنيا وزينتها: أن ينسى أن ما عند الله خير، وأعظم، وأكبر.. وأن إلى الله ترجع الأمور.. ويصف الله تعالى فى الآية: ٢٩ من سورة الأنعام: الإنسان الذى غرته الدنيا فظلم نفسه.. وضل عن سبيل الله.. وظن أنه لن يبعث مرة أخرى.. ويقول: [...إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ...]، ثم يكمل الله -جل شأنه- الآيات عن الحياة الدنيا: [...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ...]، وكى يعى الناس ما يفعلون وما يعملون فى الحياة الدنيا، يحذرهم الله تعالى، ويقول عز وجل للناس من باب التذكرة فى الآية: ٢٠ من سورة الحديد: [...اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...] إلى آخر الآية: [...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ...]، وصدق الله العظيم: الذى يقول عن متع الحياة الدنيا فى الآية: ١٤ من سورة: آل عمران: [...زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ...]، ثم ينبأ الله تعالى الناس بما هو خير وأبقى فى الآية التالية لها: ١٥ من نفس السورة: آل عمران: [... قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ...]

وهكذا، عن عمدٍ وضع الله تعالى الإنسان فى الأرض أمام اختبارٍ حقيقى إلى أجلٍ مسمى لا يعلمه إلا الله تعالى.. وجعل الله -جل شأنه- ما على الأرض صورة لعالم المثال فى الجنة التى وعد الله بها الناس.. وتدعو الناس ربها قائلة: (الحمد لله الذى أحسن خلقى.. فاحسن الله من خُلقى..)

من الأعمال الصالحات الباقيات

مما لا شك فيه، أن المعرفة الواعية للهُوية الثقافية للشخصية المصرية.. تبدأ من التأكيد على خصوصية الممارسات الحياتية المصرية.. واستيعاب الشعب أو الأمة أو عموم الناس للمنهج الثقافى الإسلامى الذى ارتضوا الانتساب له على المستويين الفردى والجمعى... فنحن لا نتحدث عن ثقافة الراق الأدنى من المجتمع أو أميته.. إننا نتحدث عن ثقافة الأمة.. عن عموم الناس الذين أدركوا شفاهة وكتابة أهمية نسق الحكم باسم الدين الإلهى... فليعلو صوت الأسوياء من العالمين الذين يعقلون ويفقهون قول ربهم العليم الحكيم فى الآية: ١٢٨ من سورة: البقرة:[... رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ...]

وكذا لا نتحدث عن وجود ثقافة شعبية وأخرى غير شعبية.. إننا نتحدث عن الممارسات الحياتية للأمة المأمورة منذ خمسة عشر قرناً أن تفعل ولا تفعل... وقد حدثنا النبى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال:(بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.. وإقام الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وحج البيت.. وصوم رمضان..)

هذه خمس من مفردات الثقافة الشعبية.. التى يحرص على أدائها جموع الناس من المسلمين.. ومن أُصول الدين.. أو الثقافة الدينية.. أو منهج الله تعالى للأمة.. التى خيرها "الله" أن تعمل أو لا تعمل.. وذلك وفق مبدأ الثواب والعقاب... وكل عمل ابن آدم وحواء لنفسه، إلا حج البيت، وصوم رمضان فهما لله عز وجل.. فالشهادة، والصلاة، والزكاة فرض تكليف على الناس أن تفعل وتعمل بهم...إذ لا خيار للناس فيهم... بل واجبة هى: "الشهادة.. والصلاة.. والزكاة".. على العاقل.. والمعافى.. والمريض.. والمسافر.. ولا يجوز

الامتناع عن أداء فروضها أحد... وصدق الله العظيم، القائل فى الآية: ٥ من سورة البينة: [...وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ...]

وأداء "المسلم" لفريضتى "الحج والصيام"، فهما للقادر المستطيع.. وإنهما فرض تكليف حصرهما الله تعالى بين القدرة على الفعل والعمل من جهة.. والعجز عن الفعل، أو عدم القدرة على العمل من جهة أخرى.. وصدق الله العظيم، القائل عز وجل فى الآية: ٩٧ من سورة: آل عمران: [...وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ...] وعن أخلاق الحاج والمعتمر لله رب العالمين، يقول الله تعالى فى الآية: ١٩٧ من سورة: البقرة: [...الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ...]، كما يحرم الله تعالى الصيد والناس حرم.. ويقول الله سبحانه –جل شأنه– فى الآية: ٩٥ من سورة: المائدة: [... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ...]، ثم يشرح الله تعالى السبب فى الآية التالية: ٩٧ من نفس السورة: المائدة: [... جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ...]، ويطوف الناس حول "الكعبة عكس عقارب الساعة، كى يكون قلب المسلم جهة "بيت الله" سبحانه هو الله العزيز الحكيم، له الأسماء الحسنى...

ويقول الله تعالى فى "الصوم" وخيراته، حتى لا تكون على الناس حجة من أمر قطع النفس عن ملذاتها وشهواتها فى الآيات: ١٨٣–١٨٤ من سورة: البقرة: [... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ...]، وقال خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر...)

نفقات إلهية مادية

كما فرض الله تعالى على الناس "إيتاء الزكاة وإخراج الصدقات" إرضاء لوجه الله تعالى.. وربط "الله" الصلاة بأداء الزكاة والدعاء بالمغفرة والرحمة... وتحقيقاً لمبدأ العدل والمساواة فى الأرض، يأمر الله تعالى ولى أمر المسلمين بأخذ "الجزية" من "أهل الذمة" حتى ينعم المواطن فى دولته الشاسعة، والمترامية الأطراف بالأمن والأمان.. إلا أن وحدة العمل.. ووحدة المصير.. وحق المواطنة.. داخل حيز ضيق من المكان.. بأبعاده الجغرافية

السياسية المصطنعة، وأبعاده الاجتماعية والاقتصادية الجديدة.. قد فرضت "الضريبة" كنظام اجتماعي مالي لا يفرق بين الناس عقائدياً... ومنعاً للفتنة بين المسلم وأخيه المسلم.. وبين المسلمين والأقليات الدينية الأخرى.. ندعو إلى حسم الخلاف بين "الزكاة والجزية" كنظام حكم إلهى.. و"الضريبة" كنظام حكم مدنى!!! عملاً بالقول المأثور: (اعط كل ذى حق حقه)...

إننا حينما نتحدث عن "الزكاة" كركن من أركان الإسلام.. يجب أن نميز بين نوعين من أنواع الزكاة: الأولى: "زكاة الفطر": وهى فرض على المسلم.. العبد والحر.. الذكر والأنثى.. الغنى والفقير.. وواجبة على ولي الأمر.. ونقصد به: الزوج تجاه زوجته، وما ملكت يمينه.. والأب تجاه أولاده.. فكل مسئول عن رعيته.. وصدق الله العظيم، إذ يقول فى الآيات: ١٤-١٥ من سورة: الأعلى: [...قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى...]، أى إن وقت وجوبها، وإخراجها: من بعد نية صيام شهر رمضان.. إلى ما قبل صلاة عيد الفطر.. فهى تطهر الصائم.. وتغنى المسلم عن السؤال فى شهر رمضان.. وتأخيرها إلى ما بعد صلاة عيد الفطر يجعلها "صدقة".. و"الصدقة" لا مقدار لها.. ولا زمان لها.. ولا مكان لها.. ويخرجها المسلم طوعاً لا كرهاً.. عملاً بقول الله تعالى في الآية: ٦٠ من سورة: التوبة: [...إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ...]، وقالها الناس حكمة: (ربنا يجعلك تعطى ما تستعطى)

أما النوع الثانى: من أنواع الزكاة فهو: زكاة المواطن المسلم على "الممتلكات، والدخل، والمعاملات".. و"مقدار الزكاة" كنفقة يدفعها المسلم الفرد حلالاً طيباً مما كسب وفاض عن حاجته هو "الخُمس".. أى يستحقها من لا تشمله رعاية الزكاء... وكى يعلم الناس مصارفها، ولمن؟ يحددها الله جل شأنه فى الآية: ٤١ من سورة: الأنفال: [...اعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...] ولكننا نسأل: هل حملت الدولة المدنية الجديدة المسلم أعباء مالية أكبر حينما دفع الضريبة والزكاة والصدقة!!!

للإجابة على هذاالسؤال نقول: (من غشنا فليس منا).. إذ عملاً على استكمال تنظيم البنية الحضارية الإسلامية، فرض الله تعالى "الجزية" على الكفار، وأهل الكتاب كاليهود والنصارى.. تحقيقاً لمبدأ العدل والإخاء والمساواة بين الناس على اختلاف معتقداتها... والجزية هى: الضريبة أو الخراج أو النفقة المالية التى يدفعها من خرج للحرب على

المسلمين، ومن عمل على فتنة المسلمين عن دينهم.. ومن اصبح بينه وبين المسلمين عهداً ولم يقطعه أحد الطرفين... ويأخذها المسلم من غير المسلمين نظير تأمينهم وانتفاعهم بما ينتفع به المسلمون.. وصدق الله العظيم، القائل فى الآية: ٢٩ من سورة التوبة: [... قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ...]

وحينما دار الزمان دورته· أصبح "النظام الضريبى" الذى تفرضه الدولة على الناس – دون النظر إلى عقائدهم –هو "الخراج" أو الإيراد المالى على الدخل، والممتلكات، والمعاملات الذى يوفر الأعباء المالية أو الاحتياجات المالية لحكومات الدول.. مما يساعدها على تحقيق اطماعها.. وحماية مصالح شعوبها... ولكى لا تزيد الأعباء المالية على كلا الطرفين: المسلم من جهة، والأقليات الدينية المختلفة من جهة أخرى.. يجب أن يطبق "النظام الضريبى" داخل الدول الإسلامية وفق القاعدة التشريعية الإسلامية... فمثلما قدر الله تعالى مقدار الزكاة بـ"الخُمس" مما كسب وفاض عن حاجته.. فإن مقدار "الضريبة" هو "الخُمس"... وبذلك لن يتهم ولى الأمر المسلم بتعطيل ركن من أركان الإسلام، وعدم جمع أموال الزكاة من المسلمين... هذا هو القانون الالهى الذى يساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات... وصدق الله العظيم، القائل فى الآية: ١٠٣ من سورة: التوبة: [... خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...]، وينصح الله تعالى "الأمة" ويحذرهم من أكل أموال الناس بالباطل فى الآية: ١٨٨ من سورة البقرة ويقول جل شأنه: [... وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ...] ومعنى:[... وتدلوا بها إلى الحكام...] أى لا ترشوا أولى الأمر منكم...

و"المصريون" على اختلاف عقائدهم السماوية، يجب أن يحذروا ويحرصوا من نار الفتنة فهى أشد من القتل.. والفتنة الطائفية – الدينية وغير الدينية– إنما تنم عن "جاهلية وأمية".. وقد قال النبى الرسول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: (من أذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة)... علماً بأن المصرى لم يحظ فى بلده مصر بالأمن والأمان والاستقرار بصورة شبه كاملة، إلا فى إطار رعاية الدولة الإسلامية له.. وبخاصة، من بعد أن تخلصت مصر من الحكم الإقطاعى والعسكرى الأجنبى، والذى يعود إلى دولة سلاطين المماليك التى تأسست فى مصر عام(٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، وإلى فترة حكم الدولة العثمانية –التركية الإسلامية– لمصر منذ عام(٩٢٢هـ/ ١٥١٧م)... وعلى سبيل المثال لا الحصر، لم ترفع عن كاهل المصريين الأعباء المالية التى كانت تفرض عليهم ظلماً، إلا من بعد إعلان قيام الجمهورية فى(١٨/ ٦/ ١٩٥٣م)...

صراع الأرزاق

إن خضوع سلوك الناس وممارستهم الحياتية اليومية للثقافة الإسلامية، لا يتعارض مع الاعتراف بقدرة الإنسان على الفعل.. وحريته فى الاختيار.. فالمشكلة ليست فى الحكم باسم: "الدستور المدنى أو الوضعى".. إذ من الممكن إخضاعه لحكم "الدستور الدينى الإلهى الإسلامى".. وإنما حقيقة المشكلة هى فى إعادة تنظيم الثروات.. وتوظيفها لوجه الله تعالى، ولما فيه صالح شعوب وقبائل الأمة الإسلامية وحلفائها... فالموضوع ليس الصراع بين الطبقات.. ولا الصراع بين الفقير والغنى.. ولا طابع الحياة الاستهلاكية التى يعيشها الإنسان.. فالاستهلاك الترفى والتفاخرى -مثلاً- هما فى الحقيقة، نوعان من أنواع الاستهلاك التنافسى بين إنسان يملك وقادر على الفعل.. وإنسان آخر لا يملك وعاجز عن الفعل... وكلما ضاقت سبل الحياة على الأضعف ازدادت الكراهية، والعداوة، والبغضاء للآخر.. فقد تفاضل القوم، وادعى كلٌ فضله على الآخر!!!

إننا لن نسلك نفس الطريق الذى سلكه من حاول تقسيم المجتمع إلى طبقات.. فقد فضل الله تعالى بين الناس في الرزق.. لا فى الحسب والنسب.. لأن الفروق الطبقية والاجتماعية التى ينشغل بها البعض، ما هى إلا فروقاً فى "الرزق".. الحلال منه.. والحرام منه.. تصديقاً لقول الله تعالى فى الآية: ٧١ من سورة: النحل: [... وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...]، إلا أن الإنسان دائماً ما يحاول أن يقهر أخيه الإنسان فى "الرزق" تصديقاً لقول الله تعالى فى الآية ٣٢ من سورة: الزخرف: [... وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً...]، واتخذه سخرياً: قهره وأخضعه...

ولا تتخاصم الناس، ولا تتقاتل حباً فى القهر أو سفك الدماء.. وإنما فى حقيقة الأمر، المصالح السياسية.. الاقتصادية.. الاستيطانية.. هى التى تتصارع وتفرض إرادتها على الضعفاء... وقد تضاءلت قيمة الإنسان مع وجود شريحة من الناس تفكر وتخطط!!! وهؤلاء هم الملاك أصحاب الثروة، والسطوة، والنفوذ!!! وتتبعهم شريحة اجتماعية أخرى تتحلق حولهم، وتعمل ليس فقط على حفظ رأس المال وتوظيفه.. بل وزيادته!!! وهذه الشريحة لها حق الامتلاك لا المنافسة!!! فهم من طبقة منتجة لأغلبية مستهلكة غير قادرة على الإدراك الواعى لحقائق الأشياء أو الحياة!!!

أمن حد السيف

لقد جاءت رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "رحمة للعالمين".. ولو كان النبى الرسول الأمى فظاً غليظ القلب لانفض الناس من حوله...

ومازالت تجرى على ألسنة الناس مقولة: (من حبه ربه.. حبب فيه خلقه..)، وقد نصح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمته وقال: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره، التقوى ها هنا -ويشير إلى صدره ويكررها ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه...)، كما وصف خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام "المؤمن" قائلاً: (هو من أمنه الناس على دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم...)، وأهل زمان قالوا: (يا بخت من قدر وعفى..)

إن "الله تعالى" يحرم الاعتداء على من حظى بالأمن والأمان فى الأرض ما دام لم يحارب المسلمين، ولم يعاون أحداً ضدهم تصديقاً لقول الله تعالى فى الآية ٨ من سورة: الممتحنة: [... لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ...]

كما أن الله جل شأنه لا ينهانا عن مودة الذين لم يسيئوا إلينا.. ويفرض "الله تعالى" على المسلم احترام "المواثيق"، ليس فقط بين المسلم وأخيه المسلم.. بل وبين المسلمين وأهل الكتاب الذين كفوا أيديهم عن قتال المسلمين.. لأن "العهد" يكفله "الله تعالى".. ولا شرعة، ولا عهد بين المسلمين وأهل الفتن من المنافقين والكفار.. والذين لا يراعون.. ولا يحفظون عهداً أو ميثاقاً.. ويقول الله تعالى عنهم فى الآية: ١٠ من سورة: التوبة: [...لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ...]

ولو كان بين أهل الكتاب والوثنيين ميثاقاً وعهداً، على المسلم أن يحترم عهد الله... وكل من رعي ما له حرمة: كالعهد، والحلف، والقرابة، والرحم، والجوار وما فى حكمه: "أمن حد السيف"، وهم فى دارهم أمنين، حتى ولو لم يشهدوا بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".. فالسلام خير للخلق.. والله تعالى يدعو الناس فى الأية: ٢٠٨ من سورة البقرة:[... يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين...]، أما من نقضوا عهد الله فلا خير فيهم وقاتلهم المسلم... ولهذا السبب يدعو الله تعالى المسلمين أن يعدوا العدة.. وأن يكونوا فى وضعية تجهيزية دائمة، لرد عدوان المعتدين، وإجابة دعوة "الجهاد"، التى لا ترفع إلا بإذن الله، وأمر ولى الأمر، ويقول الله تعالى فى الآيات: ٦٠-٦١ من سورة: الأنفال: [... وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا

تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ. وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ...]

إرهاب فئة ضالة

إن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده.. وإذا كانت العملية الإرهابية التى عانت منها الولايات المتحدة الأمريكية بمدينة "نيويورك" فى الحادى عشر (١١) من شهر سبتمبر(٩) عام (٢٠٠١م) فقد قام بها مسلمون عرب من خارج الولايات المتحدة الأمريكية، أى ليسوا من سكانها الأصليين ولا المهاجرين... فى حين التفجيرات العنيفة التى شهدتها العاصمة البريطانية "لندن" فى (٧) يوليو (٢٠٠٥م) فقد نفذها الشبان المسلمون الجدد من أبناء "المملكة البريطانية المتحدة"... بينما نسبت "فرنسا" ما أطلقت عليه اسم: "إضرابات الضواحى أو حرب الضواحى" فى (٢٨) أكتوبر (٢٠٠٥م) إلى الفرنسيين من ذوى الأصول المسلمة العربية المهاجرة، والتى لها حق المواطنة فى فرنسا... وإذا كانت الطبيعة العدوانية الجديدة بين أبناء القارة الأوروبية، من توابع الحدث الإرهابى الذى ألم الناس جميعاً يوم (١١/ ٩/ ٢٠٠١م) فقد قالها: "جورج بوش الابن George Bush" المولود فى (٦) يوليو (٧) من عام (١٩٤٦م)، ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى ذاك الوقت: (من ليس معنا فهو ضدنا)، بينما انتشرت فكرة تغير العالم عن طريق "الفوضى الخلاقة Creative chaos"، أو "الفوضى البناءة"، بعد أن نادت بها فى اللقاء الصحفى لجريدة "الواشنطن بوست" يوم (٩/ ٤/ ٢٠٠٥م) صراحة "كونداليزا رايس Condoleezza Rice" المولودة يوم (١٤) من شهر نوفمبر(١١) عام (١٩٥٤م)، والتى عملت مستشارة للأمن القومى الأمريكى بين أعوام (٢٠٠١-٢٠٠٥م)، ثم وزيرة للخارجية من (٢٦) يناير(١-٢٠٠٥م) إلى (٢٠) يناير(١-٢٠٠٩م)، وكان ذلك بمثابة منهج الولايات المتحدة الأمريكية فى إعادة رسم خارطة العالم بما يحقق مصالحها، وبخاصة فى منطقة الشرق الأوسط جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط... وهو ما أثر بالسلب حيناً وبالإيجاب حيناً آخر على علاقة الدول وشعوبها ببعضها البعض إلى الحد الذى معه اشتد التوتر فيما بينها... وعلى سبيل المثال لا الحصر، فى (٣٠) سبتمبر(٩) من عام (٢٠٠٥م) نشرت إحدى الصحف الدانماركية "يولاندز بوستن Jyllands-Posten" رسوماً كاريكاتيرية استفزازية سيئة إلى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكل مسلم من أمة الإسلام!!! وحينما احتجت مصر والبلدان الإسلامية الأخرى على نشر هذه الرسومات، رفضت الجريدة والحكومة الدانماركية ومن تبعها، الاعتذار أو التدخل فى الشئون الداخلية

للبلاد بحجة حرية الرأى والتعبير.. ونسوا عن عمد، وربما عن غير عمد، أن "الحرية" لا تعنى المساس بحرية الأخر، استناداً إلى مقولة: (إن حريتى تقف عند حدود حريتك)... مما ساهم فى تكرار نشر مثل هذه الرسومات فى بلدان أوروبية أخرى.. فهل هى حرية رأى أم تجريح لم يكن له داع؟! فقد ساعدت العولمة والأجهزة المعلوماتية المعاصرة على سرعة نشر الخبر، وإثارة مشاعر الثورة والاحتجاج أكثر.. وأكثر.. بين المسلمين فى الأرض الذين اتهموا بالإرهاب!!! ووصفوا ردود الفعل الإسلامية العنيفة بلفظ: "اللاعقلانية واللاإنسانية"!!! وهذا الرأى مخالف لحكمة الناس التى ضربت الأمثال وقالت: (ربنا عرفناه بالعقل).. إذ يدعو الله تعالى هؤلاء الناس الذين شهدوا بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، بأن يعقلوا، وأن يبصروا، وأن ينظروا، وأن يتدبروا، وأن يهتدوا، فالحق أحق أن يتبع، وطلب العلم فريضة، حتى ولو كان فى الصين... وصدق الله العظيم، القائل جل شأنه فى الآية: ٢٦٩ من سورة البقرة: [...يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ...]، وقال نبى الله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وخير الناس أنفعهم للناس...)

إن "الحرية" نسبية، وحق الإنسان فى إعمال الفكر، وإبداء الرأى والتعبير عنه، ليس ذريعة للإساءة إلى الأديان، واستفزاز الناس أفراداً وجماعات.. ويقول الله تعالى -لمن عرف أن الله حق- فى الآية: ٦ من سورة: الكافرون: [...لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ...]، ونحن لا نخاف على الإسلام من السفهاء والعابثين.. ولكننا ضد تحدى المحظورات الإسلامية، فالرسول النبى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى ضمير كل مسلم حى.. وتصلى الناس عليه فى أى زمان، وأى مكان... والمسلمون منذ خمسة عشر قرناً فى صلاتهم أقرب إلى ربهم ورسولهم وهم "ركع سجود".. ويتقدمون فى" التشهد" بتحية "الله تعالى"، والصلاة والسلام على النبى الرسول، الصادق الأمين: (التحيات لله والصلوات الطيبات...)، ويسلمون، ويصلون على رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بصيغة المخاطب الحاضر:(... السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته...) كما يصلى الله عز وجل وملائكته على النبى الرسول سيدنا محمد صلوات الله والسلام عليه، عملاً وتصديقاً بقول الله تعالى فى الآية: ٥٦ من سورة: الأحزاب: [...إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً...]، ويقول المسلم وهو يصلى فى الجزء الثانى من التشهد، ليختم صلاته: (اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد،

كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك اللهم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، فى العالمين، إنك حميد مجيد.)، والمسلم إذا ما انتهى من صلاته "استغفر الله ثلاثا"، وقال مثل ما قال إمامه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:(اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام)...

فاقد الشىء لا يعطيه

وهنا نسأل: هل حقاً بين "القوى المسيحية" و"القوى الإسلامية" أزمة ثقة؟! أم صراع خفى؟! أم هو سوء فهم؟! أم سوء تفاهم ؟! للإجابة على مثل هذه التساؤلات نقول:

إن من الصعب حصر أسباب الصراع أو العداء غير الإنسانى بين قوى الشمال المسيحى، وقوى الجنوب المسلم!!! ولكن ربما أحد أهم الأسباب التى جعلتهما فى مواجهة: ليس فقط عدم تكافل وتراحم الناس فيما بينهم فى الأرض!!! بل وعدم التزام – أيضاً– السلطة المدنية التشريعية والتنفيذية لدى كلا الطرفين–المسيحى والمسلم– بسلطة حكم القانون الإلهى... وهو فى الديانات السماوية: "كلام الله".. وعند من أمن بشهادة:" لا إله إلا الله محمد رسول الله"، أصله ثابت إلى يوم الدين: كتاب الله "القرآن الكريم وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم".. والله يفصل بين الناس يوم القيامة، إذ يقول الله تعالى فى الآية: ١٧ من سورة: الحج: [...إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...]، وقال سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء لو فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم...)

خمسة عشر قرناً، ومنهج الإسلام على ذلك قائم.. ويؤمن من شهد بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، بأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والأسوة الحسنة لكل مسلم ومسلمة.. ولكل مؤمن ومؤمنة... تصديقاً لقول الله تعالى فى الآية: ٢١ من سورة: الأحزاب: [...لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً...]، وإن محبة رسول الله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هى من محبة الله عز وجل، وصدق الله العظيم، إذ يقول الله تعالى فى الآية: ٣١ من سورة: آل عمران: [...قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...]، وطاعة الله تعالى من طاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهى

فريضة على المؤمنين، تصديقا لقول الله فى الآية: ٣٣ من سورة: محمد: [...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...]، والهداية من الطاعة.. إذ يقول الله فى الآية ٥٤ من سورة النور: [...وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا...]

إن "الدين" مفرد ثقافى منظم للعلاقات الإنسانية، و"الإسلام" هو: دين الفطرة.. فطرة الله التى فطر الناس عليها.. ويقول الله تعالى فى الآية: ٣٠ من سورة: الروم: [... فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ...]، واستغلال الفرد لحريته كيفما شاء هو استغلال صريح للمبادئ الأخلاقية السامية كالديمقراطية والحرية.. خاصة وأن حرية الأفراد والجماعات مسئولية اجتماعية تضمنها سلطة الحكم أو الدولة.. والإخلال بها أو بأحد القانونين: الإلهى أو المدنى- الوضعى- أو بكليهما معاً، يعرض "الفرد" إلى المساءلة القانونية على الرغم من أن المتهم برىء حتى تثبُت إدانته.. فالسلطة القضائية لا تترك حق المجتمع فى عقاب المذنب... أما "العفو والمغفرة والتوبة" أو "السماح والرحمة".. فهى من صفات "الله تعالى"، ومن "أسماء الله الحسنى"... أى إنها "حق إلهى"، وعلاقة أحادية بين "أنا الفرد" من جانب، و"الله"جل جلاله من جانب آخر.. ومازال يجرى على ألسنة الناس: (أنا أريد، وأنت تريد، والله يفعل ما يريد)... وصدق الله العظيم القائل فى الآية: ٢٧ من سورة النساء: [... وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً...]، وقال سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: (إن الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فى العروق)...

إن "أنا الفرد" فى الإسلام هى "أنا الجماعة"، وتكرار الإساءة إلى الأديان، وإثارة الفتنة الدينية، بين الناس شعوباً وقبائل فى الأرض، فيه "كبر ووقاحة"... والاستمرار فى الخطأ بحجة عدم المساومة على حرية الرأى والتعبير، وإعمال الفكر ليس من سمات: لا الديمقراطية.. ولا الحرية... وليس مبرراً على الإطلاق تتطاول "أنا الفرد"على "أنا الآخر".. وتجريحه أو إهانته تحت شعار عنصرى يدعو إلى أن "العقلانية والإنسانية" من نسق القيم الثقافية التى قامت عليها الحضارة الأوروبية دون غيرها! فهذا ادعاء باطل يعود إلى العصور المسيحية الأولى.. إذ مر أبناء القارة الأوروبية بفترتين تاريخيتين، لم تكن لهم سلاماً ولا لجيرانهم: الأولى: "العصور المظلمة Dark ages"، والثانية: "العصور الوسطى Middle ages"، إلا أنهما قد ساهما فى التمهيد إلى "عصر النهضة الجديدة Renais-sance"، أى إلى ماقبل عصر العولمة Globalization والحداثة Modernism ومابعد الحداثة Postmodernism...

ولقد قاربت "العولمة والثورة الصناعية التكنولوجية الحديثة" بين الناس على المستويين: "الزمانى والمكانى"، بعد أن أصبحت الحدود الجغرافية لأوطان الشعوب والقبائل مفتوحة على نفسها، وعلى الهجرات الشرعية وغير الشرعية... إلا أن عودة الإنسان الوليد الجديد -المتعولم- إلى الاهتمام شيئاً فشيئاً بالدراسات العلمية والإنسانية التى تؤكد على"التنوع الإثنولوجى الثقافى Malty Ethno Culture" للجماعات العرقية أو الأقليات، سواء داخل حدود أوطانها الجغرافية السكانية أو خارجها -أوطان أخرى انتقلت أو هاجرت إليها- هى "عودة علمية غير حميدة"... إذ لم يكن يوماً إذكاء روح الشعوبية أو القومية العرقية أو الجنسية بين الناس شعوباً وقبائل إلا نوعاً من إحياء "العنصرية Racism"، والتى يتبعها دائماً خراب، ودمار، وبحر من الدم... ومما لا شك فيه، أن "العولمة" التى تدعو إلى "التنوع الإثنولوجى الثقافى بين الشعوب والقبائل هى التى تثير العداوة، والكراهية والبغضاء بين أفراد الأمة التى وحدتهم ثقافة واحدة، وجعلتهم ذوى بأس وقوة، وأمة من الأمم الحضارية ...

سوء فهم

إن "العزة القومية الإثنية"، أو رفع شأن جماعة عرقية دون أخرى بالمفهوم الإثنى، مرض يصيب المجتمعات الإنسانية.. ليس فقط بين الدول وشعوبها على المستويين السياسى والاقتصادى، بل وبين الناس على المستوى الاجتماعى داخل البلد الواحد.. وداخل القرية الواحدة.. وداخل المدينة الواحدة .. وبين الأحياء السكنية التى تحتفظ بتكتلات عرقية خاصة بمجموعة "إثنية" دون أخرى... وسيظل الخوف من أسلمة القارة الأوروبية -الإسلام فوبيا Islam Phobia- والخشية من المهاجرين المسلمين الجدد الذين لهم حق المواطنة داخل حدود أوطانهم أو بلدانهم الجغرافية الجديدة.. وتغير الطبيعة السكانية لشعوب وقبائل القارة الأوروبية.. من أحد أهم أسباب أزمة الثقة التى جعلت كلا الطرفين-المسلم والمسيحى- فى مواجهة غير مبررة ليس فقط على المستوى السياسى ، بل وعلى المستويين الإنسانى والدينى...

وربما تكون "العولمة الثقافة" غير الإسلامية بشقيها المادى والروحى-اللامادى-التى تحاول أن تضعف من مكانة الحكم باسم: "الحق الدينى الإسلامى" لصالح الحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى" بين شعوب وقبائل الأمة الإسلامية العربية وغير العربية -إثنياً-، والمستعربة وغير المستعربة-لغوياً بعد- من أحد أهم الأسباب الحقيقية فى استمرار المواجهات العنيفة بين ممثلى الثقافة الأممية الإسلامية الذين اعترفوا بأن سيدنا محمد

صلى الله عليه هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وممثلى الثقافة والحضارة الأوروبية: "المسيحية، الرومانية، اليونانية"... ولعل كذلك الخشية من المهاجرين المسلمين الجدد الذين لهم حق المواطنة داخل حدود أوطانهم أو بلدانهم الجغرافية الجديدة.. وتغير الطبيعة السكانية لشعوب وقبائل القارة الأوروبية.. من أحد أهم أسباب أزمة الثقة التى جعلت كلا الطرفين -المسلم والمسيحى- فى مواجهة غير مبررة ليس فقط على المستوى السياسى، بل وعلى المستويين الإنسانى والدينى... وكذب ربما عن وعى.. وربما عن جهالة.. من لم يعترف بعالمية المنهج الكونى الإسلامى... وكذا ظلم نفسه من كان فظاً غليظ القلب ولم يراعِ حرمة الله، وظن خطأً أن له "القوامة" بين الناس مسلمين وغير مسلمين... وتمادى الكذاب والمنافق الذى دعا باسم نشر الديمقراطية والحرية بين الناس فى الأرض إلى مكافحة الإرهاب العالمى، وأعطى "الإرهاب" الجديد صفة إيديولوجية دينية إسلامية... على الرغم من إدراكهم الواعى الذى يقول:

إن ارتكاب أعمال عنف باسم الدين هو ازدراء للأديان السماوية جميعاً.. وأن لفظ "الإسلام" فى اللغة العربية هو فى الأصل كلمة مشتقة من مادة: "سلم".. وبدون (فذلكة) الإرهاب هو: "ترويع الآمنين".. ومهما تعددت أنواعه، فليس من بينها "الإرهاب الدينى".. فالإرهاب باسم الدين هو: إرهاب من قبل فئة ضالة فى مجتمع يتصف بالأمن والأمان...

اعرف نفسك

لقد اعترف أبناء القارة الأوروبية بأهمية مبدأ الحكم باسم "العولمة"، وأنهم شعوب وقبائل "إثنية" مختلفة --Ethnic group، إلا أنهم قد استقروا على الانتساب إلى منهج ثقافى روحى ومادى متراكم: مسيحى، رومانى، يونانى قديم... مما ساعد على انسجامهم واتحادهم.. فعاشوا اليوم ليس زمن الرفاهية وحسب.. بل زمن ما بعد الرفاهية... علماً بأن ما كان "حديثاً Modern" سواء فى زمن "الحداثة أو ما بعد الحداثة Modernism and Postmodernism" سيصبح -أيضاً- قديماً نسبياً فى يوم ما... وكلما استشرق الإنسان الجديد المستقبل ظن البعض خطأً أن نسيان الماضى وتقاليده هو الطريق نحو "الحداثة والعولمة"، فى حين أن "من لا ماضى له.. لا مستقبل له"...

وعلى الرغم من اعتراف شعوب وقبائل القارة الأوروبية بحقيقة التنوع الإثنى بينها.. إلا أنها عن رضى ربطت نشأتها الحضارية بكلتا الحضارتين: "اليونانية، والرومانية"... وطبيعة البنية الحضارية للأولى: أنها بنيت على عنصرى "التأمل والعقل"، وهما "مفتاح

الذات"... ولعل نشأة مدينة "أثينا" نفسها تدل على ذلك.. إذ سميت على اسم "الربة أثينا"، ومعناها: "السلام"، ورمزها: "غصن الزيتون"... في حين ارتبطت "الحضارة الرومانية"، وإمبراطوريتها الكبرى بطبيعة النشأة العسكرية الطامعة إلي غزو الأراضي.. والسيطرة علي رؤوس الأموال، ومصادر المياه بقوة السلاح... ولعل كذلك نشأة عاصمتها "روما" تدل على طبيعتها.. فموقعها بين "تلال سبع"، ويرعاها "إله الحرب مارس"، ويرمز لها بـ"الذئب".. ومع اشتداد بأس وقوة شعوب وقبائل الأمة الرومانية هزموا اليونان عسكرياً.. ولكن من حيث الإبداع الإنساني انتصرت اليونان على الرومان ثقافياً...

وكذا، ربما يعود الصراع أو سوء الفهم بين القوى المسيحية الأوروبية شمال حوض البحر الأبيض المتوسط، والقوى الإسلامية جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط إلى اليوم الذى فقدت فيه القوى المسيحية أم المدن فى بلاد الشام: "مدينة أنطاكية"– التركية الآن– مدينة الله– مدينة الملك– التى كان يجلس فيها "البطريرك الأعظم" فى الشرق... إلى جانب الفتح الإسلامى لمدينة "القسطنطينية" عام (١٤٥٣م)، والتى اتخذها حكام الدولة الإسلامية العثمانية –تركيا الآن– عاصمة لهم... ولكى نعلم أهمية هذه المدينة "القسطنطينية" لأبناء شعوب وقبائل القارة الأوروبية، نقول: لقد كانت "القسطنطينية" للمسلمين فتحاً.. ولشعوب وقبائل القارة الأوروبية المسيحية سقوطاً... وإلى اليوم لم ينسَ ورثة الثقافة والحضارة المسيحية، الرومانية، اليونانية أن مدينة "القسطنطينية" هى حاضرة، وعاصمة الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع الميلادى.. فقد حلت محل مدينة "روما" العاصمة العريقة وسميت "القسطنطينية" نسبة إلى الإمبراطور الرومانى "قسطنطين الأول"(٣١١–٣٣٧م) الذى اعتنق المسيحية، وجدد مدينته القديمة عام(٣٢٤م)، واتخذها مقراً للحكم منذ عام(٣٣٠م).. وهى تعد بوابة أوروبا، لأنها المدينة التى تقع على "نهر البسفور"، والتى بنيت على أطلال المدينة القديمة "بيزنطة" المدينة اليونانية القديمة، والتى بنيت فى القرن السابع قبل الميلاد(٧ ق.م).. وتعتبر مدينة "إسطنبول" التركية الآن، هى المدينة الأحدث، والتى بنيت بقرب مدينة "القسطنطينية" لتحل محلها...

وبمعنى آخر، انتسبت شعوب وقبائل القارة الأوروبية إلى كلتا الحضارتين الرومانية واليونانية.. وحلت الحضارة الأوروبية المسيحية محلهما.. واعترفت أن مصر مهد الحضارات.. ولم تنكر سيادة الثقافة الدينية المسيحية عليهم من بعد أن اتخذ الإمبراطور الرومانى "ثيودوسيوس الأول الكبير" (٣٧٨–٣٩٥م) قراره عام (٣٩١م) باعتبار "المسيحية" هى الدين الرسمى لبلدان "الإمبراطورية الرومانية" الشاسعة... وكان من قبله الإمبراطور

"قسطنطين الأول" (٣١١-٣٣٧م) قد اعتنق المسيحية، واعترف بشرعيتها كديانة إلهية عام (٣٢٣م)، من ضمن الديانات الأخرى غير السماوية، والسماوية، داخل حدود الإمبراطورية الرومانية متسعة الأطراف... وحينما أخذت "المسيحية" في الانتشار بين الناس كدين سماوي، اختلف رجال الكنيسة حول "طبيعة المسيح": هل هو من طبيعة إلهية؟! أم من طبيعة بشرية ؟! أم من طبيعة واحدة تجمع ما بين الطبيعة اللاهوتية، والطبيعة الناسوتية- الناس أو البشرية-؟! وانقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية.. كما انقسمت الكنيسة إلى "ملكية- كاثوليكية - ويعقوبية- أرثوذكسية-[٢٢] ووصف كل منهما الآخر بالجهل والهرطقة!!! فقد رأى البعض أن "الطبيعة اللاهوتية" تعني: وحدة الله والإنسان.. فالمسيح هو الله.. والله هو المسيح.. والعذراء هي أم الإله.. في حين رأى البعض الآخر: أن الوحدة بين "الله والإنسان" هي "وحدة غير طبيعية".. بل هي "وحدة معنوية".. وقالوا: إن ولادة المسيح من امرأة، تجعله إنساناً يولد.. ويموت بقدرة الله.. والله بلا بداية.. وبلا نهاية...

وجادلهم بالتي هي أحسن

إن "المسيح عيسى بن مريم"-عليهما السلام- كلمة من الله تعالى.. وسواء اتفق أم اختلف الناس حول "طبيعة المسيح النورانية" إلا أن "الله" بـ"الأقانيم الثلاثة" - جوهر الثالوث الإلهي-: "الآب.. والابن.. والروح القدس -جبريل عليه السلام-" رؤية إيمانية أو فكرة تؤكد على الاتحاد ما بين "لاهوت المسيح وناسوته".. والجمع بينهما يعني: ذوبان الطبيعة الناسوتية في الطبيعة اللاهوتية.. لتبقى للمسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة اللاهوتية... وتكاد تكون هذه "الطبيعة اللاهوتية" سبباً من الأسباب التي مازالت وإلى الآن تفرق بين المسلمين -سواء بين المسيحيين أنفسهم الذين اعترفوا جميعاً بالفكرة "التثليثية"، الرومانية[٢٣]- أو بين المسيحيين والمسلمين ممن شهدوا بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"...

إن سيدنا عيسى عليه السلام نبي "الله"، رسول من "رب موسى وهارون" إلى قوم: "بني إسرائيل"... والله تعالى يريد من الناس أن تفرق بين: حدود المفاهيم العقلية الإنسانية المحددة بالقدرة على الفعل أو العمل، وعدم القدرة على الفعل أو العمل.. وبين حقيقة الإيمان بفكرة "الإعجاز الإلهي"، الذي هو: "خرقٌ للعادة والناموس".. والمقصود لمن رآها حصرها بين القدرة على الإتيان بها، وعدم القدرة على الإتيان بها...

وقد جاءت "الآيات القرآنية من بعد حلول القرن السابع الميلادي -بقليل- لتكشف كلمة "الله الحق" للناس حقيقة الاختلاف حول طبيعة المسيح عيسى بن مريم -عليهما السلام-

ويقول الله تعالى للناس في الآية: ١٧١ من سورة النساء: [... يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌانتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً...]

إن سيدنا عيسى عليه السلام بميلاده في فصل الشتاء هزم برودة الشتاء.. وعاش حتى توفاه الله ورفعه إليه جل شأنه، كما ترفع أرواح كل الأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء... إلا أن الناس لم تفرق بين "الموت" و "القتل"... إن كل نفس ذائقة الموت بإذن ربها.. إذ يقول الله تعالى في الآية: ٣٥ من سورة: الأنبياء: [... كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...]، ويحرم الله تعالى قتل النفس الزكية بغير نفس، وبغير حق.. ويقول جل شأنه في الآية: ٣٣ من سورة: الإسراء: [...وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ...]، فكيف يكون الإنسان في الأرض كالإله في عالم السماء، ويقتل النفس التي حرم الله قتلها... ووفقاً للمفهوم الإنساني العقلاني الأرضي عند المسيحيين سيدنا عيسى عليه السلام "صلُب" أي مات مقتولاً، ثم رفع إلى السماء... بينما سيدنا عيسى عليه السلام في" القرآن الكريم "مات" كأي نفس خلقها الله، ولكن الناس ما قتلوه يقيناً أي أكيداً.. وما صلبوه بل شبه لهم، بعد أن قرر الله تعالى رفعه إليه تصديقاً لقول الله تعالى في الآية: ١٥٧ من سورة: النساء: [... وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً...]

إن الإنسان بقدرة من الله سبحانه وتعالى: "يولد.. ثم يموت.. ثم يبعث حياً.." تصديقاً لقول الله تعالى في الآية: ٢٦ من سورة: الجاثية: [... قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ...]، أي أن بث الروح في الجسد "آية" من الله - تعالى.. والأرض خلقت ليعمرها آدم، وحواء، وكتب الله تعالى عليهما، وعلى نسلهما أن يولدوا، ويعيشوا، ثم يموتوا، ويبعثوا للقاء ربهم.. ويقول الله تعالى في الآية: ٢٥ من سورة: الأعراف: [... قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ...]، إنه هو "الله" الذي يحيي ويميت.. وهو على كل شيء قدير.. إذ يبعث "الله" عز وجل الأنفس وفق الأوجه الآتية:

١- "الله" يتوفى الأنفس مرتين، الأولى: حين نومها.. والثانية: حين موتها..

٢- "الله" يحيي الأنفس مرتين، الأولى: بعد نومها.. والثانية: حين بعثها..

٣- "الله" يبعث الأنفس مرتين، الأولى: بعد نومها.. والثانية: عند قيام الساعة..

وصدق الله العظيم، الذى يقول جل شأنه فى الآية: ١١ من سورة: فاطر: [... وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ...]

وهكذا، اتبع الناس الظن لأنهم هم الذين لم يتأكدوا حقاً من موت سيدنا عيسى عليه السلام... بينما يؤكد الله تعالى على أنه لم يقتل يقيناً.. واليقين هو:" العلم الثابت الذى لا شك فيه"... و يكمل الله تعالى فى الآية: ١٥٨ التالية لها من سورة: النساء: [... بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ...] وتجيء الكلمة الفصل فى الآية: ٥٥ من سورة: آل عمران: [... يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ...] وبسبب اختلاف الناس حول المفهوم الحقيقى للموت يكمل الله تعالى الآية نفسها: ٥٥ من سورة: آل عمران: [... ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ...]

إن سوء الفهم يؤدى إلى سوء التفاهم.. وكى لا تكون بين المسلمين والنصارى عدواة، ينصحهم "الله تعالى بعدم المجادلة فيما يسوءهم.. ويقول الله تعالى فى الآية: ٤٦ من سورة: العنكبوت: [... وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ...]

الخيرة فيما اختاره الله

لقد بعث الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى القرن السابع الميلادى إلى عموم الناس، ويقول الله فى الآية: ٢٨ من سورة: سبأ: [... وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً...]، وقال خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام منذ خمسة عشر قرناً: (الأنبياء دينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فليس بينى وبينه نبى...)، ومن الآيات القرآنية التى تشير إلى أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قول الله تعالى فى الآية: ٤٠ من سورة: الأحزاب: [... ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً...]، وخص الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بخصال لم تعطى لنبى من قبله وقال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً طهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة).. وزاد بعض رواة الحديث النبوى، وأضافوا قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (وأعطيت جوامع الكلم)... وصدق الله العظيم، القائل فى الآية: ٣٣ من سورة

التوبة: [... هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ...]، لقد رزق الله تعالى المسلم، وجعله مالكاً لثروات الأرض وخيراتها.. منذ أن رضى بشهادة:"لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وبحمل أمانة الكلمة...

وربما تعود العداوة والبغضاء بين القوى المسيحية واليهودية من جهة، والقوى المسلمة من جهة أخرى، إلى رغبة القوى الأولى فى السيطرة على الأماكن المقدسة فى الجنوب المسلم.. ومازال اليهود يبكون يوم "كيبور".. يوم خربت "خيبر" بعد أن فتحها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وسقطت السلطة اليهودية فى جزيرة العرب... وطمع منذ هذا اليوم أهل الكتاب من النصارى واليهود فى زيارة "الكعبة" بيت الله الحرام الذى هو بمدينة "مكة"، والذى رفع عمدانه سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام.. ويقول الله تعالى فى الآية: ١٢٧ من سورة:البقرة: [...وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...]

وترجع أهمية الأماكن المقدسة فى الجنوب المسلم إلى جمع المسلمين بين الحرميين الشريفيين وأولى القبلتين وثالث الحرميين... أى بين "بيت الله الحرام" المبارك الذى هو بمكة.. و"المسجد النبوى الشريف" بمدينة "يثرب".. "المدينة المنورة" بمسجد ومقام رسول الله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام... وكان "المسجد الأقصى" بمدينة "القدس" قبلة المسلمين الأولى، التى توجهوا بقبلتهم إليها فى صلاتهم.. تآلفاً.. ومودةً.. ورحمةً.. وإخاءً.. بين "المسلمين ويهود يثرب"... وصلى على ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المسلمين أجمعين ثمانية عشرة شهراً تقريباً.. من تاريخ وصول النبى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من "مكة" إلى "يثرب" فى شهر ربيع الأول من السنة (١٣) الثالثة عشرة للبعثة عام (٣هـ/ ٦٢٢م).. وهو الحدث الهام التالى للحدث الأكثر أهمية وهو "رحلة الإسراء والمعراج" بالروح والجسد معا عام (٦١٩م)... إنه الله تعالى الذى أسرى بعبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من "مكة" إلى "يثرب".. ثم "عرج إلى السماء"... وصدق الله العظيم، الذى يقول فى الآية١٠ من سورة: الإسراء: [... سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير...]

لقد جاء الرسول الملاك "جبريل" عليه السلام إلى خاتم الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله والسلام عليه، وعلى "البراق" ركب، وعبر حدود المكان والزمان، وكسر حاجز الجاذبية الأرضية، وصعد إلى عالم السماء، وهبط بعد أن رأى سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم من آيات ربه الكبرى ما هو فى عالم الأرض.. وما هو فى عالم السماء... وزار النبى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه فى "رحلة الإسراء" "بيت المقدس"، ودخل "المسجد الأقصى"، وجاء أمر الله تعالى، ولقى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأنبياء والرسل جميعاً، وأخذ ميثاقهم، وصلى بهم عليهم السلام جميعاً، ويقول الله عز وجل فى الآية:٨١ من سورة: آل عمران: [...وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ...]، وما أن افترقوا، صعد كل نبى إلى سماء العلى، وحمل "البراق" الرسول الملاك "جبريل" عليه السلام، و"عرج" بخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء العلى حتى وصلوا إلى "سدرة المنتهى".. وعندها ترك الرسول الملاك "جبريل" عليه السلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمقابلة "الله تعالى"، فلو أكمل به الطريق سيدنا "جبريل" لاحترق.. والتقى النبى الأمى الذى لا ينطق عن الهوى "محمد بن عبد الله" –عليه أفضل الصلاة والسلام– "الله تعالى" عالم الغيب والشهادة، الذى يقول سبحانه جل شأنه فى الآيات:١٣–١٨ من سورة: النجم:[... وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أخرى. عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى...]

وكان من ضمن أهداف رحلة "الإسراء والمعراج" بث روح الطمأنينة فى نفس خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام... ومنح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون إلى يوم الدين، القدرة على التمييز ما بين المسلم وغير المسلم.. ما بين الصادق والمنافق... فالإيمان بالعالم الغيبى الروحى كالإيمان بالعالم المادى – الملموس والمحسوس–، ومن أخلاق المسلم... وعمل الناس بأمر الله تعالى دال على أن قدرة الإنسان محصورة ما بين القدرة على الفعل، والعجز عن الفعل...

إن رحلة "الإسراء والمعراج" هى: آية للعالمين، يمتحن بها الله تعالى عباده المسلمين.. وجاء تحويل "القبلة" من المسجد الأقصى– منذ خمسة عشر قرناً– إلى "البيت الحرام" آية أخرى، دالة على الوحدة الروحية –اللامادية– والمادية للمسلمين فى الأرض... إذ يقول الله تعالى فى الآيات: ١٤٣–١٤٤ من سورة البقرة: [... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ. قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ ...]

حُماة الصليب!!!

وربما ترجع أزمة الثقة فى العلاقة بين القوى المسيحية من جهة، والقوى المسلمة من جهة أخرى، إلى زمن "الحروب الصليبية The Crusade Wars" التى تعرف أيضاً باسم: "الحروب المقدسة Holly Wars" التى امتدت فى فترة العصور الوسطى الأوروبية المسيحية: ما بين بدايات القرن العاشر الميلادى، ونهايات القرن الثالث عشر الميلادى تقريباً، فقد تزيد السنوات وقد تقل، ولكنها بالتأكيد لم تكن مجرد رحلات دينية سلمية، الغرض منها الزيارة أو الحج إلى مقام الأنبياء والمرسلين فى "بيت المقدس"، والأماكن المقدسة الخاصة بالمسيحيين واليهود.. وإنما كانت تهدف كحرب تطهير وعدوان على الدولة الإسلامية إلى السيطرة عليها... وتعرف هذه الحروب فى القواميس، والمعاجم، والمراجع الأجنبية من واقع اللغة الإنجليزية:

–The Guerrilla Holly War to the Holly City of Jerusalem

- The Crusade War on the middle Ages (1000-1300), one of the Wars that European Christians Fought with Muslims.

وقد نجح "الصليبيون" بالفعل فى الاستيلاء على "بيت المقدس" فى الجنوب المسلم يوم (١٥) يونيو(٦) من عام (١٠٩٩م).. وعاد "المسلمون" إلى تحريرها فى (٤) أكتوبر(١٠) من عام(١١٨٧م).. واحتلتها القوى الصهيونية واليهودية من جديد بعد هزيمة (٥) يونيو(٦) من عام (١٩٦٧م)...

وإذا ما سأل البعض متعجباً، لماذا لقيت دعوة الحرب ترحيباً، وخرج الأوروبى المسيحى–من قارته الأوروبية، ذات الغالبية المسيحية الكاثوليكية– حاكماً ومحكوماً للحرب المقدسة أو التطهير؟! نجيب ونقول:

إن سلطة "البابا Papa"، ورجل الدين أو الكاهن المسيحى أقوى من سلطة الأمير، أو الإقطاعى، أو الملك، أو الإمبراطور، أو حتى الرئيس الزعيم والقائد.. فهو الذى يرفع من شأن هذا أو ذاك، ليصبح أكثر قوة، ومالاً، وعصبة، وسطوة... ورجل الدين المسيحى أهميته ليست فقط فى موافقته على التنصيب... بل إنها تبدأ من مباركة رجل الدين المسيحى لأتباعه من المهد إلى اللحد.. بدءً من تعميده بالميلاد.. إلى الاعتراف بالذنب أو الخطيئة.. خطيئة الإنسان فى حق المسيح سيدنا عيسى عليه السلام، الذى هزم بميلاده برودة الشتاء.. وخلص الإنسان من خطيئة "آدم" الأولى.. وقدم نفسه فداء لبنى آدم... وبمعنى آخر، على الإنسان المسيحى أن يتخلص من خطيئته فى حق المسيح.. وحق نفسه... ومن ثم، نسأل: أيهما أهم حماية ألجسد أم حماية الروح؟!

بالتأكيد، "حماية الروح" التى يكفلها رجل الدين المسيحى للخاصة والعامة، أهم من "حماية الجسد"... ولهذا لم يكن غريباً، أن نرى دولة دينية مسيحية كاثوليكية -ملكية- داخل حدود جغرافية، سياسية لدولة أخرى فى أوروبا.. وهى دولة "الفاتيكان".. دولة رجال الدين المسيحى.. والمستقلة عن "إيطاليا"، وداخل عاصمتها "روما" فى فبراير(٢) من عام (١٩٢٩م)... ومقر "البابوية الكاثوليكية فى العالم"، التى أُعلن عن قيامها بعد عناء عام (١٨٧١م)... وأصبح لهذه الدولة الدينية سفراء لها من رجال الدين المسيحى فى كل بلدان العالم الأرضى... وفى (١٧) مايو(٥) من عام(٢٠٠٨م)، أكد بابا الفاتيكان رقم: (٢٧٤)، "بينديكيت السادس عشر" والمنتخب فى (١٩/ ٤/ ٢٠٠٥م) على حق الكنيسة الكاثوليكية فى التبشير والسعى لضم جميع البشر إلى المسيحية دون ضغط أو إرهاب!!!

حرب الاسترداد

وربما كذلك، يعود الصراع وسوء الفهم، وسوء التفاهم بين قوى الشمال المسيحى القادمة من القارة الأوروبية.. وقوى الجنوب المسلم إلى زمن السقوط التدريجى للخلافة والدولة الإسلامية.. إذ تشتد حدته بسقوط الخلافة أو الدولة الأموية عام (١٣٢هـ/ ٧٥٠م).. على أيدى الخلفاء العباسيين (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م)، والظهور القوى لإمارات "بلاد الأندلس"-ايبريا، اسبانيا حالياً- والتى أعلن قيامها (عبدالرحمن الأول- الداخل-صقر قريش١١٣-١٧٢هـ٧٣١/-٧٨٨م).. أخر الخلفاء الأمويين، وذلك عام(١٣٨هـ/ ٧٥٦م).. وبمساعدة أخواله من "البربر"...

ثم، بدأ أصحاب الأرض الحقيقيون فى شن الحملات العسكرية المتوالية ضد المسلمين فى بلاد الأندلس، وعرفت هذه الحروب لرد المدن التى فتحها المسلمين باسم:"الاسترداد Reconquista".. وهى حروب تعود إلى واحدة من أولى المحاولات الناجحة التى أسفرت عن استرداد مدينة "طليطلة" عام (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)- وهى من المدن التى كان قد فتحها "طارق بن زياد (٥٠-١٠٢هـ/ ٦٧٠-٧٢٠م)، عام (٩٢هـ/ ٧١٣م)-وكذلك استرداد مدينة "أشبيلية" عام (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).. وذلك بعد انقسام الدولة الأموية فى الأندلس لدويلات صغيرة.. وتوالى سقوط المدن الأندلسية التى فتحها المسلمين تباعاً، كمدينة "طنجة" (٨٧٥هـ/ ١٤٧١م)، التى غزاها البرتغاليين.. ثم حكمتها إسبانيا منذ عام (١٥٨٠م) حتى عام (١٦٤٠م)، ومنذ عام (١٦٨٤م) وإلى اليوم تتنافس إنجلترا، والمغرب، والبرتغال، واسبانيا على الظفر بها.. على الرغم من أنها تخضع للمغرب منذ عام (١٩٥٣م)... فى حين سقطت مدينة "غرناطة" آخر المدن الإسلامية فى عرش الأندلس عام (٨٩٤هـ/

١٤٩٢م)... ولهذا التاريخ أهمية خاصة.. إذ أحيانا ما يتخذه البعض أيضاً بداية لتاريخ "عصر النهضة الأوربية Renaissance رينيسانس"(٢٤)...

ميلاد إنسان جديد

يعرف عصر النهضة الأوروبية باسم: "Renaissance"-رينيسانس-، ويعني عصر الميلاد الجديد.. أى إن الفكر الإنسانى يولد مرة أخرى.. ليصنع إنساناً جديداً بخلق إنسانى مسيحى.. وهو فكر اشتقاقى إنسانى عرف حيناً باسم: "الاتباعية".. وحيناً آخر باسم: "الإبداعية".. لأن مصدره ليس فقط بعث وإحياء الموروثات الثقافية الحضارية الرومانية اليونانية القديمة.. بل وإعادة الخلق من جديد والتفوق عليه.. إذ لا يكفى الانتساب إليها فقط... إنه عهد جديد.. وفكر جديد.. وصف -أيضاً- باسم "الإنسانية".. فهو إنسانى الطابع.. دلالة على عدم انتسابه إلى سلطة رجال الدين الإلهى المسيحى، وسلطان المؤسسات التعليمية الدينية.. إذ بسبب فساد الكنيسة، أو الانفصام بين العقيدة المسيحية، والممارسات الفعلية لهذه العقيدة، تمرد الإنسان الأوروبى الوليد الجديد على نفوذ سلطة حكم رجل الدين المسيحى .. ولكن ليس على سلطة حكم الدين الإلهى المسيحى.. إذ لا تعارض بينها، وبين سلطة الحكم المدنى أو الوضعى...

ولعل من أهم العوامل التى ساعدت على التحرر من سلطة الكنيسة: نشأة المؤسسات التعليمية غير الدينية.. كجامعة باريس "السوربون" التى افتتحت عام (١٢٥٧م):

Sorbonne Fondeé à Paris en 1257 par Robert de Sorbonne.

وظهور الطباعة فى أوروبا منذ عام (١٤٥٠م)... ولقد حملت إيطاليا أولاً، وإماراتها الإقطاعية الثرية لواء النهضة الأوروبية الجديدة.. وخاصة بعد سقوط مدينة "القسطنطنية" عام (١٤٥٣م) فى أيدى المسلمين... ثم انتقل فكر عصر النهضة الجديدة رويداً رويداً.. من إيطاليا إلى إسبانيا، وإنجلترا، وفرنسا، ثم إلى بلدان أوروبية أخرى عديدة.. بعد أن عانت أيضاً من ويلات الحروب.. كالحرب المقدسة Holly War (1000-1300م).. وحرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا، بين اعوام (١٣٣٧-١٤٥٣م).. وحرب الخمسين عاماً بين فرنسا وإيطاليا، بين أعوام (١٤٩٤-١٥٥٩م)!!!

وهكذا، التقى الحدثان الهامان: الدعوة إلى التمرد على سلطة رجال الكنيسة الكاثوليكية، وسقوط مدينة "القسطنطينية"(١٤٥٣م) على يدى المسلمين.. مع عودة مدينة "غرناطة"(١٤٩٢م) إلى أصحابها الحقيقيين.. وتحولت "حروب الاسترداد Reconquista" إلى حملات عسكرية استعمارية على الإمارات الأندلسية، والدويلات الإسلامية الضعيفة... بل

ومع ازدياد الاكتشافات البحرية.. وبحجة التبشير الديني المسيحي: زادت الأطماع الاستعمارية بحثاً عن الثروات الطبيعية (كالذهب)... وكانت إسبانيا، والبرتغال من أهم هذه القوى الاستعمارية التي سعت لنهبها وسرقتها.. إلى أن لحقت بها قوى أوروبية أخرى جديدة كالفرنسية، والإنجليزية، والهولندية.. وغيره.. وإن كنا نحن العرب المسلمين لم نسلم منها.. فكذلك جنوب القارة الأمريكية -مثلاً- التي لم تسلم من الاستعمار الإسباني...

فكر عصر النهضة الأوروبية

إن الإنسان الوليد الجديد في فكر عصر النهضة هو أعلى ما في الكون.. هو صانع المعجزات.. هو المسيطر على مجريات حياته الأرضية.. لأنه بقدرته على الفعل هو الذي يصوغ مصيره لا الآلهة.. وهذا يخالف الفكر الوثني القديم، الذي كان يعتبر الإنسان منفذاً لرغبات القضاء والقدر الإلهي الوثني أو المشيئة الإلهية الوثنية التي تلاعبت بأقدار البشر... وقد كانت صورة الألهة في الفكر الوثني القديم، نموذجاً للتفوق والكمال الإنساني، فمثلاً: "جمال المرأة" من جمال "أفروديت" (إلهة الجمال).. و"شجاعة الأبطال" من شجاعة "مارس" (إله الحرب).. فصورة الألهة كبشر هي التي جعلت الإله إنساناً، والإنسان إلهاً.. مما مكنهما من التناسل وولادة "أنصاف الألهة" وفق الفكر الوثني القديم...

وجاء فكر عصر النهضة الجديد، وخالف الفكر الديني الإلهي المسيحي الذي رأى كدين سماوي، أن الإنسان له مكانة محدودة على خارطة الكون.. وأن محاولة الخروج عن هذه المكانة صعوداً أو هبوطاً سيقود إلى كارثة تصيب الإنسان والكون من حوله... وكان رجال الكنيسة يقسمون الإنسان إلى نوعين: إنسان خير.. وإنسان شرير.. والأرض هي عالم الأحزان، منذ ارتكبت الخطيئة في حق المسيح النبي عيسى عليه السلام... وعالم الإنسان محصور ما بين الميلاد والمعمودية.. والاعتراف بالذنب أو الخطيئة والموت.. وإيمان الإنسان بالجنة والنار... فيوم القيامة هو يوم نهاية البشرية.. ولا مجال للاجتهاد أو الإتيان بجديد!! ألم يحاكم "جاليليو Galileo" (١٥٦٤-١٦٤٢م) مكتشف البوصلة (١٥٩٧م) بتهمة الهرطقة والزندقة (١٦٣٣م) لأنه قال: إن الأرض كروية.. وإن الأرض تدور حول الشمس!!!

إن إنسان عصر النهضة الأوروبية الجديدة Renaissance ولد من جديد، بإرادة حرة.. وبقدرة على الفعل، وصل بها إلى مرتبة الآلهة... وطبقاً للتقسيم "الميكيافيللي" نسبة إلى "ميكيافيللي Machiavelli" (١٤٦٩-١٥٢٧م) صاحب المقولة الشهيرة: (الغاية تبرر الوسيلة)، قسم "ميكيافيللي" الإنسان الجديد إلى نوعين: الأول: إنسان قادر على الفعل غير المحدود... والثاني: إنسان محدود وعاجز عن الفعل أو العمل...

ولهذا نقول:

إن إنسان عصر النهضة الأوروبية الجديدة هو الباحث عن مصلحته.. والقادر على الفعل غير المحدود.. والساعى إلى السلطة.. وصاحب الاكتشافات البحرية.. والطامع إلى البحث عن الثروات الطبيعية وبخاصة "الذهب"... كما أدرك الإنسان الجديد أهمية السيطرة -الكاملة أو شبه الكاملة- على مصادر المياه.. وطرق التجارة العالمية.. وظهرت القوى الاستعمارية الجديدة -التقليدية وغير التقليدية- كالقوى الأسبانية.. والبرتغالية.. والهولندية.. إلى جانب الإنجليزية والفرنسية.. وغيره.. مما ساعد على انتشار "الرأسمالية التجارية" التى انتعشت فيما بعد بظهور المصارف (البنوك) التى أكدت على أهمية حركة "رأس المال"، وتجميعه والسيطرة عليه، لدوره الهام فى حياة الناس... وساهم هذا الإنسان الوليد الجديد فى قيام الثورة الصناعية (١٧٥٠-١٨٥٠م).. وزادت الفوارق الإنسانية بين طبقة تملك.. وطبقة تعمل.. وخاصة بعد التحول التدريجى بنظام "السوق الحر" إلى "الرأسمالية التجارية" و"الرأسمالية الصناعية" التى طبقت مبدأً إنسانياً جديداً هو: "اتركه يعمل.. دعه يمر.."

العالم الجديد

ولا يكاد ينتهى القرن الثامن عشر الميلادى، قمة فكر عصر النهضة الأوروبية، إلا ويشهد أحداثاً جليلة ومن أهمها: ولادة عالم جديد مع استقلال ما عرف فيما بعد باسم "الولايات المتحدة الأمريكية" عن القارة الأوروبية، أو الوطن الأم -بريطانيا- عام (١٧٧٦م)، والدعوة منذ عام (١٨٦٠م) إلى إلغاء الرق والعبودية فيها.. واندلاع الحرب الأهلية بين شمالها وجنوبها أعوام (١٨٦١-١٨٦٥م)، والتى نتج عنها هزيمة الجنوب.. ثم وحدة الشمال والجنوب تحت علم واحد.. أى وطن واحد منفصل عن القارة الأم "أوروبا"، ومستقبل لهجرات شعبية أوروبية وغير أوروبية جديدة...

وهنا لابد وأن نشير أيضاً، إلى واحد من أهم الأحداث الإنسانية الجليلة التى تغيرت معها الخارطة الجغرافية السكانية فى الأرض، ألا وهى: قيام "الثورة الفرنسية" عام (١٧٨٩م)، وإعلان قيام الجمهورية الفرنسية الأولى على يد "نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte"(١٧٩٦-١٨٢١م)، ثم عودة الملكية من جديد بعد أن نصب "نابليون" نفسه إمبراطوراً على فرنسا عام (١٨٠٤م)... وقد أراد "نابليون" تحرير فرنسا والشعوب الأوروبية وغير الأوروبية، من الملكية والعبودية... إلا أن أداة القهر والعدوان، والنزعة الفردية والديكتاتورية فى الحكم، وآلة الحرب قد أصابت "الأرض Globe" بحالة من حالات

الخراب والدمار وبحر من الدم، على مستوى علاقة الإنسان بأخيه الإنسان... ولأن الإنسان جزء من الكون، حل الموت على الأرض.. وأصبح فرض نسق من القيم بقوة السلاح أداة في يد الإنسان الوليد الجديد...

ومنذ أن أخذ "الحكم البونابرتي" الفرنسي طبيعته الاستعمارية، بدأت تسقط إقطاعيات.. وإمارات.. وممالك قديمة.. لتحل محلها ممالك ودول جديدة...وإنهارت الطبقة الأرستقراطية، وحلت "الطبقة البرجوازية Bourgeoisie الجديدة" محلها.. ودانت السيطرة الكاملة لها... وأصبح البرجوازيون الجدد-ساكني المدن و"Bourg" كلمة ألمانية الأصل تعني مدينة-وهم سادة المجتمع الجديد.. وعرفوا باسم: "الارستقراط الجدد"... ووجد الإنسان الجديد نفسه يعيش في حالة من الصراع أو الاختلاف ما بين أخلاق الريف المسيحية.. وأخلاق المدينة المتحررة من كافة القيود.. فالإنسان الجديد لم يعد يؤرقه فقط: الصراع ما بين العقل والعاطفة.. أو ما بين العاطفة والعقل... بل قاده الإصرار على كسر حاجز الماضي وتقاليده، إلى الدعوة تارةً إلى حريةٍ عاطفية مطلقة بلا قيود.. وتارةً أخرى إلى حريةٍ عقلية مطلقة وبلا قيود أيضاً.. ثم تلتها دعوة أكثر تمرداً من سابقتها، وهي الحرية المطلقة بلا حدود عاطفية.. وبلا قيود عقلية.. وكأن الإنسان الوليد الجديد قد أعاد عام (١٨٨٤م) اكتشاف "الفلسفة الأبيقورية" من جديد.. نسبة إلى الفيلسوف اليوناني القديم "أبيقور Epicure" (٣٤١ق.م-٢٧٠ ق.م) الذي لم يعترف بعالم الآلهة والأساطير.. وجعل من الإنسان سيداً لنفسه ومصيره.. ومؤمناً بعالم الحواس.. فالروح محلها القلب، ومهمتها مساعدة الإنسان على الإحساس، والفكر، والإرادة الحرة.. أما النفس فهي التي تبث الحياة في الجسم.. ولا تهدأ النفس إلا بعد تحقيق اللذة.. والإفراط في طلب اللذة هو الذي يقود إلى القلق، وزيادة الآلام، والهموم، والاضطرابات النفسية... إلا أن الإنسان الجديد تفوق على الإنسان القديم، وأطلق العنان للإرادة الحرة، ولم يخش السعي وراء البحث عن أدوات وطرق جديدة تحقق ملذاته في الدنيا، وأعلى من شأن "المادة".. ليثبت أنه ابن بار للثقافة اليونانية-الرومانية- القديمة، ولعصر الإحياء والتنوير الأوروبي الذي بدأ منذ الأحداث التي مرت بها أوروبا في القرن السادس عشر...

• فكر عصر التنوير

كما واكب صراع الإنسان الجديد مع "الآلة".. وبحثه عن الثروات الجديدة.. بناء إنساني فلسفي جديد.. أخذ في السيادة تدريجياً منذ بدايات القرن الثامن عشر، الذي عرف في أوروبا باسم: "عصر التنوير Age of Enlightenment".. إنه عصر: "النور، والوضوح، وتحرير العقل".. ومن أهم نتائجه التي حفظت بقاء أحفاد الإنسان الوليد

الجديد، ابن عصر النهضة الأوروبية: ليس فقط الحد من سلطة رجال الكنيسة المسيحية.. ولا الثورة على الدستور الأخلاقي للدين المسيحي الذى حكم الأفراد والجماعات والشعوب والقبائل الإثنية المختلفة... وإنما ساعدت الدعوة إلى تجاوز الماضي وتقاليده على انتشار منهج "التفكير العلماني"، أى "العلمانية" التى أعلت من شأن المادة، وكل ما هو ملموس ومحسوس.. ورفعت شعار "الدين لله والوطن للجميع".. والذى أعلى هو الآخر من شأن مبدأ: "فصل الدين عن الدولة".. أو "فصل الدين عن السياسة".. أو مبدأ: "فصل الدين عن الحكم"... ورفض الإنسان الجديد أن يكون "الدستور الدينى" هو الحكم العدل بين الحاكم والمحكوم.. وأصر أن يصبح "الدستور المدنى أو الوضعى" هو الحكم الفصل الذى لا يتعارض من حيث المبدأ الأخلاقى مع أصل الحكم باسم "الدستور الدينى"... فالإنسان فاضل بطبعه يحكمه ضميره الحى.. و"الضمير" صفة إنسانية، وهبة إلهية يولد بها الإنسان.. وبها يدرك الإنسان الطيب من الخبيث... وعدم إخلال الإنسان بالقيم الأخلاقية، نابع من الطبيعة الخيرة التى يولد بها الإنسان، أى بسبب ضميره الحى.. وليس لأن "الله" حرم عليه فعل الشر أو عمل الرذيلة...

وبمعنى آخر، أصبح "الضمير الحى" أو "الواجب النابع من العقل" هو الحكم الفصل الذى فرضه الفرد على نفسه وعلى الآخر... وحل الحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى" محل الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى"... وأما "الدين الطبيعى" فهو: الدين الذى ألغى فكرة الإيمان بكل ما هو غيبى، وغير ملموس، أو غير محسوس، ولا تدركه العقول... وإن كانت هذه المبادئ تتعارض مع منهج "الفكر الدينى الإلهى" سواء الوثنى أو السماوى.. إلا أنها لم تخالف فكر عصر الحداثة، وما بعد الحداثة، والعولمة... فهى كلها مناهج إنسانية جديدة جذورها تعود إلى عصر النهضة الأوروبية الجديدة، وعصر التنوير.. وإلى مساهمات "إيمانويل كانت Immanuel Kant" (١٧٩٧-١٨٥٧م) الفلسفية، والذى أعلى من شأن فكرة: "البقاء للأصلح" -وفسرت للأقوى-.. ورأى أن فهم العالم ووضوحه لا يبدأ إلا عن طريق "المعرفة" أو "الملاحظة والتجربة".. فكل ما هو واقعى هو بالضرورة مادى أو محسوس.. ولا مكان فيه لعالم الغيب أو ما وراء الطبيعة-الميتافيزيقا-، والأخيلة، والأوهام، والأحلام...

وإذا ما عدنا بتاريخ الإنسان الجديد إلى الوراء، نتذكر طلب (بنى إسرائيل) من كليم "الله" النبى الرسول موسى عليه السلام أن يروا الله جهرةً، تصديقاً لقول الله تعالى فى الآية: ٥٥ من سورة: البقرة: [...يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...]، وحينما

جاءهم سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام عنتوا ولم يؤمنوا بالنبى الرسول عيسى عليه السلام وبمعجزاته المادية واللامادية.. وطلبوا منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء.. ويقول الله جل شأنه عن هذه المعجزة في الآيات: ١١٢-١١٣ من سورة: المائدة: [...إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ...]، وكانت هذه المائدة هى "العشاء الأخير" لنبى الله عيسى بن مريم عليهما السلام...

ثورات و أزمات

وحينما فشلت ثورة الرومانسية العاطفية على الواقع تحت مظلة حكم الطبقة البرجوازية الجديدة، أخذت المعايير الأخلاقية تتغير من خلال نظرة الإنسان الجديد إلى الكون وعالمه الأرضى المادى.. واستطاعت "الداروينية" نسبة إلى "داروين Darwin" ١٨٨٢-١٨٠٩م) ، صاحب نظرية: "التطور أو الارتقاء والنشوء"، والبحث فى أصل الأجناس، أن تثبت للإنسانية كافة أن سبل النهضة بالإنسان الوليد الجديد هى "العلم"، وأن فهم العالم يجب أن يبدأ بالكشف عن حقيقة الإنسان، ومن محاولة السيطرة على الطبيعة، لأن الإنسان جزء من الطبيعة الحية.. وهو كائن طبيعى مثله مثل الكائنات الحية الأخرى على الأرض الطبيعية... إلا أن الإنسان يتميز بقدرات أعلى شأناً من الكائنات الطبيعية الأخرى.. وتميزه الأكبر منها جاء من واقع قدرته الخاصة على التعلم، وسعيه الدائم نحو السيطرة، ليس فقط على الطبيعة، بل وعلى الكائنات الحية الأخرى "الضعيفة"... وأثبت الفيلسوف الألمانى" نيتشه Nietzsche" ١٩٠٠-١٨٤٤م) فى كتابه: "إرادة القوة" إمكانية ظهور إنسان آخر جديد قادر على الفعل أسماه: "الأوبرمان übermensch" ، بالألمانية.. أو "السوبرمان " Superman بالإنجليزية، أى الإنسان الكامل أو الأعلى فى الترجمة العربية!!!

وجاءت "الماركسية" نسبة إلى "ماركس Marks" ١٨٨٣-١٨١٧م). الذى رأى أن الكنيسة ورجالها دائماً ما تتحالف مع الرأسمالية، وعلى الدولة أن تسيطر وتنظم موارد إنتاجها.. فالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج كانت سبباً مباشراً فى صراع الطبقات.. بعد زيادة الفوارق الاجتماعية بين من يملك.. ومن لا يملك.. بين الفلاحين وأصحاب الأراضى.. وبين العمال وأصحاب الأعمال... واشتدت الأزمة اشتعالاً باندلاع الحروب، ليس بين الدول وبعضها البعض وحسب.. بل وبين الشعوب والأقوام داخل البلد الواحد... وبدأت تظهر

الحركات، والاتحادات، والنقابات العمالية المختلفة من أجل حماية مصالح وحقوق الطبقات العاملة المختلفة.. وهى التى لم يعترف بها حكام دولها إلا بعد نضال وكفاح.. بأسلوب سلمى حيناً، وعنيف حيناً آخر.. فلم تعترف بلد مثل (فرنسا)- مثلاً- بمشروعية الإضرابات العمالية إلا فى عام (١٨٨٤م)...

ويصل الصراع الإنسانى الجديد إلى قمته فى عصر التصنيع.. ومع مآسى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) التى تخللتها ثورة أكتوبر من عام(١٩١٧م)، والمتوجة بانتصار "البُلشفية Bolshevik"- الأكثرية أو الأغلبية- الروسية... والتى تغير معها العالم، فشهد النكسة الاقتصادية الأولى عام(١٩٢٩م).. وما أن بدأت حكومات الدول الأوروبية فى الحد من نزاعاتها الحربية، والبحث عن تحالفات شرعية وغير شرعية.. سياسية، واقتصادية، واجتماعية.. إلا وتمر بأزمة أشد من الأولى: حرب عالمية ثانية بين أعوام (١٩٣٩-١٩٤٥م)... وبانتهاءها انتهى عصر الديكتاتورية الفردية.. ولم يعد البعد الجغرافى السياسى، ولا السكانى، ولا الثقافى عائقاً أو مانعاً فى إعادة رسم خارطة الأرض ومن عليها... وخاصةً، بعد أن أصبحت "العولمة Globalization" هى شعار النهضة الجديدة والمعاصرة..[٢٥] وصارت واجبة النفاذ من أجل تأمين وحماية رأس المال... وعملاً على إعادة تجميعه لم يعد قرار الحرب قراراً فردياً تنفرد به دولة دون أخرى.. بل صار قراراً جماعياً.. وتحت مظلة منظمة إنسانية عالمية كهيئة الأمم المتحدة (UN) ومجلسها الأمنى، وهى المنظمة الدولية العالمية التى تأسست فى(٢٤/ ١٠/ ١٩٤٥م) بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، واستسلام الحكم النازى فى(٢٦/ ٦/ ١٩٤٥م)... وحرص الإنسان الجديد على أن يحمل قرار الحرب والسلام -على حد سواء- شرعية دولية جماعية، وخاصةً بعد أن حلت "العولمة" محل الحروب التقليدية، والقوى الاستعمارية الكبرى...

إحياء شعار.. ونصب صوان

لقد قاربت "العولمة والثورة الصناعية التكنولوجية الحديثة" بين الناس على المستويين: "الزمانى والمكانى"، بعد أن أصبحت الحدود الجغرافية لأوطان الشعوب والقبائل مفتوحة على نفسها، وعلى الهجرات الشرعية وغير الشرعية... وساهم حلم الوحدة الأوروبية فى تغير الخارطة الجغرافية السكانية الأوروبية... وسقوط جدار برلين فى (٩) أكتوبر(١٠) عام(١٩٨٩م)، ووحدة الألمانيتين -الشرقية والغربية- فى (٣) أكتوبر(١٠) من عام(١٩٩٠م) ... والقضاء على حالة اللاحرب أو الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية USA وحلفائها من جهة، وروسيا الاتحادية RUS من جهة أخرى... وانهيار القوى الشيوعية أو

الأممية الشيوعية فى العالم أجمع تقريباً بعد سقوط الاتحاد السوفيتى SSSRعام (١٩٩١م)...

إلا أن عودة الإنسان الوليد الجديد -المتعولم- إلى الاهتمام شيئاً فشيئاً بالدراسات العلمية والإنسانية التى تؤكد على"التنوع الإثنولوجى الثقافى Multy Ethno Culture" للجماعات العرقية أو الأقليات، سواء داخل حدود أوطانها الجغرافية السكانية أو خارجها -أوطان أخرى انتقلت أو هاجرت إليها- هى "عودة علمية غير حميدة".. إذ لم يكن يوماً إذكاء روح الشعوبية أو القومية العرقية أو الجنسية بين الناس شعوباً وقبائل إلا نوعاً من إحياء "العنصرية"، والتى يتبعها دائماً خراب، ودمار، وبحر من الدم... وقد عانت القارة الأوروبية شعوباً وقبائل من ويلات الحرب اليوغسلافية (١٩٩٢م)، والتى قسمت الوطن الواحد تقسيماً إثنياً أو عرقياً.. أى متعدد الأجناس"Multy Ethno"... وربما سيظل "إقليم كوسوفو"، ومدينة "سراييفو" فى "البوسنة والهرسك"، شاهداً على خطورة اللعب على نغمة الاختلافات العرقية الإثنية.. فقد أكد الخوف من أسلمة القارة الأوروبية -الإسلام فوبيا -Islam Phobia على أهمية الاستمرار فى الدعوة إلى مواجهة أن يصبح حلم "البانيا الكبرى" ذات الغالبية المسلمة فى أوروبا حقيقة، بجوار "تركيا"-العلمانية- ذات الغالبية المسلمة هى الأخرى... وكذلك مازال الخوف من تحقيق الحلم الآخر بوجود "صربيا الكبرى" ذات الغالبية المسيحية الأرثوذوكسية-البرافسلاف- السلاف- حقيقة أخرى...

وبمعنى آخر، إن "العزة القومية الإثنية"، أو رفع شأن جماعة عرقية دون أخرى بالمفهوم الإثنى، مرض يصيب المجتمعات الإنسانية.. ليس فقط بين الدول وشعوبها على المستويين السياسى والاقتصادى، بل وبين الناس على المستوى الاجتماعى داخل البلد الواحد.. وداخل القرية الواحدة.. وداخل المدينة الواحدة .. وبين الأحياء السكنية التى تحتفظ بتكتلات عرقية خاصة بمجموعة "إثنية" دون أخرى...

أطماع استعمارية أوروبية

وهكذا، لم تجمع الحضارة الأوروبية الجديدة بين حضارتين وحسب.. بل وبين ثقافات إنسانية متعددة.. وتحولت "الحرب المقدسة Holly War"، و"حرب الاسترداد "Reconquista إلى حملات عسكرية استعمارية Colonization على الأمة الإسلامية... نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام بين أعوام (١٧٩٨-١٨٠١م)... واحتلال فرنسا (للجزائر) عام(١٨٠٣م)... وتحول (تونس الخضرا) إلى محمية عام(١٨٨١م)، ووقوع مصر تحت الانتداب البريطانى عام(١٨٨٠م) على الرغم من وجود ملك مصرى هو

(الخديو توفيق ١٨٧٩-١٨٩٢م) حفيد "محمد على بك الكبير" سلطان مصر (١٨٠٥-١٨٤٨م) هذا الذى مرت مصر على يديه بفترة ازدهار، عرفت بين المحدثين باسم "عصر النهضة الجديدة"... وهو الذى كانت له بطولاته وغزواته.. على المستويين الحربى.. والسلمى.. والتنموى.. وقادت الحملات العسكرية المتبادلة بين طرفى الصراع قوى الشمال المسيحى، وقوى الجنوب المسلم إلى نزعة استعمارية... وإلى نوع من أنواع الاحتكاك الثقافى المتبادل... وخاصة بعد فشل مصر عسكرياً.. وبعد أن اكتشفت عدم قدرتها على مواكبة النهضة العلمية الإنسانية الأوروبية الجديدة... ثم، بدأت مصر تأخذ بركب المدنية المعاصرة.. التى اشتملت على إنجازات عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر: افتتاح (المطبعة البولاقية) عام(١٨٢١م)، وإنشاء خطوط السكة الحديد عام(١٨٥٢م)... وافتتاح (المتحف المصرى) عام(١٨٦٣م)، وافتتاح أولى المؤسسات التعليمية غير الدينية الجامعة الحكومية جامعة القاهرة الآن عام(١٩٠٨م)، وبداية البث الإذاعى المصرى عام(١٩٣٤م).. وغيره.. وكان من أهم إنجازات العصر افتتاح (قناة السويس) عام(١٨٦٨م)، على أيام (الخديو إسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩م).. التى لم يرغب فى حفرها السلطان (محمد على بك الكبير) والى مصر فى ذاك الوقت.. لأنها ستجلب الاستعمار لمصر، ولجنوب الأمة الإسلامية...

وكانت بالفعل سيادة مصر الكاملة على قناة السويس سبباً.. وحجة.. وتبريراً جديداً لإعلان الحرب على الأمة الإسلامية.. وعدوان الدول الثلاث: إنجلترا، وفرنسا، وإسرائيل.. على مصر عام (١٩٥٦م)، وصمدت مصر قرابة الثلاثة أشهر، منذ تأميم مصر للقناة يوم (٢٦/ ٧/ ١٩٥٦م).. ولم تتخذ مصر من نجاحها فى وقف العدوان الثلاثى سبباً وجيهاً، ليصبح يوم (عيد النصر) الموافق (٢٣/ ١٢/ ١٩٥٦م) عيداً قومياً.. وذكرى تحتفل بها مصر، والبلدان العربية الأخرى، وتعطل فيها الوزارات، وأجهزة الدولة، بهيئاتها ومصالحها الحكومية والخاصة.. إذ تعود أهمية هذا التاريخ (٢٣/ ١٢/ ١٩٥٦م) إلى أنه بداية النهاية لعصر الاستعمار والحماية والانتداب التقليدى الأوروبى لشعوب الأمة الإسلامية -العربية والمستعربة- التى انفرط عقدها، وانشغل كل شعب بحقه فى المواطنة داخل حدوده الجغرافية السياسية المصطنعة.. حتى أصبحت قوى الجنوب المسلم.. من مشرقها إلى مغربها.. مباحة.. وتطولها القوى العسكرية المعادية لها...

دولة يهودية أم دولتان

إن احترام وتقدير كل ما هو نبيل فى الفكر الإنسانى نابع من الاعتراف الإيمانى الكامل بكافة الأنبياء والمرسلين، والأديان والكتب السماوية... و يقول الله تعالى للعالمين عن

المؤمنين فى الآية: ٢٨٥ من سورة البقرة: [...آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ...]

و"أمة الإسلام" التى تنتسب ثقافياً إلى الحضارة الإسلامية، ليست مجالاً للدراسات الإنسانية "الإثنولوجية" التى تؤكد على وجود الاختلافات الثقافية الإثنية أو العرقية بين الناس أفراداً أو جماعات... كما أن الأخذ بمنهج " العولمة والحداثة وما بعد الحداثة"، لا يعنى أن نعود بمسيرة الإصلاح والتحديث إلى ذلك الاتجاه الذى سلكته القومية اليهودية.. إذ سعياً وراء حفاظها على بقائها ونقائها الإثنى: فرضت على نفسها "العزلة" بينها وبين شعوب أوطانها التى تنتمى إليها.. حتى أصبحت "العزلة" مثار فخرها، وسر نجاحها فى نشأة دولتها "العنصرية إسرائيل"، التى جمعت أناساً أو شتاتاً من بلدان "العالم The Globe" وزرعت غصباً واحتيالاً جنوب القارة الأوروبية، بين شعوب وقبائل الأمة الإسلامية جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط... ونجحت القوى اليهودية فى أن تفرض على قوى شمال حوض البحر الأبيض المتوسط ذات القوة، والبأس، والسطوة قرارها الفعلى الذى اتخذته أعوام(١٨٨٢م) و(١٨٩٧م)، بشأن فرض وجود وطن قومى يهودى إسرائيلى على أرض الميعاد "فلسطين"... وحصلوا على شرعية دولية قانونية منذ صدور التصريح المعروف باسم "وعد بلفور" فى(٢/ ١١/ ١٩١٧م)، وأقرت "عصبة الأمم المتحدة" منح المملكة البريطانية– التى لا تغيب عنها الشمس– حق الانتداب على فلسطين فى (٢٤/ ٧/ ١٩٢٢م)... وانتهى عصر الانتداب البريطانى على فلسطين، وتم إعلان وثيقة الاستقلال وقيام دولة إسرائيل –اليهودية– فى (١٥) مايو(٥) من عام(١٩٤٨م).. على الرغم من وجود كيان إثنى يهودى منعزل داخل كل الحدود الجغرافية السكانية لكل دولة من دول العالم... ونخص بالذكر الكيان الإثنى اليهودى القائم منذ (٢٨) مارس (٣) من عام(١٩٢٨م) وإلى الآن داخل حدود دولة "روسيا الاتحادية" وهى منطقة حكم ذاتى مستقل يهودى، ومركزها مدينة: "بيروبيدجان Birobidjan"، التى تقع شرق "سيبيريا الروسية Siberia"، وبسبب الهجرات الشرعية وغير الشرعية منها، صاروا هم الأقلية! إذ لم يرضى اليهود (الأشكناز) بسبب البرد السيبيرى القارص، العيش على هذه الأرض.. كما أن اليهود لا يسكنون إلا المناطق الخصبة الغنية بمصادر المياه، وذات الثروات الطبيعية الغنية.. ولا يعملون فى المهن الجسدية الشاقة...

وشيئاً فشيئاً، أخذت فى الزيادة الهجرات الإثنية اليهودية إلى أرض فلسطين، وبمساندة من قوى الشمال المسيحى الأوروبى دخلت (إسرائيل- الدولة) فى حروب مع قوى الجنوب المسلم.. توجت (بحرب الاستقلال) عام (١٩٤٨م) !!! و(حرب الغفران) عام (١٩٦٧م)، واللتان مثلما كانتا "نكبة" على الأمة الإسلامية العربية، كانتا سبباً فى عودة الانتصارات فى "حرب الاستنزاف"، و"حرب السادس (٦) من أكتوبر(١٠) من عام (١٩٧٣م)، وتوقيع "مصر" منفردة "معاهدة السلام" مع (إسرائيل) عام (١٩٧٩م)، بعد الزيارة الجريئة، غير المتوقعة للرئيس المصرى القائد: "محمد أنور السادات" (١٩١٨-١٩٨١م) إلى عقر دار الدولة اليهودية "إسرائيل" عام(١٩٧٧م).. والتى كانت بمثابة اعتراف غير علنى بأحقية "إسرائيل" فى الوجود كدولة يهودية على أرض فلسطين...

إسرائيل تسطو على الأرض والفولكلور

وعلى الرغم من حالة السلم بين مصر وإسرائيل الآن، إلا أن دولة (إسرائيل) مازالت حزينة على خروج جيشها من أرض سيناء؛ بعد احتلال دام لها (١٥) خمسة عشر عاماً (١٩٦٧م-١٩٨٢م)، وعلى استرداد مصر لآخر شبر من أراضيها (طابا) عام (١٩٨٩م) عن طريق التحكيم الدولى... ولن تنسى (إسرائيل) حلم "تيودور هرتزل Theodor Herzl" (١٨٦٠-١٩٠٤م) - مؤسس الحركة الصهيونية من أجل إنشاء وطنى قومى لليهود- ألا وهو مشروع توصيل (مياه النيل) عبر أنابيب من تحت (قناة السويس) أو فوقها.. على أن يتم استجلاب طمى النيل من أراضى الدلتا إلى شبه جزيرة سيناء، حدود مصر الجغرافية الطبيعية من جهة الشرق.. والتى كان يرجو لها "هرتزل" أن تصبح وطناً للشتات اليهودى فى العالم...

وسعياً وراء إضفاء الشرعية على الوجود القومى اليهودى على أرض فلسطين، اتبع الصهاينة كافة السبل الشرعية وغير الشرعية التى تحفظ لها بقائها، ونقائها، وهويتها (الإثنية اليهودية) بين شعوب الدول الإسلامية -جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط- ونسبت التراث والمأثور الشعبى العربى عموماً، والفلسطينى بصفة خاصة، إلى أبناء الدولة الوليدة (إسرائيل)... على الرغم من أن اليهود شعب يحترف تجارة المال، وتوظيفه ربوياً.. ولا يمارس المهن والحرف اليدوية الشاقة... وإذا برسومات (الكانفاه) الفلسطينية الشعبية هى رسوماتهم.. والأكلات الشعبية الفلسطينية (كالفلافل) هى أكلاتهم.. والرقصات الفلسطينية (كالدبكة) هى رقصاتهم... والموسيقى الشعبية هى موسيقاهم.. والألعاب الشعبية هى ألعابهم.. وغيره.. وغيره.. وطمعاً فى إعطاء شرعية لوجودهم المحتل.. ولتبرير

وجودهم فى الشرق.. وكثرة حروبهم مع القوى العربية الإسلامية زايدوا على العالم وقالوا: إنهم هم بناة الأهرام فى زمن كانوا عبيداً على أرض مصر القديمة... وزادوا على ذلك وقالوا: إنهم طردوا من مصر، وإنهم رواد الاقتصاد، والغناء، والموسيقى، والمسرح والسينما فى مصر الحديثة ، وجنوب حوض البحر الأبيض المتوسط.. عملاً بحكمة تجرى بين الناس مجرى الأمثال: (إنْ عشقت اعشقْ قمرْ وإنْ سَرَقت اسْرَقْ جَمَلْ)...

وما زالت (إسرائيل) الدولة الإثنية اليهودية، تحاول التأكيد على تواصل أجيالها داخل وخارج حدود الدولة الوليدة.. متخذين ليس فقط من فكرة أن الفولكلور تراثاً ومأثوراً هو تاريخ ثقافى وحضارى، قيمته فى البقاء حياً بين الناس؛ وإنما متخذين أيضاً، من "منهج التفكير الإثنولوجى" وسيلة، وطريقة لإثارة الاضطرابات والفتن بين الشعوب والأقوام غير اليهودية.. فقد فرقهم الله جل شأنه فى الأرض فرقاً متعددة-اثنتى عشرة قبيلة- واختاروا العيش فى عزلة... وبرعاية، وحماية شعوب وقبائل القارة الأوروبية صنعت (إسرائيل) نفسها، وأصبحت كـ دولة يهودية من القوة والبأس وعلو الصوت دولة شعبها.كله مدجج بالسلاح!!!

وبمعنى أخر، سواء داخل أم خارج الأرض الجديدة (إسرائيل) نسبت القومية الإثنية اليهودية لنفسها فولكلور الشعوب والقبائل على اختلاف أعراقهم، وأجناسهم ولم تعترض دول القارة الأوروبية على سرقة اليهود للتاريخ والتراث حماية لمصالحها... وبذلك ضربت عصفورين بحجر واحد: إذ استطاعت أن تحد أولاً من الوجود الإثنى اليهودى غير المرغوب فيه داخل حدود أوطانها الجغرافية السياسية، وثانياً: نجحت فى الحفاظ على كيان الدولة الوليدة (إسرائيل)، التى زرعت فى قلب الأمة الإسلامية -جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط- لتعوض (إسرائيل) ما فقدته قوى الاستعمار الأوروبى المسيحى فى الشرق المسلم!!! وكلما حاولت قوى الجنوب المسلم العربى التأكيد على هويتها الثقافية والحضارية.. كلما خشيت قوى الشمال المسيحى من أسلمة قارتهم الأوروبية.. وبذرت نار الفتنة بين شعوب وقبائل الأمة الإسلامية.. وحرصت على حماية الغازى ودعمه فى السر والعلن.. وأصبح الدفاع عن الأرض عدواناً وإرهاباً.. عربياً تارةً.. وإسلامياً تارة أخرى!!!

إن أزمة الأمة الإسلامية جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط ليست فقط فى ثقافتها الإسلامية، ولا فى البحث عن هُوية ثقافية حضارية، ولا فى عولة التحديث والإصلاح، ولا فى الاعتراف بالكيان الإسرائيلى اليهودى على أرض فلسطين، وتطبيع العلاقات العربية الإسلامية والإسرائيلية، والرضا بتدويل القدس، أو تقسيمها إلى "شرقية" لتكون عاصمة

للدولة الفلسطينية، و"غربية" لتكون عاصمة للدولة الإسرائيلية اليهودية.. أو تصفية القضية الفلسطينية.. أوخيار الأردن بديلاً للدولة الفلسطينية.. أو ضم الضفة الغربية لـ الأردن وعودة غزة لـ مصر!!! إننا نتحدث عن خيارات للبعض قديمة وللبعض الآخر حديثة، وعن استغلال إمكانية إعادة خارطة تقسيم الحدود الجغرافية للبلدان الواقعة جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط لصالح قوى خارجية ذات بأس وقوة.. وتخدمها قوى أخرى داخلية فاسدة.. ولا يشغلها فكرة عودة الانسجام بين أنظمة حكم دول الأمة الإسلامية...

وكذلك، نرى أن الأزمة الحقيقية بين الدول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط ترجع إلى عدم الوعي بأهمية وقف التقاتل الجغرافي السكاني بين قوى الجنوب المسلم، وإعادة الثقة فيما بينهم، وخاصة من بعد معاناتهم من الغزو العراقي لجارتها الكويت في (٢/ ٨ /١٩٩٠م)، ودخول القوات الأمريكية USA وحلفائها العراق في (٩/ ٤/ ٢٠٠٣م) باسم "الديمقراطية والحرية"، وبمباركة من بعض الدول العربية، وتحت مظلة دولية معتمدة، ومشمولة بموافقة أعضاء هيئة الأمم المتحدة UN ومجلسها الأمني!!!

ولنا هنا الحق في أن نسأل أنفسنا: هل نجحت "الفوضى الخلاقة Creative chaos" في إثارة الفتنة بين الشعوب الإسلامية داخل أوطانها وخارجها؟! وهل من الممكن فعلاً أن ينشأ النظام الجديد للدولة الوطنية الحرة من الفوضى الخلاقة؟! وهل من الممكن إنهاك القوى السياسية الإسلامية والقضاء على وجودها بعد تمكينهم من الظفر بسلطة الحكم؟!

للإجابة على مثل هذه الأسئلة نقول:

إن شجاعة الأبطال في السادس (٦) من أكتوبر (١٩٧٣م) هي التي وصلت بنا إلى السلام والراحة.. ولكن حينما ظن الشعب أن الدولة المنتصرة الحديثة قادرة على تحقيق أحلامه.. أجهضت فرحته بالانتصار.. ولم يعد قادراً على الفعل... مما نتج عنه نوعاً من الفوضى والخراب والدمار!!! وسعى رجال من الدولة وراء الخروج عن مكانتهم الاجتماعية صعوداً!!! وحفاظاً على مكتسباتهم الجديدة.. روجوا على المستويين الداخلي والخارجي لفكرة الخوف من ظهور الدولة الإسلامية!!! وهي الفكرة التي تدعمها المؤسسات الدولية وريثة الثقافة الأوروبية المسيحية الرومانية اليونانية وتشاركهم في الدعوة لها...

ومع ازدياد الأصوات الداعية إلى الديمقراطية ولمزيد من الحريات.. والأخذ بمبادئ حكم الدولة الحديثة التي يدعمها نظام حكم عَلْمَانِي يُعْنَىَ بشئُون الدنيا.. لم يفرق عديد من الناس بين البرنامج الانتخابي للمنظمات الاجتماعية والأحزاب السياسية من جهة.. والأسس القانونية للحكم في الدولة الإسلامية.. أو منهج بناء الدولة الإسلامية والحكم وفق

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من جهة أخرى... وأن الدولة الإسلامية كما سبق ووضحنا، ليست دولة دينية ولا دولة رجال دين.. فالإسلام لم يدعو إلىٰ سيطرة رجال الدين على نظام حكم الدولة الإسلامية... والتوازن بين السلطة الدينية والدنيوية هو: توازن بين السلطات الدستورية التشريعية والتنفيذية والقضائية... وقد كرم الله تعالى الإنسان فى الحياة الدنيا.. وجعل الأمرِ شُورى بين الناس... و"الشُورى" هى التشاور على أمر.. والمَشُورة هى: ما يُنْصَحُ به من رأى وغيره... والله تعالى يسمى أحد سور القرآن الكريم باسم "الشُورى".. كما يربط الله جل شأنه بين "الشُورى" والشهادة والصلاة والرزق.. إذ يقول الله تعالى فى الآية: (٣٨) من سورة الشُورى: [..وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ...]

وإن "الديمقراطية Democracy" تعنى حكم الشعب لنفسه.. وهى كنظام حكم تستند على سلطة الأغلبية.. وتحمى حقوق الأفراد والأقليات... وقد يبدو للبعض خطأً أن الديمقراطية التى تتيح مشاركة الأغلبية فى سلطة اتخاذ القرار تتعارض مع "الشُورى" كنظام حكم للدولة الإسلامية!!! بينما الله تعالى يدعو إلى تبادل الرأى.. وطلب الحكم أو النصح أو المشورة من أهل العلم والرأى والحكمة.. وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال: (ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم...)

خلاصة القول:

إن السياسة خدعة.. و"الفوضى الخلاقة" مصطلح سياسى يعود إلى عهد "ميكيافيللى" فى القرن السادس عشر الميلادى.. ويهدف إلى خلق نوعاً من الفوضى التى تصل إلى حد إشعال الفتن بين الناس، وإثارة النعرات القومية–الإثنية–، وترويع الآمنين فى المناطق التى يحاول فيها القوى بسط نفوذه على الآخر.. بدعوة محاولة بناء مجتمع فاضل.. بينما فى حقيقة الأمر هو يظهر لنا عكس ما يبطن... والفلاح الفصيح المصرى قال فى الأمثال كلمة هى كلها حكمة: (المخفية تكسر المحرات)– وفى اللهجة المصرية عادة ما ينطق صوتياً حرف الهجاء الثاء (ث) إلى حرف التاء (ت)–

الخاتمــة

طابع العولمة

إن منهج "العولمة Globalization" هو الامتداد الحقيقي لفكر عصر النهضة الأوروبية " Renaissance رينيسانس"، الذى ساهم فى صنع إنسان آخر جديد قادر على الفعل.. فعلى المستوى الفردى -مثلاً- تفوق الإنسان الجديد المتعولم على نفسه، وجرى مسافة المائة متر (١٠٠م) فى المسابقات الرياضية الجماهيرية في زمن أقل من العشر ثوان... بينما على المستوى الجماعى، استطاع العمل على إرساء نظام عالمى شامل، وقائم على توازنات متلاحمة سياسياً.. واقتصادياً.. وعسكرياً.. وبمعنى آخر، توازنات متعددة، ومتكاملة بين دولٍ.. وأسواقٍ مالٍ.. وشعوب وقبائل متنوعة إثنياً... كان طابعها الثقافى والحضارى فى يوم ما وثنى.. ثم صار مسيحيًا... وفى زمان ما.. ومكان ما.. ومع علو شأن الذات الفردية -أنا الفرد- استطاع الإنسان الجديد القادر على الفعل أن يصنع حضارة مجتمعه، ومدنيته الجديدة بعيداً عن عالم الآلهة وأنصاف الآلهة... بل تمادى وأنكر حقيقة وجود الله الخالق.. واتخذ الإنسان الوليد الجديد من مبدأ الحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى"، والمناهج الفكرية الإنسانية التى تهدف إلى التحرر من كافة القيود السلطوية الدينية أداة أو وسيلة لنهضته المعاصرة الشاملة.. إذ تمثل: البراجماتية.. الرأسمالية.. العلمانية.. الوجودية.. الراديكالية.. الليبرالية.. الاشتراكية.. الشيوعية..

العولمة.. الحداثة.. ما بعد الحداثة.. وغيره.. اتجاهات أو تيارات فلسفية قد نادى بها أفراداً فحكمتهم.. وحكمت الناس أفراداً وجماعات.. قادةً وشعوباً...

وقد كادت تستنفذ الدراسات الفولكلورية أهدافها وأغراضها العلمية والإنسانية فى عصر العولمة، والثورة التكنولوجية المعلوماتية.. وخاصة مع ازدياد الدعوة إلى الاهتمام بالدراسات الإثنية ذات الطبيعة أو الصفة الإنعزالية...

بل ولم تعد فكرة "صراع الحضارات" أو "صدام الحضارات-Clash of Civiliza-tions" التى روج لها عام (١٩٩٣م) "صامويل هنتنجتون Samuel Huntington" ١٩٢٧-٢٠٠٨م) مناسبة لمن يدعو إلى إلتقاء أو تواصل أو حوار الحضارات أو الثقافات أو الأديان فى زمن التحالفات، والدعوة إلى السلام، ومكافحة الإرهاب العالمى-الدولى-.. ومهما حسنت النوايا بين الساسة، ورجال الدين، والمثقفين، ومن فى ركابهم من العامة والخاصة، فإن الدعوة إلى الحوار بين الشعوب والقبائل ليتعارفوا، يجب ألا تكون أحادية الجانب.. لأن "الحوار": لغة خطاب وتفاهم بين اثنين أو أكثر.. وكى لا تزداد الكراهية، والعداوة، والبغضاء بين الناس في الأرض، يجب أن يكون "الحوار" بين قوتين متساويتين.. أو ما بين قوى متعددة ولكن متساوية فى القوة كى لا تختلف، ولا ينشب بينها صراعاً... إذ إن "سوء الفهم" بين اثنين أو أكثر يؤدى إلى "سوء التفاهم"، و"الإختلاف والصراع" بين الناس أفراداً و جماعات...

ومن ثم، أولى خطوات التعايش السلمى بين الدول وشعوبها... أن يبدأ "الحوار" بين أولياء الأمر.. وكذا، التربية والتعليم داخل المنزل وخارجه، والعمل بمبدأ: "المجادلة بالتى هى أحسن"، وفق قول الله تعالى فى الآية: ٢٩ من سورة الكهف: [...فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...]، وهذا هو المنهج الذى بالضرورة يجب أن تبنى عليه المجتمعات الإنسانية حضارتها.. والذى يمهد إلى فهم الأنا للأنا.. والأنا للآخر.. والآخر للآخر...

وخالقهم بخلق حسن

لقد مضت على شعوب وقبائل الأمة الإسلامية، التى تشهد بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" خمسة عشر قرناً من الزمان الأرضى.. وأمة الإسلام هى التى تؤمن بكتاب الله عز وجل "القرآن الكريم"، وسنة خاتم النبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام... وتعلم أن كلمة "الله" العليم، العزيز، الحكيم.. هى العليا والحكم الفصل بين الناس فى الأرض... وكذا الأقوال والأحاديث النبوية الشريفة... وصدق الله العظيم القائل فى الآية ١٣٨ من سورة البقرة: [...صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ

عَابِدُونَ...]، ووصى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمته وقال: (اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن...)

وكان "اليقين الإيماني" بالله تعالى والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين الناس سبباً رئيسياً وهاماً فى فشل من شكك بمكانة وقيمة الفعل والعمل بمنهج الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى الإسلامى"، ومشى مع التيارات الفلسفية الإنسانية الوضعية.. ودعى إلى الحكم باسم: "الحق الدينى الطبيعى"... ومن المؤكد أن سوء الإعلام والإعلان عنها بين الناس، وعدم الإدراك المعرفى الواعى لها، وخطأ المساواة أو المقارنة بينها وبين قوة منهج الحكم باسم:"الحق الدينى الإلهى الإسلامى": من أحد أهم الأسباب الدالة على سوء أوضاع بلادنا وضعفها، فهما قوتان غير متساويتين، ومتضادتان فى الاتجاه... إذ إن "الدين الطبيعى الوضعى" -الذى وضعه بشر- هو: "الدين" الذى ألغى فكرة الإيمان بكل ما هو غيبى، وغير ملموس أو محسوس، ولا تدركه العقول!!! وهذه مبادئ فلسفية إنسانية لا تتفق مع مبادئ الحكم باسم: "الحق الدينى الإلهى الإسلامى"... فالناس فى الإسلام: هى التى تؤمن بكل ما هو مادى.. وما هو روحى وغيبى -لا مادى-... وهم أولئك الذين يؤمنون بوحدانية الله تعالى، وبأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين.. وأن الله عالم الغيب والشهادة، قد خلق كل شيء بمقدار.. ورضا الناس بالقضاء والقدر.. وعذاب القبر.. وثواب الآخرة.. أو الجنة والنار.. -على سبيل المثال لا الحصر- جزء لا يتجزأ من الإيمان اليقينى بالله ورسوله... و"الإيمان" هو: ما وقر فى القلب، وأقره اللسان، وصدقه العمل... إنه هبة من الله تعالى خص بها المخلوق، وصدق الله العظيم، الذى يقول فى الآية: ٧ من سورة: الحجرات: [...وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...]، ويشير "إيمان المسلم" إلى الثقة، والاطمئنان، والأمن، والأمان، والإذعان، والتصديق بكتاب الله: "القرآن الكريم"، والعمل بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد -عليه أفضل الصلاة والسلام- وتؤكد ممارسات الناس الحياتية على تكاملهم وانسجامهم ثقافياً... ومقياس "حضارة" شعب من الشعوب أو أمة من الأمم فى جمعها بين "الثقافة والمدنية"...

كلمة أخيرة

إن البنية التركيبية الثقافية الدالة على هُوية شعب ما أو أمة ما لا تأتى عن طريق الهوى.. والخضوع لسلطة قانون "الدين" للناس المفطورة على عبادة "الله" هو خير وسيلة للبقاء حياً.. فـ"الإسلام" هو: "الانقياد لله"، بعبادته وقبول شريعته وقانونه.. وبأمر من الله

جل شأنه واجب على المسلم الأخذ بأحكام الدين من الكتاب "القرآن الكريم" الذى نزل منذ خمسة عشر قرناً بالحق على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم...

و"المسلم" الذى شهد بشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".. هو من آمن بآيات بينات، نزلت لتكون للناس "حكماً عربياً".. ولم يدخر جهداً فى حفظها شفاهة وتدويناً منذ خمسة عشر قرناً...وصدق الله العظيم، الذى يقول في الآية: ٥٠ من سورة: المائدة: [...وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً...]، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: (الحكمة ضالة المؤمن)...

و"التقوى" للذين قالوا: ربنا الله، والذين يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وقنا عذاب النار هى: خشية الله تعالى، والامتثال لأوامر الله -جل شأنه- واجتناب نواهيه، والسعى نحو إخماد نار الفتنة بطاعة الله والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. كى يكسب الدنيا ويفوز بالآخرة.. فالإنسان خلق من طين.. والشيطان خلق من نار.. وبقدرة الإنسان على الفعل والعمل.. واليقين الإيمانى يستطيع الإنسان هزيمة الشيطان... وكان هدف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "أن يتمم مكارم الأخلاق".. إذ يثنى الله تعالى على خلق النبى الرسول سيدنا "محمد" عليه أفضل الصلاة والسلام، ويقول فى الآية: ٤ من سورة القلم: [وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ...]، هذا هو النبى الرسول صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين، الذى نصح الأمة وقال: (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)... كما وصف خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمة الإسلام قائلاً: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً)... وشبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالجسد الواحد وقال: (ومثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى...)

وما أردنا بكتابنا هذا "نظراتٌ فى الثقافة الشعبية والهُوية" إلا خيراً للناس.. فنحن من صدق ويجاهد أن يعمل بقول الله تعالى فى الآية ٨ من سورة هود:[...إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ...]

الهوامش

١- انظر لمزيد من المعلومات:

أ - رشدى صالح: الفنون الشعبية. المكتبة الثقافية (٣٤) -دار القلم- القاهرة- أول أبريل ١٩٦١م.

أ- صفوت كمال: مدخل لدراسة الفولكلور الكويتى: وزارة الإعلام الكويتية- الكويت- ط٣- ١٩٨٦م.

ب- فوزى العنتيل: الفولكلور ما هو؟ دار النهضة العربية - القاهرة- ب.ت.

٢- راجع لمزيد من التفصيلات

١- فردريش فون دير لاين. -الحكاية الخرافية- نشأتها- مناهج دراستها- فنيتها ترجمة: د. نبيلة إبراهيم: دار القلم- بيروت- لبنان- ط١- نيسان، أبريل ١٩٧٣م.

٣- انظر لمزيد من التفصيلات:

أ - د. محمد الجوهرى: -علم الفولكلور:-جـ١ -الأسس النظرية والمنهجية- دار المعارف- ط٤ - ١٩٨١.

ب - ريتشارد دورسون: نظريات الفولكلور المعاصرة: ترجمة: د. محمد الجوهرى، د. حسن الشامى- ط١- دار الكتب الجامعية- القاهرة- ١٩٧٣م.

ت - فوزى العنتيل: الفولكلور ما هو؟ - مرجع سابق.

٤- راجع لمزيد من التفصيلات: د. محمد الجوهرى: علم الفولكلور- جـ١- مرجع سابق: (ص٥٧- ص٨٦)

٥- وكان قد صدر قرار إنشاء المعهد العالى للفنون الشعبية فى مصر عام (١٩٨١م)، على أن يتبع معاهد أكاديمية الفنون.. ويضم إليه مركز دراسات الفنون الشعبية.. وكان قد تم نقل تبعية مركز الفنون الشعبية الذى انشئ عام (١٩٥٧) إلى أكاديمية الفنون، مع تغير اسمه إلى: «مركز دراسات الفنون الشعبية عام (١٩٧٥) وبدأ المعهد بمرحلة الدراسات العليا- دبلوم- ماجستير- دكتوراة- فى حين بدأت مرحلة البكالوريوس اعتباراً من العام الدراسى الأكاديمى (٢٠٠٨-٢٠٠٩م).. علماً أن معاهد أكاديمية الفنون تعتمد فى مقرراتها الدراسية على المواد التطبيقية والعملية بجانب النظرية... ومن ثم،"Academy of Arts"هى الترجمة الإنجليزية الصحيحة للموسسة التعليمية المصرية: أكاديمية الفنون...

أما الترجمة السليمة للمعهد العالى للفنون الشعبية من العربية إلى الإنجليزية فهى: The Higher Institute of Folk arts لأن كلمة Folk arts هنا هى صيغة الجمع فى اللغة الإنجليزية لكلمة "Folk art" والحرف الإنجليزى (S) هو الدال على أن الدراسة فنية تطبيقية، عملية.. قبل أن تكون نظرية .. ويفترض أن يكون المعهد العالى للفنون الشعبية بأقسامه الفنية الشعبية التالية:

١- قسم: الرقص الشعبى. ١- Folk dance.
٢- قسم: الموسيقى والغناء الشعبى. ٢- Folk music and songs.
٣- قسم: الثقافة المادية والتشكيل الشعبى. ٣- Folk arts and Crafts.
٤- قسم: الأدب الشعبى. ٤- Folk literature.
٥- قسم: المسرح الشعبى. ٥- Folk theatre.
أى : الدراما المسرحية الشعبية Folk theatrical drama.
وتمنح أكاديمية الفنون Academy of Arts الدرجات العلمية العالمية التالية:
بكالوريوس - ماجستير - دكتوراة
وعلى الرغم من عدم الاهتمام بصحة ترجمة الشهادات من الإنجليزية إلى العربية والعكس من العربية إلى الإنجليزية تمنح أكاديمية الفنون الشهادات العلمية التالية:
أولا: درجة البكالوريوس:
١- بكالوريوس فى الفنون B.A. = Bachelor of Arts
أم: بكالوريوس فى علوم الفن B.Sc.= Bachelor of Art Sciences
ثانيا: مرحلة دبلوم الدراسات العليا: Diploma in highest Studies
ثالثا: درجة الماجستير:
١- ماجستير فى الفنون M.A.= Master degree of Arts
أم: ماجستير فى علوم الفن M.Sc.= Master degree of Art Sciences
رابعا: درجة الدكتوراة التى لنا معها وقفة خاصة:
١-درجة الدكتوراة. Doctorate = The highest degree
٢- حامل الدكتوراة. PH.D. = Doctor of Philosophyì PH
أى (دكتور في الفلسفة)
أما فى اللغة الإنجليزية: PH. D.= in Arts
فنترجم إلى العربية:
"دكتور الفلسفة فى الفنون"...
بينما عن الإنجليزية : PH.D.= in Art Sciences
فنترجم إلى العربية:
"دكتور الفلسفة فى علوم الفن"...
مع ملاحظة، إمكانية كتابة التخصص العام والدقيق بعد منح مسمى الدرجة العلمية...
٦- راجع لمزيد من التفصيلات:
شلدون تشينى: تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة: ترجمة: درينى خشبة- مكتبة الأداب- (ب.ت)
وانظر لمزيد من المعلومات:
١- د. عبد الحميد يونس:
أ - التراث الشعبى: سلسلة كتابك (٩١): دار المعارف- مصر (ب.ت)

ب - الأسطورة والفن الشعبي:المركز الثقافي الجامعي:مصر-ط١ فبراير١٩٦٨م

ت - دفاع عن الفولكلور: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة-(١٩٧٣م)

٢- الكسندر هجرتي كراب: علم الفولكلور: ترجمة: رشدي صالح: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة - (١٩٦٧م)

٧- راجع لمزيد من التفصيلات:

١- الكسندر هجرتي كراب: علم الفولكلور: مرجع سابق.

٢- ألارديس نيكول: المسرحية العالمية(جـ١) ترجمة: عثمان نويه: مكتبة الأنجلو المصرية (ب.ت)

٣- اتيين دريوتون: المسرح المصرى القديم: ترجمة: د. ثروت عكاشة: دار الكاتب العربي،(القاهرة ١٩٦٧م)

٤- جان فرابيه، أ.م.جوسار: المسرح الديني في العصور الوسطى- ترجمة: د.محمد القصاص- الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة(ب.ت)

٥- د.ثروت عكاشة: تاريخ الفن-الفن المصرى القديم (٣) - دارالمعارف- مصر(ب.ت)-(ص١١٨٧- ص١١٨٩)-

٦- د. عبد المعطى شعراوى:

١- المسرح المصرى المعاصر، أصله وبداياته- سلسلة الألف كتاب(الثانى)-(٢٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة(١٩٨٦م

٢- أساطير إغريقية (جـ١)-أساطير البشر-مكتبة الأنجلو المصرية (٢٠٠٨م)

٧- د.أحمد عثمان: الكلاسيكية فى مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد فى مسرحيات شكسبير وراسين- القاهرة(١٩٩٩م)

٨- راجع لمزيد من التفصيلات:

١- د.أحمد على مرسي: الأداء والمؤدون: مقدمة فى علم الفولكلور: دار الثقافة للنشر والتوزيع - ط(٣)- القاهرة(١٩٨٧م)

٢- إرنست فيشر: ضرورة الفن: ترجمة: أسعد حليم- مكتبة الأسرة-الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٩٨-

٣- نك كاي: ما بعد الحداثية والفنون الأدائية: ترجمة: د. نهاد صليحة:الألف كتاب الثاني- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط٢-القاهرة-(١٩٩٩م)

٤- د. محيى الدين عبد الحليم: فنون الإعلام وتكنولوجيا الاتصال: مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة-(٢٠٠٦م)

٥- مارفن كارلسون: فن الأداء-مقدمة نقدية- سلسلة الفنون-مكتبة الأسرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة-٢٠١٠م

٦- مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة: ترجمة: فريال حسن خليفة: مكتبة الأسرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة-٢٠١٠م

٧- عبد المجيد شكرى: فنون المسرح والاتصال الإعلامي: دار الفكر العربى (ط١) القاهرة-(٢٠١١م)

٩- راجع لمزيد من التفصيلات:

١- م. س. ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى. دار المعارف- مصر- (ط٢)-(١٩٥٨م)

٢- د. حسين مؤنس: المساجد - سلسلة عالم المعرفة (٣٧)- الكويت (١٩٨١م)

٣- د. أكرم قانصو: التصوير الشعبى العربى: -سلسلة عالم المعرفة (٢٠٣) الكويت- (نوفمبر ١٩٩٥م

١٠- راجع لمزيد من التفصيلات:

١- محمد يوسف الديب، مصطفى كمال الجمال: الفخار- مطابع دار الكتاب العربى-مصر- ط١-(مارس ١٩٥٩م)

٢- سوسن عامر: الرسوم التعبيرية فى الفن الشعبى- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة-(١٩٨١م)

١١- انظر لمزيد من التفصيلات: عبد الغني النبوى الشال: عروسة المولد، دار الكاتب العربى: القاهرة (١٩٦٧م)

١٢- انظر لمزيد من المعلومات:

١- د.محمد الجوهرى: علم الفولكلور.(جـ٢)، دراسة المعتقدات الشعبية: دار المعارف (ط١)-(١٩٨٠م)

٢- د. فاروق أحمد مصطفى:- دراسات فى المجتمع المصرى- الموالد- دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب:- فرع الإسكندرية-(ط٢)-(١٩٨١م).

٣- د. محمد أحمد غنيم، د. سوزان السعيد:-المعتقدات والأداء التلقائى فى موالد الأولياء والقديسين:-(ط،جـ١)-دراسات فى الفنون الشعبية،-وزارة الثقافة، المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية-مصر-(١٠-١١)-(٢٠٠٧م).

١٣- راجع لمزيد من المعلومات: -

١-د. عبد الحميد يونس:- دفاع عن الفولكلور: -مرجع سابق:- ص٢٢٨.

٢-عبد المنعم شميس:

أ-الزار مسرح غنائى شعبى لم يتطور مجلة الفنون الشعبية-العدد(١٧) القاهرة ١٩٧١م.

ب- الجن والعفاريت في الأدب الشعبى المصرى: - سلسلة المكتبة الثقافية (٣٣٦) القاهرة ١٩٧٦م.

٣-د. عادل العليمى:

أ- الدراما الشعبية المصرية: سلسلة المكتبة الثقافية (٤٧٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة (١٩٩٢م).

ب- الزار ومسرح الطقوس: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٣م)

١٤- راجع لمزيد من المعلومات:

أ. رشدى صالح: المسرح العربى: مطبوعات الجديد (ب.ت)

ب. د. على الراعى: المسرح فى الوطن العربى، سلسلة عالم المعرفة (٢٥) الكويت يناير(١٩٨٠م)

ت. تمارا الكساندروفنا بوتينتسيفا: ألف عام وعام على المسرح العربي: ترجمة: توفيق المؤذن- دار الفارابى- بيروت- لبنان- ط٢-(١٩٩٠م)

١٥- راجع لمزيد من المعلومات: أمين الخولى: لماذا لم يعرف الأدب العربى المسرح: مجلة (المجلة) العدد(١١١) (مارس١٩٦٦م)-(ص١٦-ص٢٠)

١٦- راجع لمزيد من التفصيلات والمعلومات حول حياة خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

١-محمد حسين هيكل: حياة محمد: مكتبة النهضة المصرية- القاهرة - ط٩ - ١٩٦٥م.

٢-ابن هشام- أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى: السيرة النبوية: تحقيق: د.محمد فهمى السرجانى: المكتبة التوفيقية- القاهرة- ١٩٧٨م.-

٣- أحمد بهجت: أنبياء الله- دار الريان للتراث- القاهرة- ١٩٨٤م.

٤- أفكار السقاف: الدين فى شبه الجزيرة العربية(٦):العصورالجديدة-القاهرة٢٠٠٠م-

١٧- راجع لمزيد من المعلومات:

١- جورج بوزنر، وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة: ترجمة: أمين سلامة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مهرجان القراءة للجميع- ط٢-مكتبة الأسرة- ١٩٩٦م

٢- سليم حسن: موسوعة مصرالقديمة:(١٦ج) الهيئة المصرية العامة للكتاب- مهرجان القراءة للجميع- ٢٠٠٠- مكتبة الأسرة-

١٨- راجع لمزيد من المعلومات: كامل صالح نخلة: تاريخ القديس مارمرقس البشير: مكتبة المحبة- القاهرة(١٩٨٩م)

١٩- راجع لمزيد من المعلومات:

١- د. رأفت عبد الحميد: الفكر المصرى فى العصر المسيحى: مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة(٢٠٠٠)- الهيئة المصرية العامة للكتاب(٢٠٠٠م)

٢- د. عمر صابر عبد الجليل: تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى-رؤية قبطية للفتح الإسلامى:-مكتبة الأسرة٢٠٠٩ سلسلة العلوم الاجتماعية:- الهيئة المصرية العامة للكتاب(٢٠٠٩م)

٢٠- إن أشهر السنة الهجرية قمرية، وهى على الترتيب:

محرم- صفر-ربيع الأول-ربيع الآخر-جمادى الأولى-جمادى الآخرة -رجب- شعبان-رمضان-شوال-ذوالقعدة-ذوالحجة...

أما أشهر السنة المصرية القديمة، وما يقابلها من أشهر السنة الميلادية الشمسية:

توت (سبتمبر، أيلول)- بابه (أكتوبر، تشرين الأول)- هاتور (نوفمبر، تشرين الثانى)- كيهك (ديسمبر، كانون الأول)- طوبه (يناير، كانون الثانى)- أمشير (فبراير، شباط)- برمهات (مارس، آذار)- برمودة (أبريل، نيسان)- بشنس (مايو، أيار)- بؤونه (يونيو، حزيران)- أبيب (يوليو، تموز)- مسرى (أغسطس، آب).

٢١- د. محمد الجوهرى: علم الفولكلور:-جـ١- مرجع سابق: ص٣٠

٢٢- يرأس الكنيسة الكاثوليكية البطريرك الأعظم "بابا روما".. ومنذ القرن الخامس عشر الميلادى يتبع الكنيسة الكاثوليكية أو الكرسى البابوى فى روما، كرسى "الكنيسة المارونية" بقرية "كركى" فى لبنان..

أما الكنيسة الارثوذوكسية فلها كرسى البطريرك الأعظم بمدينة القسطنطينية - سابقاً-، أما الكرسى السكندرى فيعود إلى الكنيسة القبطية -المصرية- نسبة إلى المسيحيين الأرثوذوكس المصريين.. أما، كرسى الكنيسة السلافية "برافسلاف" فمقرها الحالى مدينة "موسكو - الروسية-"...

٢٣- يحتفل المسيحيون الكاثوليك بعيد ميلاد سيدنا المسيح يوم (٢٥ ديسمبر)، وهو عيد "زيوس" أو "زفس" رب الأرباب عند اليونانيين القدماء (ق.م.)، بينما يحتفل أقباط مصر يوم (٧) يناير من كل عام بعيد ميلاد سيدنا المسيح عليه السلام...

٢٤- راجع لمزيد من المعلومات:

١- شاخت و بوزورث:-تراث الإسلام بأقسامه الثلاثة:-سلسلة عالم المعرفة:(٨)،(١١)،(١٢)- الكويت(١٩٧٨م.)

٢- د. سامية مصطفى الخشاب: علم الإجتماع الإسلامى: دار المعارف- مصر(ط٢) (١٩٨١م)

٣- د. عبد السلام الترمانينى: -أزمنة التاريخ الإسلامى:- قسم التراث العربى بالمجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب: ط١- المجلد (٢٢١)- الكويت- ١٩٨٢م.

٤- أصول الفلسفة الماركسية اللينينية- المادية التاريخية: بإشراف: فيودر بورلاتسكى، الترجمة إلى العربية- دار التقدم- موسكو- ١٩٨٥م-

٥- د. محمد عبد الستار عثمان: -المدينة الإسلامية- سلسلة عالم المعرفة(١٢٨)- الكويت- أغسطس ١٩٨٨م.

٦- د. أحمد سليم سعيدان:- مقدمة لتاريخ الفكر العلمى فى الإسلام:- سلسلة عالم المعرفة (١٣١)-. الكويت- نوفمبر (١٩٨٨م). أسس الفلسفة: بإشراف: راكيتوف: الترجمة إلى اللغة العربية: موفق الدليمى-دار التقدم- موسكو- ١٩٨٩م.

٧- علم الأخلاق: الترجمة إلى اللغة العربية، مع التعديلات، إشراف: البروفسور ألكسندر تيتارنكو- دار التقدم- موسكو- ١٩٩٠م.

٨- أوسيبوف: أصول علم الاجتماع: ترجمة: سليم توما-دار التقدم-موسكو(١٩٩٠م)

٩- د. حسن نافعة: الأمم المتحدة فى نصف قرن- دراسة فى تطور التنظيم الدولى منذ ١٩٤٥م- سلسلة عالم المعرفة(٢٠٢)-الكويت- أكتوبر(١٩٩٥م).

٢٥- راجع لمزيد من المعلومات:

١- هانس بيتر مارتين، هارالد شومان: فخ العولمة، ترجمة: د.عدنان عباس على: سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨)- الكويت- أكتوبر (١٩٩٨م)

٢- هرناندو دى سوتو: سر رأس المال، ترجمة: كمال السيد: مكتبة الأسرة ٢٠٠٩ سلسلة العلوم الاجتماعية:- الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة: (٢٠٠٩م)

المؤلف

*** د. عطارد عبد المجيد شكرى**

- ولد فى القاهرة (٦ / ١١/ ١٩٥٨م.)
- يعمل اعتباراً من (١٧ / ٣/ ٢٠١١م) وكيلاً للمعهد العالى للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون.
- الجهة الأصلية التابع لها : وزارة الثقافة-أكاديمية الفنون .
- أستاذ الدراما الشعبية اعتباراً من: (٢٧/ ١ / ٢٠١١م.)، وعضو مجلس قسم: فنون الأداء الشعبى، وعضو اللجنة الدائمة لترقية أعضاء هيئة التدريس بذات القسم...
- أستاذ مساعد الدراما الشعبية اعتباراً من : (٢٨ / ١٢/ ٢٠٠٥م.)
- و هيئة تدريس بالمعهد العالى للفنون المسرحية فى دولة الكويت خلال الفترة من: (١/ ٣/ ١٩٩٧م.) حتى (٢٧/ ٦/ ٢٠٠٤م.)
- مدرس الدراما الشعبية اعتباراً من: (٢١ / ٣ / ١٩٩٤م.)
- مدرس مساعد الدراما الشعبية اعتباراً من: (٣١ / ١/ ١٩٩٠م.)
- معيد الدراما الشعبية اعتباراً من: (١٤/ ٢/ ١٩٨٣م.)

*** المؤهلات والشهادات العلمية:**

١- دكتوراة الفلسفة فى علوم الفن (مسرح) -روسيا الاتحادية(١٩٩٣م.)- معهد لينينجراد الحكومى للمسرح والموسيقى والسينما - أكاديمية سانت بيتربورج للفنون المسرحية -حالياً-

٢- ماجستير فى الفنون- المعهد العالى للفنون الشعبية- (١٩٨٩م.)
٣- دبلوم الدراسات العليا- المعهد العالى للفنون الشعبية- (١٩٨٦م.)
٤- بكالوريوس فى الفنون من المعهد العالى للفنون المسرحية-قسم:النقد والأدب المسرحى(الدراما) بتقدير عام: (جيد جداً) (١٩٨١م.)-أكاديمية الفنون- وزارة الثقافة-

*** الدورات والمهمات العلمية الحاصل عليها:**

١- دورة علمية فى الفترة من (١٥) سبتمبر (١٩٨٤م.) حتى (١٩) ابريل (١٩٨٦م.)

معهد لينينجراد الحكومي للمسرح والموسيقى والسينما-روسيا الاتحادية- أكاديمية سانت بيتربورج للفنون المسرحية - حاليا -

٢- دورة مكثفة فى اللغة الإنجليزية من الفترة (٢٢/ ٩/ ٢٠٠٧م.) حتى (٢٧/ ٩/ ٢٠٠٧م.) بمركز اللغات والترجمة- جامعة القاهرة.

٣- مهمة علمية من: (٩/ ١١/ ٢٠٠٧م.) حتى (١٢/ ٥/ ٢٠٠٨م.) بأكاديمية سانت بيتربورج للفنون المسرجية - روسيا الاتحادية -.

وله العديد من الدراسات المنشورة

للنشر في السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء . ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن .
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً في سلسلة
إصدارات خاصة

117- مملكة داود وسليمان العبرية أوهام لا نهاية لها .... أحمد عزت سليم

118- رأى الإسلام فى الآداب والفنون الجميلة .... مصطفى محمد لطفى القطان

119- مبدعون وثوار .... وسام الدويك

120- دافعت عن قيثارتي .... فريدة النقاش

121- فنانون من المنيا .... فتحي إدريس

122- جريمة المرأة فى المجتمع .... د. ناجي محمد هلال

123- إقصاء الآخر .... د. أحمد محمد سالم

124- يحيى حقى الأعمال المجهولة والمنسية .... محمود على

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقا)
ت: 23904096 - 23952496


نظرات فى الثقافة الشعبية
إصدارات خاصة
اللوحة للفنان ابراهيم فيلوس
الهيئة العامة لقصور الثقافة
www.gocp.gov.eg
الثمن: ثلاثة جنيهات
Bibliotheca Alexandrina
12209439